

محمد حافظ إبراهيم

المؤلفات الكاملة



المؤلفات الكاملة

المؤلفات الكاملة

الديوان

تأليف

لشاعر النيل محمد حافظ إبراهيم

صفحات

<http://www.safahat.org>

المؤلفات الكاملة

لشاعر النيل محمد حافظ إبراهيم

موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ +٢٠٢ فاكس: ٢٢٧٠٦٣٥١ +٢٠٢
البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org
الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	نموذج بخط المؤلف
٩	المَدَائِحُ والتَّهَانِي
٨١	التقريظات
٨٧	الأَهْجَاءُ
٨٩	الإِخْوَانِيَّات
١١١	الوَصُف
١٢٧	الخَمَرِيَّات
١٣١	الغَزَل
١٣٥	الاجْتِمَاعِيَّات
١٧٣	السِّيَاسِيَّات
٢٢٥	الشُّكُوى
٢٣٣	المَرَاثِي

نموذج بخط المؤلف

المدائح والتّهاني

(١) تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإسناد إمارة الحجّ إليه (سنة ١٣١٣هـ)

حَالٌ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ	حَائِلٌ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُنْ
أَنَا وَالْأَيَّامُ تَقْذِفُ بِي	بَيْنَ مُشْتَقٍ وَمُفْتَتِنِ
لِي فُؤَادٌ فِيكَ تُنْكَرُهُ	أَضْلَعِي مِنْ شِدَّةِ الْوَهَنِ
وَزَفِيرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ	خِلْتُ نَارَ الْفُرْسِ فِي بَدَنِي
يَا لَقَوْمِي إِنَّنِي رَجُلٌ	حَرْتُ فِي أَمْرِي وَفِي زَمَنِي
أَجَفَاءُ أَشْتَكِي وَشَقَاءُ؟	إِنَّ هَذَا مُنْتَهَى الْمَحَنِ
يَا هُمَامَا فِي الزَّمَانِ لَهُ	هَمَّةٌ دَقَّتْ عَنِ الْفِطَنِ
وَفَتَى لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ	فِي لِيَالِي الدَّهْرِ لَمْ تَخِنْ
يَا أَمِيرَ الْحَجِّ أَنْتَ لَهُ	خَيْرُ وَاقٍ خَيْرُ مُؤْتَمَنِ
هَزَّكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ لَهُ	هَزَّةَ الْمُشْتَقِ لِلْوَطَنِ
فَرِحْتَ أَرْضَ الْجِجَارِ بِكُمْ	فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْهَتَنِ
وَسَرْتَ بُشْرَى الْقُدُومِ لَهُمْ	بِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ

(٢) تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الافتاء
(١٣١٧هـ-١٨٩٩م)

وَلَمَّا أَقْفَ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّذَلُّ
وَلَمَّا أَنْتَجَلَ فَخْرًا وَلَمَّا أَتَنَبَّلِ
تَجُولُ بِهِ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
فَقُلْتُ (أَبُو حَفْصٍ) بُرْدِيكَ أَمْ (عَلِي)
تَدَارَكْتُهَا وَالْخَطْبُ لِلْخَطْبِ يَعْتَلِي
وَكُنْتُ لَهَا فِي الْفَوْزِ قَدَحَ (ابْنِ مُقْبِلِ)
بَحْدَيْهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَأُثْبِتُ مَا أُثْبِتُ غَيْرَ مُضَلَّلِ
لَقَدْ ظَفَرَ الْإِسْلَامُ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
سِوَاكَ وَلَا أَرْبَى عَلَى كُلِّ حَوْلِ

بَلَعْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَغَزَّلِ
وَلَمَّا أَصِفْ كَأْسًا وَلَمْ أَبِكْ مَنْزِلًا
فَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي مَدِيحَكَ مَوْضِعًا
رَأَيْتُكَ الْأَبْصَارُ حَوْلَكَ حُشْعُ
وَحَفُّضْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ
طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعِ
وَجَرَدْتُ لِلْفُتَيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ
مَحَوْتُ بِهِ فِي الدِّينِ كُلَّ ضَلَالَةٍ
لَنْ ظَفَرَ الْإِفْتَاءُ مِنْكَ بِفَاضِلِ
فَمَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلَاتِ بِحِكْمَةٍ

وقال يمدحه ويصف حضرته:

مَا كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامُ وَإِجْلَالُ
نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضَلَالُ
بِبَابِهَا اِزْدَحَمَتْ لِلنَّاسِ آمَالُ
عَلَيْهِ (فَارُوقُ) هَذَا الْوَقْتِ يَخْتَالُ
يُحِبُّهَا اللَّهُ لَا تِيَهُ وَلَا خَالُ
لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالُ
الْعَدْلُ يَنْظُمُ وَالتَّوْفِيقُ لِنَّالُ
كَمَا تُشَدُّ لَبِيَّتِ اللَّهِ أَرْحَالُ
لَهَا عَلَى أُخْتِهَا فِي الرُّوضِ إِذْلالُ
مِنْكَ الْقَبُولُ وَفِيهَا نَوَّرَ الْقَالَ
فَرَاخَ يَنْظُمُهُ فِي وَصْفِكَ الْبَالُ
أَدْرِكُ فَتَاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ

قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الصُّدُقُ مَا قَالُوا
هَذَا قَرِيزِي وَهَذَا قَدْرُ مُمْتَدَحِي
إِنِّي لِأَبْصُرَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ
حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُتْلَى مَنَاقِبُهُ
رَأَيْتُ فِيهَا بِسَاطًا جَلَّ نَاسِجُهُ
بِمَشْيَةٍ بَيْنَ صَفَيِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
تَبَسَّمَ الْمِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَذَلًا
فَكَانَ لَفْظُكَ دُرًّا حَوْلَ لَبَّتِهَا
لِي كُلِّ حَوْلٍ لَبِيَّتِ الْجَاهِ مُنْتَجِعُ
وَزَهْرَةُ غَضَّةٍ أَلْقَى الْإِمَامَ بِهَا
تَفْتَحُ الْحَمْدُ عَنْهَا حِينَ أَسْعَدَهَا
نَثَرْتُ مَنْظُومَ تِيْجَانِ الْمُلُوكِ بِهَا
يَا مَنْ تَيَمَّنْتَ الْفُتَيَا بَطْلَعَتِهِ

(٣) مدحة محمود سامي البارودي باشا (نشرت في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠م)

تَعَمَّدْتُ قَتْلِي فِي الْهَوَى وَتَعَمَّدَا
فَمَا أَثِمْتُ عَيْنِي وَلَا لَحْظُهُ اعْتَدَى
كِلَانَا لَهُ عُذْرٌ فَعُذِرِي شَبِيبَتِي
وَعُذْرُكَ أَنِّي هَجْتُ سَيْفًا مُجَرَّدَا
هَوَيْنَا فَمَا هُنَا كَمَا هَانَ غَيْرُنَا
وَلَكِنَّا زِدْنَا مَعَ الْحُبِّ سُودَا
وَمَا حَكَمْتَ أَشْوَاقُنَا فِي نُفُوسِنَا
بِأَيْسَرَ مَنْ حُكِمَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى
نُفُوسٌ لَهَا بَيْنَ الْجُنُوبِ مَنَازِلُ
بَنَاهَا التُّقَى وَاخْتَارَهَا الْحُبُّ مَعْبَدَا
وَفَتَانَةٍ أَوْحَى إِلَى الْقَلْبِ لَحْظَهَا
فَرَّاحَ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْوَحْيِ وَاعْتَدَى
تَيَمَّمْتُهَا وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَّهِ
وَحَاسِدُهَا فِي الْأَفْقِ يُغْرِي بِي الْعَدَا
سَرَيْتُ وَلَمْ أَحْضِرْ وَكَانُوا بِمَرْصَدِ
وَهَلْ حَذَرْتُ قَبْلِي الْكَوَاكِبُ رُصَدَا
فَلَمَّا رَأُونِي أَبْصَرُوا الْمَوْتَ مُقْبِلًا
وَمَا أَبْصَرُوا إِلَّا قَضَاءَ تَجَسَّدَا
فَقَالَ كَبِيرُ الْقَوْمِ قَدْ سَاءَ فَأَلْنَا
فِيْنَا نَرَى حَقًّا بِحَتْفٍ تَقَلَّدَا
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا اتِّقَاءُ سَبِيلِهِ
وَالَّا أَعْلَى السَّيْفِ مِنَّا وَأُورَدَا
فَغَطُّوا جَمِيعَا فِي الْمَنَامِ لِيَصْرِفُوا
شَبَا صَارِمِي عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ مُغَمَّدَا

وَحُضْتُ بِأَحْشَاءِ الْجَمِيعِ كَأَنَّهُمْ
 نِيَامُ سَقَاهُمْ فَاجِئِ الرَّعْبِ مُرْقِدًا
 وَرُحْتُ إِلَى حَيْثُ الْمُنَى تَبَعْتُ الْمُنَى
 وَحَيْثُ حَدَا بِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ مَا حَدَا
 وَحَيْثُ فَتَاهُ الْخِذْرِ تَرْقُبُ زُورَتِي
 وَتَسْأَلُ عَنِّي كُلَّ طَيْرٍ تَغَرَّدَا
 وَتَرْجُو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّجَى
 عَلَى الْبَدْرِ سِتْرًا حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
 وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدُّوا غَدَائِرَ فَرْعِهَا
 فَحَاكُوا لَهُ مِنْهَا نِقَابًا إِذَا بَدَا
 فَلَمَّا رَأْتَنِي مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا
 وَلَمْ تَتَّخِذْ عَنِّي مَوْعِدِي خَشْيَةَ الرَّدَى
 تَنَادَتْ وَقَدْ أَعْجَبْتُهَا — كَيْفَ فُتُّهُمْ
 وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُعَبَّدَا
 فَقُلْتُ: سَلِي أَحْشَاءَهُمْ كَيْفَ رُوعَتْ
 وَأَسْيَافُهُمْ هَلْ صَافَحَتْ مِنْهُمْ يَدَا
 فَقَالَتْ: أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْجِفْدُ قَدْ بَرَى
 صُدُورُهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدَا
 فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرِّوَاكِ طَرِيقَهُمْ
 فَقَدْ يُقْنِصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدَا
 فَقُلْتُ: دَعِي مَا تَحْذَرِينَ فَإِنِّي
 أَصَاحِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ أَيْدَا
 فَمَالَتْ لِتُغْرِيَنِي وَمَالَهَا الْهَوَى
 فَحَدَّثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرُ تَرَدَّدَا
 أَهْمُ كَمَا هَمَّتْ فَأَذْكَرُ أَنَّنِي
 فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هُدَاكَ إِلَى الْهُدَى
 كَذَلِكَ لَمْ أَذْكَرْكَ وَالْخَطْبُ يَلْتَقِي
 بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا كَانَ ذِكْرُكَ مُسْعِدَا

أَمِيرَ الْقَوَافِي، إِنْ لِي مُشْتَهَامَةً
 بِمَدْحٍ وَمَنْ لِي فِيكَ أَنْ أُبْلَغَ الْمَدَى
 أَعْرَنِي لِمَدْحِكَ الْيَرَاعَ الَّذِي بِهِ
 تَخُطُّ وَأَقْرِضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
 وَمُرَّ كُلِّ مَعْنَى فَارِسِيَّ بِطَاعَتِي
 وَكُلَّ نَفْوَ مِنْهُ أَنْ يَتَوَدَّدَا
 وَهَبْنِي مِنْ أَنْوَارِ عِلْمِكَ لَمْعَةً
 عَلَى ضَوْئِهَا أُسْرِي وَأَقْفُو مَنْ اهْتَدَى
 وَأَرْبُو عَلَى ذَاكَ الْفَخُورِ بِقَوْلِهِ:
 (إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا)
 سَلَبْتَ بِحَارِ الْأَرْضِ دُرَّ كُنُوزِهَا
 فَأَمَسْتَ بِحَارُ الشُّعْرِ لِلدُّرِّمُورِدَا
 وَصَيَّرْتَ مَنْنُورَ الْكَوَكِبِ فِي الدُّجَى
 نَظِيمًا بِأَسْلَاكِ الْمَعَانِي مُنْضِدَا
 وَجِئْتَ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ فَصَلَّتْ
 إِذَا مَا تَلَّوْهَا أَلْقَى النَّاسُ سُجَّدَا
 إِذَا ذَكَرُوا مِنْهُ النَّسِيبَ رَأَيْتَنَا
 وَدَاعِي الْهَوَى مِنْ أَقَامَ وَأَقْعَدَا
 وَإِنْ ذَكَرُوا مِنْهُ الْحَمَاسَ حَسِبْتَنَا
 نَرَى الصَّارِمَ الْمَخْضُوبَ خَدًّا مُورَدَا
 وَلَوْ أَنَّني نَافَرْتُ دَهْرِي وَأَهْلَهُ
 بِفَخْرِكَ مَا أَبْقَيْتُ فِي النَّاسِ سَيِّدَا

(٤) تهنئة لسمو الخديوي عباس الثاني بعيد الفطر (١٣١٨هـ-١٩٠١م)

مَطَالِعُ سَعْدٍ أَمْ مَطَالِعُ أَقْمَارٍ تَجَلَّتْ بِهَذَا الْعِيدِ أَمْ تِلْكَ أَشْعَارِي
 إِلَى سُدَّةِ (الْعَبَّاسِ) وَجَّهْتُ مَدْحَتِي بَتْهْنِيَّةِ شَوْقِيَّةِ النَّسْجِ مِعْطَارِي

ويا لَيْتَ ذَاكَ الْعِيدَ يَبْسُطُ أَغْذَارِي
وَيَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِي وَأَخْبَارِي
وإن قيل شَيْعِي فَقَدْ نِلْتُ أَوْطَارِي
كَأَنِّي بَجَوْفِ اللَّيْلِ هَاتِفُ أُسْحَارِي
نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَكْثَارِي
بِذِكْرِكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعِ مِقْدَارِي
يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرْثَارِي
بِنَفْثَةِ سِحْرِ أَوْ بِخَطَرَةِ أَفْكَارِي
طَوْتُ جَزَلَ (بَشَارِ) وَرَقَّةَ مَهْيَارِي
لِحُسْنِ انْسِجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي
بَحُلَّةِ إِقْبَالِ وَيُؤْمِنُ وَإِيثَارِي
وَتَوَجُّهُ بِالْبُشْرَى وَمُرُهُ بِإِسْفَارِي
لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي عَلَى عَدْلِهِ السَّارِي
ولا زالَ هَذَا الْمَلِكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ

مَلِيكَ أَبَاحَ الْعِيدِ لَثَمَ يَمِينِهِ
وَيَحْمِلُ عَنِّي لِلْعَزِيزِ تَحِيَّةً
(لَالَ عَلَيَّ) زِينَةَ الْمُلْكِ وَجْهَتِي
أَجْنُ لَذِكْرَاهُمْ وَأَشْدُو بِمَدْحِهِمْ
وَأَنْشُدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي
فَحَسْبِي مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزِينُهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا
وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبِحَارِ بِنَاتِهَا
مَعَانَ وَالْفَافِظُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ)
إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعُيُونُ حَسْبْنَهَا
أَمْوَالِي هَذَا الْعِيدِ وَافَاكَ فَاخْبُهُ
وَيَمْنُهُ وَانْتُرْ مِنْ سَعُودِكَ فَوْقَهُ
فَلا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبْغِي سَعُودَهَا
ولا زِلْتُ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيَّدًا

وقال أيضًا يمدحه ويهنته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١م:

فَقَدْ عَاهَدْتُكَ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
وَتُبِّرُ الْقَوْلَ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْعَجَبِ
أَرَى فِرْنَدَ سَيُوفِ الْهِنْدِ فِي الْكُتُبِ
وَكُلْنَا بَيْنَ مُشْتَقِاقٍ وَمُزْتَقَبِ
يَدُ الْبَلَاغَةِ فِي الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
عِيدُ الْأَمِيرِ فَلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ
عَلَى الْوَرَى وَعَدْتُ مَنِّي عَلَى كُتُبِ
تَاهَتْ بَنَضْرَتِهَا فِي ثَوْبِهَا الْقَشِبِ
بِالْعَزِّ يَبْدَأُ أَمْ بِالْمَجْدِ وَالْحَسَبِ؟
تَنَافَسَ الْعَرَبُ الْأَمْجَادِ فِي النَّسَبِ
فِي مَدْحِ ذَاتِكَ فَاعِزَّنِي وَلَا تَعِبِ

مَاذَا اتَّخَرْتَ لِهَذَا الْعِيدِ مِنْ أَدَبِ
تَشْدُو وَتَرْهَفُ بِالْأَشْعَارِ مُرْتَجِلًا
وَتَصْقِلُ اللَّفْظَ فِي عَيْنِي فَأَحْسِبْنِي
هَذَا هُوَ الْعِيدُ قَدْ لَاحَتْ مَطَالِعُهُ
فَادُعُ الْبَيَانِ لِيَوْمٍ لَا تُطَاوِلُهُ
إِنِّي دَعَوْتُ الْقَوَافِي حِينَ أَشْرَقَ لِي
وَأَقْبَلْتُ كَأَيَادِيهِ إِذَا انْسَجَمَتْ
فَقَمْتُ أَخْتَارُ مِنْهَا كُلَّ كَاسِيَةٍ
وَحَارَ فِيهِ بَيَانِي حِينَ صَحْتُ بِهِ:
يَا مَنْ تَنَافَسَ فِي أَوْصَافِهِ كَلِمِي
لَمْ يُبْقِ (أَحْمَدُ) مِنْ قَوْلٍ أَحَاوِلُهُ

فَلَسْتُ مَمَّنْ سَمَتْ بِالشَّعْرِ هَمْنُهُمْ
لَكِنْ عِيدَكَ يَا (عَبَّاسُ) أَنْطَقَنِي
عِيدَ الْجُلُوسِ، لَقَدْ ذَكَّرْتَ أُمَّتَهُ
الْيُمْنُ أَوْلُهُ وَالسَّعْدُ آخِرُهُ
فَالْعَرْشُ فِي فَرْحٍ، وَالْمُلْكُ فِي مَرَحٍ،
وَالْمَلِكُ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلِكِ تَحَرُّسُهُ
الْحِلْمُ حَلِيَّتُهُ، وَالْعَدْلُ قِبَلَتُهُ،
مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي (الْعَبَّاسِ) قَدْ سَبَقَتْ
فَهُوَ ابْنُ أَكْرَمِ مَنْ سَادُوا وَمَنْ مَلَكُوا
يَا مَنْ تَوَهَّمُ أَنَّ الشَّعْرَ أَعَذِبُهُ
عَذَبُ الْقَرِيضِ قَرِيضُ بَاتٍ يَعْصِمُهُ

إِلَى الْمُلُوكِ وَلَا ذَاكَ الْفَتَى الْعَرَبِي
كَالْبَدْرِ أَطْلَقَ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الطَّرِبِ
يَوْمًا تَابَهُ فِي الْآيَامِ وَالْحَقَبِ
وَبَيْنَ ذَلِكَ صَفُو الْعَيْشِ لَمْ يُشَبِّ
وَالْخَلْقُ فِي مَنَحٍ، وَالذَّهْرُ فِي رَهَبِ
عَيْنُ الْإِلَهِ، وَتَرَعَى أَعْيُنُ الشُّهْبِ
وَالسَّعْدُ لَمَحْتُهُ كَشَافَةُ الْكَرْبِ
إِلَى الْجُدُودِ وَمَنْ يَأْتِي عَلَى الْعَقَبِ
وَهُوَ الْأَبُ الْمُفْتَدَى لِلْسَادَةِ النُّجَبِ
فِي الذَّوْقِ أَكْذَبُهُ، أَزْرَيْتَ بِالْأَدَبِ
ذَكَرُ (ابْنِ تَوْفِيْقٍ) عَنْ لَغْوٍ وَعَنْ كَذِبِ

(٥) تهنئة الأمير محمد عبد المنعم (نشرت في ٣٠ يناير سنة ١٩٠١م)

وكان ولياً لعهد أبيه الخديو عباس؛ قالها في ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

فِي عِيدِ مَوْلَانَا الصَّغِيرِ
إِشْرَاقِ عِيدِ الْفِطْرِ وَالـ

رَ وَعِيدِ مَوْلَانَا الْكَبِيرِ
أَضْحَى عَلَى عَرْشِ الْأَمِيرِ

(٦) تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (نشرت في ٢ سبتمبر سنة ١٩٠١م)

لَمَحْتُ جَلَالَ الْعِيدِ وَالْقَوْمُ هَيَّبُ
وَمَثَلُ لِي عَرْشِ الْخِلَافَةِ خَاطِرِي
سَلُّوا الْفَلَكَ الدَّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوْكَبُ
وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ
وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السُّعُودِ مُتَوَجِّجُ

فَعَلَّمَنِي آيَ الْعُلَا كَيْفَ تُكْتَبُ
فَأَرْهَبَ قَلْبِي، وَالْجَلَالَهُ تُرْهَبُ
عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوْكَبُ؟
إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِيِّ) تُنْسَبُ؟
كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِيْزِ) ذَاكَ الْمُعْصَبُ؟

يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرْحَبُ
لَطْلَعَتِهِ وَالْغَرْبُ خَذْلَانُ يَرْقُبُ
بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكَ مُجْدِبُ
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعْمَ الْمُقَرَّبُ
وَإِطْفَاءُ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ أَقْرَبُ
لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقُّ مَذْهَبُ
لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَنِيَةِ مَطْلَبُ
مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَانْهَالَ مَنَكِبُ
وَمِنْ ثَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبُ
عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبُ مُدْبِدُ
فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبُ
بِهَا مَثَلُ لِلنَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبُ
كَذَلِكَ يَشْقَى الْخَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
يُهَنِّدُكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقُ وَمَغْرِبُ
وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدُ وَمَوْكِبُ
وَمِنْهَا لُجَيْنِي، وَمِنْهَا مُذْهَبُ
وَذَلِكَ مَنَنْتُورُ وَذَاكَ مُقَبِّبُ
يُضِيءُ وَلَا نَارُ وَبَعْضُ مُكْهَرَبُ
فَهَلْ أَنْتَ يَا بُسْتَانُ أَفْقُ مُكَوْكَبُ
يُرَدِّدُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَنْثَرِبُ

تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ
سَمًا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقُ
فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعْرَعَتْ
وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا
وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إِطْفَاءَ نُورِهِ
فِرَاعَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجِّجٍ
يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَانَمَا
إِذَا ثَارَ فِي يَوْمِ الْوَعَى مَالٌ مَنَكِبُ
لَهُ مِنْ رُءُوسِ الشَّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبُ
فَدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عِصَابُهُ
مَلَكَتْ عَلَيْهِمْ كُلَّ فِجٍّ وَلَجَةٍ
تَقَادَفُهُمْ أَيْدِي اللَّيَالِي كَأَنَّهُمْ
وَكَمْ سَأَلُوها لَنْتُمْ أَذْيَالِكِ الَّتِي
فَمَا بَلَغُوا سُؤلاً وَلَا بَلَغُوا مُنَى
فِيَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زَلْتُ سَالِمًا
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طَيْبٌ وَنَضْرَةٌ
أَرَى مِصْرَ وَالْأَنْوَارَ: مِنْهَا مُورِدُ
وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مُنْظَمُ
وَبَعْضُ تَجَلَّى فِي مَصَابِيحَ، زَيْتُهَا
وَأَنْظُرُ فِي بُسْتَانِهَا النِّجْمَ مُشْرِقًا
وَأَسْمَعُ فِي الدُّنْيَا دُعَاءَ بَنْصَرِهِ

(٧) تهنئة جلالة إدوارد السابع بتتويجه (نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢م)

فَقُلْتُ لِلشَّعْرِ هَذَا يَوْمٌ مَنْ شَعَرَا
تَخْشَى بَوَادِرِهِ الدُّنْيَا إِذَا زَارَا

لَمَحْتُ مِنْ مِصْرَ ذَاكَ التَّاجَ وَالْقَمَرَا
يَا دَوْلَةً فَوْقَ أَعْلَامٍ لَهَا أَسَدُ

واليومَ فَوْقَ ذُرَاكِ الْبَدْرِ قَدْ سَفَرَا
إِنْ غَابَتْ الشَّمْسُ أَوْلَتْ تَاجَهَا الْقَمَرَا
وإنْ كَشَرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَثَرَا
لَوْلا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
عَدْلٌ، وَلَا مَدٌّ فِي سُلْطَانٍ مِّنْ عَدْرَا
عَلَى مَرَاْفِقِهِمُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
وَدُو السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذِرَا
مَنَاجِمَ التَّبَرِّ لَمَّا عَافَتْ الْمَدْرَا
تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْذِفُ الشَّرَرَا
عَرَائِسُ يَكْتَسِينِ الدَّلَّ وَالْخَفَرَا
أَغْوَالٌ قَفَرٌ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجَرَا
كَأَنَّهَا الْبَحْرُ بِالْأَذْيِ قَدْ زَحَرَا
عَدَتْ رُءُوسُهُمْ عَنْ وَجْههَا الْمَطَرَا
رَأْسًا يُدَبِّرُ مُلْكًا يَكْلَأُ الْبَشَرَا
فَالْهِنْدُ فَالْكَابِ حَتَّى يَعْبُرَ الْجُزْرَا
عَقْدٌ لِمَا حَلَّ أَوْ تَقْوِيمٌ مَا أَطَرَا
وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْآفَاقِ مُنْتَصِرَا
رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذُّكْرَا
وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُّوا لَنَا (عُمَرَا)
عَدْلًا وَحِلْمًا وَإِقَاعًا بِمَنْ أَشَرَا

بِالْأَمْسِ كَانَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ ضَاحِيَةً
يُؤُولُ عَرْشُكَ مِنْ شَمْسٍ إِلَى قَمَرٍ
إِذَا ابْتَسَمْتَ لَنَا فَالذَّهْرُ مُبْتَسِمٌ
لَا تَعْجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ
مَا ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ
خَبَرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا
تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلِكِ مِنْ مَلِكٍ
وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً
بِالْبَرِّ صَافِنَةً دَاسَتْ سَنَابِكُهَا
وَفِي الْبِحَارِ أَسَاطِيلُ إِذَا غَضِبَتْ
وَهُنَّ فِي السَّلْمِ وَالْإِيَّامِ بِاسْمَةِ
حَتَّى إِذَا نَشَبَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا
الْيَوْمَ يُشْرِقُ «إِنْدَوَارُ» عَلَى أَمَمٍ
لَوْ أَمْطَرَ الْغَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ
الْيَوْمَ يَلِثُ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا
يُصْرِفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ
قَدْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي حِينَ أَعْجَزَهَا
(إِنْدَوَارُ) دُمْتَ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَعْدٍ
حَقَنْتَ بِالْصُّلْحِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ دَمًا
هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُّوا عُدُوْلَهُمْ
كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْرِي فِي طَرِيقَتِهِ

(٨) إِلَى الْأَسْتَاذِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ

قالها في سفر له إلى بعض بلاد الوجه البحري، وكان مصاحبًا له في هذا السفر

وَأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي وَدُو اللَّبِّ يُنْصَفُ
فَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْجَفُ

صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْحُرِّ يَصْدِفُ
صَحِبْتُ الْهُدَى عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً

وَعُدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْجِلْمِ مُصْحَفُ
وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (ابْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا
كَأَنَّ فُؤَادِي إِهْرَةُ قَدْ تَمَغِطَسَتْ
كَأَنَّ يِرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدُ
كَأَنَّكَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ حَوْمُ
وَأَزْهَرَ فِي طِرْسِي يِرَاعِي وَأَنْمَلِي
وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً
تَهَادَى بِهَا الْأَزْوَاجُ فِي كُلِّ سُحْرَةٍ
إِمَامَ الْهُدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا
رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ
وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ
فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا
فَأَنْتَ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ إِنَّهَا
كَثِيرُ الْأَيَادِي، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصَفُ
لَهُ كُلِّ يَوْمٍ فِي رِضَى اللَّهِ مَوْقِفُ
تَجَلَّى (جَمَالُ الدِّينِ) فِي نُورِ وَجْهِهِ
رَأَيْتُكَ فِي الْإِفْتَاءِ لَا تُغْضِبُ الْحِجَا
فَأَنْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الشَّرْقِ مُرْجَفُ
كَمُلْتَ كَمَالًا لَوْ تَنَاوَلَ كُفْرَهُ

وَعُدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْجِلْمِ مُصْحَفُ
وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (ابْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا
كَأَنَّ فُؤَادِي إِهْرَةُ قَدْ تَمَغِطَسَتْ
كَأَنَّ يِرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدُ
كَأَنَّكَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ حَوْمُ
وَأَزْهَرَ فِي طِرْسِي يِرَاعِي وَأَنْمَلِي
وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً
تَهَادَى بِهَا الْأَزْوَاجُ فِي كُلِّ سُحْرَةٍ
إِمَامَ الْهُدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا
رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ
وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ
فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا
فَأَنْتَ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ إِنَّهَا
كَثِيرُ الْأَيَادِي، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصَفُ
لَهُ كُلِّ يَوْمٍ فِي رِضَى اللَّهِ مَوْقِفُ
تَجَلَّى (جَمَالُ الدِّينِ) فِي نُورِ وَجْهِهِ
رَأَيْتُكَ فِي الْإِفْتَاءِ لَا تُغْضِبُ الْحِجَا
فَأَنْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الشَّرْقِ مُرْجَفُ
كَمُلْتَ كَمَالًا لَوْ تَنَاوَلَ كُفْرَهُ

وقال يهنئه بعودته من سياحته في بلاد الجزائر (نشرت في ٦ أكتوبر سنة

١٩٠٣م)

وقفا بي (بعين شمس) قفا بي
لَمْشُوقٍ لَظْلٍ تِلْكَ الرَّحَابِ
تَاءٍ وَالشَّرْعِ وَالْهُدَى وَالْكِتَابِ
يِ وَنِعْمَ الْإِمَامُ فِي الْمَحْرَابِ
هَ خُشُوعَ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحِسَابِ

بَكْرًا صَاحِبِي يَوْمَ الْإِيَابِ
إِنِّي وَالَّذِي يَرَى مَا بِنَفْسِي
يَا أَمِينًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِفْ
أَنْتَ نِعْمَ الْإِمَامُ فِي مَوْطِنِ الرَّأِ
خَشَعَ الْبَحْرُ إِذْ رَكِبْتَ جَوَارِي

قُولِ أَوْكَالِ الْفِرْنِدِ أَوْ كَالسَّرَابِ
رَرَارِ مَنْشُورَةٍ بِيَوْمِ الْمَابِ
قَصْدٍ مِثْلُ انْبِعَاثِهِ لِلثَّوَابِ
حَطَّرُ فِي مَسْبَحِ الدُّعَاءِ الْمُجَابِ
أَنْ سُبُلَ النِّجَاحِ فَوْقَ الْعُبَابِ
رَرِ وَرُقُبَى النُّجُومِ وَالْأَقْطَابِ
رَرِ بِقُرْبِ الْمُطَهَّرِ الْأَوَابِ
رَرِ وَفُودًا بِالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ
يَرْقُبُونَ (الإمام) فَوْقَ السَّحَابِ
لِ لِيذِي الْفَضْلِ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ
دِ وَمَرْمَاقٍ فِي صُدُورِ الصُّعَابِ
صِرِ وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمُصَابِ
سِرِ وَوَارَتْ عِدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
قُورِ وَرَدَّ الْأُمُورِ لِلْأَسْبَابِ
بَيْنَ نُورِ الْهُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ
كَلِمَاتِ الْمُهَيِّمِينَ الْوَهَّابِ
هُ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي ارْتِيَابِ
دِي فَبَاتَتْ نُفُوسُهُمْ فِي التَّهَابِ
مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ عِلَاكَ انْتِسَابِي
يُسْمِعُونَ الْوَرَى طَنِينَ الذُّبَابِ
بُعْدَهُ عَنْ رَحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ
خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدٌ أُمَّ الْحَبَابِ
هُ إِزَاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ
مَا تَمَنَّا وَإِنِّي غَيْرُ صَابِي
وَوَلَاتِي فِي غُنْفَوَانِ الشَّبَابِ

وَبَدَا مَاؤُهُ كَخَاطِرِكَ الْمَصِ
يَتَجَلَّى كَأَنَّهُ صُحُفُ الْأَبِ
عَلِمْتُ مَنْ تَقُلُّ فَانْبِعَثْتُ لِلِ
فَهِيَ تَسْرِي كَأَنَّهَا دَعْوَةُ الْمُضِ
وَضِيَاءُ (الإمام) يُوَضِّحُ لِلرُّبِ
بَاتَ يُغْنِيهِ عَنْ مُكَافَحَةِ الْبَحِ
وَسَرَى الْبَرْقُ لِلْجَزَائِرِ بِالْبُشِ
فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحِ
أَذْرَكُوا قَدَرُ ضَيِّفِهِمْ فَأَقَامُوا
لَيْتَ مِصْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضِ
إِنَّهَا لَوْ دَرَتْ مَكَانَكَ فِي الْمَجِ
وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفِ
لَأُظْلَمْتُكَ بِالْقُلُوبِ مِنْ الشَّمِ
أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحِ
ثُمَّ أَشْرَقْتَ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا
فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ
وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّ
أَيْ هَذَا الْإِمَامُ أَكْثَرَتْ حُسَا
أَبْصَرُوا مَوْقِفِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا
وَنَسُوا رَبَّهُمْ وَقَالُوا ضَمِنَا
قُلْ لَجَمْعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ
عَبْدُ تِلْكَ الَّتِي يُحَرِّمُهَا اللَّ
إِنَّ نَفْسَ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهُمْ
شَابَ فِيهِمْ وَلَاؤُهُمْ حِينَ شَابُوا

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره:

لو يَنْظُمُونَ اللَّالِي مِثْلَ مَا نُظِمَتْ مُدُّ غَبَتْ عَنَّا عُيُونُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
لَأَقْفَرَ الْجِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ وَالتَّغَرُّ مِنْ لَوْلِيٍّ وَالْكَأْسُ مِنْ حَبِّ

وقال مدافعاً عنه أيضاً ضدَّ مَنْ حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسوموا له
صوراً تزري بقدره:

إِنْ صَوَّرُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ صَوَّرُوا تَاجَ الْفَخَّارِ وَمَطْلَعَ الْأَنْوَارِ
أَوْ نَقَّصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ نَقَّصُوا دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
سَخَرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدَ كَذَبَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَّارِ
رَسَمُوا بِذَاتِكَ لِلنَّوَظِرِ جَنَّةً مَخْفُوفَةً بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ
وَتَقُولُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا يُمْنَى الْكَرِيمِ بَغَاظَةَ الْأَشْرَارِ
لَنْ يَحْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَحْجُبُوا فَلَقَ الصَّبَاحِ وَمَشَرَّقَ الْأَقْمَارِ
أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا بَيْنَ الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ
مَا أَنْتَ ذِيَاكَ الْبَغِيضُ فَتَنْثَنِي مُتَسَرِّبِلًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ
لِعِبُوا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ جِلْسَ الدَّارِ

(٩) تهنئة الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى سنة ١٣٢١هـ (نشرت في
٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤م)

طُفْ بِالْأَرِيكَةِ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ وَأَقْضِ الْمَنَاسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ كَانَ أَوْلَانِي
صُغْتُ الْقَرِيضَ فَمَا غَادَرْتُ لَوْلُوءَهُ فِي تَاجِ (كِسرى) وَلَا فِي عَقْدِ (بُورَانِ)
أَغْرَيْتُ بِالْغَوْصِ أَقْلَامِي فَمَا تَرَكْتُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
شَكَا (عُمان) وَضَجَّ الْغَائِصُونَ بِهِ عَلَى اللَّالِي وَضَجَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي
كَمْ رَامَ شَأَوِي فَلَمْ يَذْرِكْ سَوَى صَدْفٍ سَامَحْتُ فِيهِ لِنَظَامِ وَوَزَانِ
عَابُوا سُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا وَلَا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَانِ
وَالْيَوْمَ أَنْشِدُهُمْ شَعْرًا يُعِيدُ لَهُمْ عَهْدَ (النَّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَانِ)

عَفِيفَةً الْخِذْرِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ
صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِ غَيْرِ نَشْوَانِ
وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
فِي مَوْطِنٍ بِجَلَالِ الْمُلْكِ رَيَّانِ
فَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُ تُشْرَى بِمِيزَانِ
فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نِصْفَ فَدَّانِ
وَفَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلٍ وَوُدْيَانِ
لَمْ يَجْفُ أَرْضًا وَلَمْ يَعْمِدْ لَطُغْيَانِ
مُمْلِكُ سَارَ فِي جُنْدٍ وَأَعْوَانِ
حَتَّى أَقَمْتَ لَهُ خَزَانَ أَسْوَانِ
فَاضَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَّانِ
وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلٍّ وَسُلْطَانِ
لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانِ
وَذَا مِنْ الشَّرْقِ قَدْ أَوْقَى بِطُوفَانِ
وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِصْبٍ وَعُثْمَانِ
عَلَيْهِ كَلَمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)
تَجْعَلُ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانِ
حَقًّا وَلَا شَعَرْتَ حُبًّا لِأَوْطَانِ
وَأَخْلَصْتَ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
فَأَصْبَحْتَ بِكَ تَسْمُو فَوْقَ كِيَوَانِ
لِمُلْكٍ مِصْرَ وَلِلْسُودَانِ تَاجَانِ
وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتَنْشُدْهُ أَرْزَمَانِي

أَرْفُ فِيهِ إِلَى (الْعَبَّاسِ) غَانِيَّةً
مِنِ الْأَوَانِسِ خَلَّاهَا يَرَاغُ فَتَى
مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ
وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مِدْحَتَهُ
أَغْلَيْتَ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ
جَرَى بِهَا الْخِصْبُ حَتَّى أَنْبَتَتْ ذَهَبًا
نَظَرْتَ لِلنَّيْلِ فَاهْتَزَّتْ جَوَانِبُهُ
يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنَحَدَرٍ
كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرَّيِّ تَحْرُسُهُ
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِيَاعًا مَذْجَى طُلُقًا
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقُطْرَيْنِ صَالِحَةٍ
رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا
وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا
هَذَا مِنَ الْعَرَبِ قَدْ سَالَتْ مَرَائِبُهُ
وَلَاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ
مَنْ كُرْدَفَانَ إِلَى مِصْرَ إِلَى جَبَلٍ
فَكُنْ بِمُلْكِكَ بِنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا
وَانْظُرْ إِلَى أُمَّةٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبْتَ
لَاذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعُلَيَاءُ وَاعْتَصَمَتْ
حَسْبُ الْأَرِيكََةِ أَنَّ اللَّهَ شَرَّفَهَا
تَاهَتْ بِعَهْدِ مَلِكٍ فَوْقَ مَفْرِقِهِ
هَذَا هُوَ الْمُلْكُ فَلْيَهْنِئْ مُمْلَكُهُ

وقال أيضًا يهتئ سموه بالعام الهجري: (نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤)

وَعَالَبْتُ فِيكَ الشَّوْقَ وَهُوَ قَدِيرُ
لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرُ
وَدُونِكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورُ

قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرَ وَهُوَ قَاصِيرُ
وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً
فَوَادِي لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ

ولا حَلَّ في قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرُ
 وهل غَيْرُ صَدْرِي بِالْغَرَامِ خَبِيرُ
 وَعَطَّلْتُ أَفْلَاكًا بِهِنَّ تَدُورُ
 غَرَامِيَّةٍ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
 لِكُلِّ غَرَامٍ عَاذِلٌ وَعَذِيرُ
 وَإِنِّي بَسَنْتُ الدَّلَّتَيْنِ، جَدِيرُ
 وَآخِرُ فِي طَيِّ الْفُؤَادِ سَتِيرُ
 لِمَكْنُونِ سِرِّي فِي الْغَرَامِ ضَمِيرُ
 لَشَكْوَى وَلَكِنَّ اللَّجَاجَ يُشِيرُ
 وَلَا أَكْبِرُ الْبَأْسَاءَ حِينَ تُغِيرُ
 وَهَانَ عَلَيَّ الْأَمْرُ وَهُوَ عَسِيرُ
 هُمُومًا لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ سَعِيرُ
 وَيَنْجُو بَلْفَظٍ عَائِرُ وَأَسِيرُ
 بِبُشْرَى وَهَلْ لِلْبَائِسِينَ بِشِيرُ؟
 بِهَا يَنْجَلِي لَيْلُ الْأَسَى وَيُنِيرُ
 سَرَتْ بِالْمَعَالِي هِزَّةٌ وَسُرُورُ
 وَأَنْ لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ نُشُورُ
 وَفَوْقَكَ مِنْ نَوْرِ الْمُهَيِّمِ نُورُ
 عَلَيَّ وَمَالِي فِي الْأَنَامِ ظَهِيرُ
 فَقَلْتُ غِرَارَ الْخَطْبِ وَهُوَ طَرِيرُ
 وَمَضَرُّ عَلَى آثَارِهَا سَتَسِيرُ
 وَأَنْتَ لَطْلَابُ الْعَلَاءِ نَصِيرُ
 إِلَيْكَ بِحَبَاتِ الْقُلُوبِ تُشِيرُ
 فَلَيْسَ سِوَاهَا نَاصِحٌ وَمُشِيرُ
 وَأَنْتَ عَلَى مُلْكِ الْقُلُوبِ أَمِيرُ

وما انتَقَضَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ جَوَانِحِي
 كَتَمْتُ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنَكِّرُ الْهَوَى
 وَلَوْ شِئْتُ أَذْهَلْتُ النُّجُومَ عَنِ السَّرَى
 وَأَشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مِنِّي بِزَفَرَةٍ
 وَلَكِنِّي أَخْفَيْتُ مَا بِي وَإِنَّمَا
 أَرَى الْحُبَّ ذُلًّا وَالشُّكَايَةَ ذِلَّةً
 وَلِي فِي الْهَوَى شَعْرَانِ: شَعْرُ أَذِيعِهِ
 وَلَوْلَا لَجَاجُ الْحَاسِدِينَ لَمَا بَدَا
 وَلَا شَرَعْتُ هَذَا الْيِرَاعَ أَنَامِلِي
 عَلَى أَتْنِي لَا أَزْكِبُ الْيَأْسَ مَرْكَبًا
 فَكَمْ حَادٍ عَنِّي الْحَيْنُ وَالسَّيْفُ مُصَلَّتُ
 وَكَمْ لَمَحَةٍ فِي غَفَلَةِ الدَّهْرِ نَفَسَتْ
 فَقَدْ يَشْتَفِي الصَّبُّ السَّقِيمُ بِزُورَةٍ
 عَسَى ذَلِكَ الْعَامُ الْجَدِيدُ يَسُرَّنِي
 وَيَنْظُرُ لِي رَبُّ الْأَرِيكِ نَظْرَةً
 مَلِيكَ إِذَا غَنَى الْيِرَاعُ بِمَدَجِهِ
 أَمْوَالِي إِنْ الشَّرَقُ قَدْ لَاحَ نَجْمُهُ
 تَفَاءَلَ خَيْرًا إِذْ رَأَى مُمَلِّكًَا
 مَضَى زَمَنٌ وَالْغَرْبُ يَسْطُو بِحَوْلِهِ
 إِلَى أَنْ أَتَاكَ اللَّهُ لِلصَّقْرِ نَهْضَةً
 جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطًا إِلَى الْعُلَا
 وَلَا يُمْنَعُ الْمِضْرِيُّ إِذْ رَأَى شَأُوهَا
 فِقْفَ مَوْقِفِ (الْفَارُوقِ) وَانْظُرْ لَأَمَّةٍ
 وَلَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ الْعَزِيمَةِ فِي الْعُلَا
 فَعَرَّشَكَ مَحْرُوسٌ وَرَبُّكَ حَارِسُ

(١٠) تهنئة إلى رفعت بك بوكالاته لمصلحة السجون

أَهْنَيْكَ أَمْ أَشْكُو فِرَاقَكَ قَائِلًا
 أَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ السَّجِينِ الْمُصَفَّدَا
 فلو كنتَ في عهد (ابنِ يَعْقُوبَ) لم يَقُلْ
 لصاحِبِهِ: اذْكُرْنِي وَلَا تَنْسَنِي غَدَا

(١١) مدحة كتب بها إلى محمد بك هلال

هَجَعْتَ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجَعْ
 لو كنتَ مَمَّنْ يَعْرِفُونَ الْجَوَى
 يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى
 وَحَسْرَةٍ فِي النَّفْسِ لو قُسِّمَتْ
 ويا بَنِي الشَّوْقِ وَأَهْلَ الْأَسَى
 عَلَيْكُمْ مِنْ وَاجِدٍ مُغْرَمٍ
 لله مَا أَقْسَى فَوَادِ الدُّجَى
 هَذَا غَلِيظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى
 وَذَلِكَ فِي جَنْبِي فَتَى مُدْنَفٍ
 وَأَغْيَدَ أَسْكَنْتُهُ فِي الْحَشَا
 نِفَارُهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي
 وَخَدُّهُ لَا تَنْطَفِي نَارُهُ
 تَسَاءَلْتُ عَنِّي نُجُومَ الدُّجَى
 قَالَتْ: نَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ
 يَبِينُ كَالْمَقْفُودِ أَوْ كَالَّذِي
 إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا
 أَوْ كَانَ فِي ظَبْيِ الْجَمَى مُغْرَمًا
 هَيْهَاتَ يَا أَنْجُمُ أَنْ تَعْلَمِي
 إِنِّي لَضَنَانٌ بِذِكْرِ اسْمِهِ
 الضَّارِبِ الْجِزْيَةِ مُنْذُ انْتَشَى

مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدَّعِي
 قَضَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ سَهْدًا مَعِي
 أَعِيدُكُمْ مِنْ قَلَقِ الْمَضْجَعِ
 عَلَى ذَوَاتِ الطَّوْقِ لَمْ تَسْجَعِ
 وَمَنْ قَضَوْا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ
 تَحِيَّةَ الْمُوجِعِ لِلْمُوجِعِ
 عَلَى فَوَادِ الْعَاشِقِ الْمُوَلِّعِ
 مَا بَيْنَ جَنْبِي أَسْوَدٌ أَسْفَعِ
 عَلَى سَوَى الرِّقَّةِ لَمْ يُطْبِعِ
 وَقُلْتُ: يَا نَفْسُ بِهِ فَاقْنَعِي
 وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَدْمَعِي
 كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلَعِي
 لَمَّا رَأْتَنِي دَانِي الْمَصْرَعِ
 قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْمَطْمَعِ
 أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُنْزِعِ
 أَمَا لِهَذَا الْبَدْرِ مِنْ مَطْلَعِ؟
 أَمَا لِهَذَا الظُّبْيِ مِنْ مَرْزَعِ؟
 مُثِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمَعِي
 ضَنْنِي بُوْدَ الْكَاتِبِ الْأَلْمَعِي
 عَلَى يَرَاعِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ

والحامل الأقدام مَشْرُوعَةً كأنَّها بَعْضُ القَنَا الشُّرْعِ
إِذَا دَعَا القَوْلُ أَتَى طَائِعًا وَإِنْ دَعَاهُ العِيُّ لَمْ يَسْمَعْ
صَحْبَتُهُ دَهْرًا فَأَلْفَيْتُهُ فَتَى كَرِيمَ الْأَصْلِ وَالْمَنْزَعِ
مَوَدَّةً كَالْخَمْرِ إِنْ عُنُقْتُ جَادَتْ وَفَضْلُ بِاسْمِ الْمَشْرِعِ
وَعَزْمَةً لَوْ قُسِمَتْ فِي الْوَرَى بَاتُوا مِنَ الشُّعْرَى عَلَى مَسْمَعِ

(١٢) تهنئة (عليّ حيدر بك) بعيد الأضحى

وكان مديرا لبني سويف إذ ذاك

لِلَّهِ عَيْدٌ كَبِيرُ يَزْهُو بِنُورِ جَبِينِكَ
لَمْ تَقْتَبِلْهُ إِلَّا لِلْتِمِ يَمِينِكَ

(١٣) تهنئة سليمان أباطة باشا بإبلاله من مرض ألمّ به، وبعرس نجله (عليّ بك)

تَرَأَى لَكَ الْإِقْبَالَ حَتَّى شَهِدْنَاهُ
وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمْنَاهُ
(سُلَيْمَانُ) نَكَّرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
بِعِزِّ (سُلَيْمَانٍ) وَإِقْبَالِ دُنْيَاهُ
إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَدَرَ النَّمْلُ بَعْضَهُ
مَخَافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيُورُهُ
وَصَاحَتْ عَلَى الْأَقْنَانِ: يَحْرُسُكَ اللَّهُ
وَكَانَ (ابْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرِّيحُ خَادِمُ
وَتَخْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ
تَحُلُّ بِحَيْثُ الْمَجْدُ أَلْقَى رِحَالَهُ
«فَطَاهِرَةٌ» وَالْبَيْتُ وَالْقُدُسُ أَشْبَاهُ

لَبِستَ الشُّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا
 فَأَلْبَسْتَنَا ثَوْبًا مِنَ الْعِزِّ نَرْضَاهُ
 وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُهُ
 فَلَمَّا شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَأَتْ أَحْشَاهُ
 وَهَنَّا جَدِيدَاهُ الزَّمَانَ وَأَصْبَحَتْ
 تَسُوقُ لَنَا الْآيَامُ مَا نَتَمَنَّا
 وَبَاتَ بَنُوكَ الْغُرُّ مَا بَيْنَ رَافِلِ
 بِحُلَّةٍ يُمْنٍ أَوْ شَكُورٍ لَمَوْلَاهُ
 (سُلَيْمَانُ) دُمَ مَا دَامَتِ الشُّهُبُ فِي الدَّجَى
 وَمَا دَامَ يَسْرِي ذَلِكَ الْبَذْرُ مَسْرَاهُ
 وَكُنْ (لَعَلِّي) بِهَجَةِ الْعُرْسِ إِنَّهُ
 بَعِزَّكَ فِي الْأَفْرَاحِ تَمَّتْ مَزَايَاهُ
 وَلَا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

(١٤) فكتور هوغو (نُشرت سنة ١٩٠٧م)

أَعْجَمِي كَادَ يَغْلُو نَجْمُهُ
 صَافَحَ الْعَلْيَاءَ فِيهَا وَالتَّقَى
 مَا تُغَوِّرُ الزَّهْرُ فِي أَكْمَامِهَا
 نَظَّمَ الْوَسْمِيَّ فِيهَا لُؤْلُؤًا
 عِنْدَ مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنَظَرًا
 بَسَمَتْ لِلذَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ نُهَى
 وَجَلَّتْهَا حِكْمَةٌ بِالْغَةِ
 سَائِلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَكُمُ
 هَلْ تَغْنَّتْ أَوْ أَرْنَتْ بِسَوَى
 كَانَ مَرَّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعَلَا
 فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ نَجْمَ الْعَرَبِي
 «بِالْمَعَرِّي» فَوْقَ هَامِ الشُّهُبِ
 ضَاحِكَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحُبِ
 كَتَنَّا الْغَيْدَ أَوْ كَالْحَبَبِ
 مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي
 مُغْرِمِ الْفَضْلِ وَصَبَّ الْأَدَبِ
 أَعْجَزَتْ أَطَوَاقُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
 شَدُّوْهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ
 (شَعْرُ هُوْغُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ
 تَظْمَأُ الْأَفْلَاكُ إِنْ لَمْ يَشْرِبِ

عَافَ فِي مَنَفَاهُ أَنْ يَذْنُو بِهِ
بَشَرُوهُ بِالتَّدَانِي وَنَسُوا
كَتَبَ الْمَنَفِيُّ سَطْرًا لِلَّذِي
أَبْرِيءُ عَنْهُ يَعْفُو مُذْنِبٌ؟
جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا
طَبَعَ الظُّلُمُ عَلَى أَقْفَالِهَا
أَمَعَنَ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَتْ
أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى
جَاءَهَا (هَوَجُو) بَعَزُمُ دُونَهُ
وَأَنْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا
هَالَهُ إِلَّا يَرَاهَا حُرَّةً
سَاءَهُ إِلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ
قُلْتُ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا
أَنَا كَالْمَنْجَمِ تَبَرُّ وَثَرَى

عَفُوَ ذَاكَ الْقَاهِرَ الْمُغْتَصِبِ
أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَامِيُّ الْأَبِي
جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَأَعْجِبْ
كَيْفَ تُسَدِّي الْعَفْوُ كَفَّ الْمُذْنِبِ؟
مَا لَهَا فِي سَجْنِهَا مِنْ مَذْهَبِ
بِلَظَاهُ خَاتَمًا مِنْ رَهَبِ
لَا تَرَى إِلَّا بَعَيْنَ الْكُتُبِ
بُجْيُوشٍ مِنْ ظِلَامِ الْحُجُبِ
عِزَّةُ التَّاجِ وَزَهْوُ الْمَوْكِبِ
بِالْيَرَاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكُوكِبِ
سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
لَمْ تَشُبْهُ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ:
فَاطْرَحُوا تَرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

(١٥) تهنئة سموّ الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى (١٣٢٥هـ-١٩٠٨م)

سَكَنَ الظُّلُمُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ
حَارَ الْفِرَاشُ وَجِرَتْ فِيهِ فَأَنْتُمْ
دَرَجَ الزَّمَانِ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى
عَجَبًا يَكُذُّ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ الْهَوَى
خَلِقَ الْغَرَامُ لِأَصْغَرِيكَ وَطَالَمَا
وَرَمَوْكَ بِالسَّلْوَى وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي
أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
نَفْسُ بَرِّكَ عَنْ فُؤَادِكَ كَرِبُهُ
وَأَذْكُرُ لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَنَانِيهِمْ
مَا لِلْقَوَافِي أَنْكَرْتِكَ وَلَمْ تَكُنْ

وَسَطًا عَلَى جَنَبَيْكَ هُمْ مُقْلِقُ
تَحْتَ الظُّلَامِ مُعَذِّبُ وَمُؤَرِّقُ
وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطَّرِقُ
وَسَوَاكَ يَبْعَثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
ظَنُّوا الظُّنُونُ بِأَصْغَرِيكَ وَأَغْرَقُوا
تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
سِرُّ الْفُؤَادِ مِنَ النَّوَاطِرِ يُسْرِقُ
وَارْحَمْ حَشَاكَ فَإِنَّهَا تَتَمَرَّقُ
جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
لِكَسَادِهَا فِي غَيْرِ سَوْقِكَ تَنْفُقُ

يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرُقُ
 أَلْهُو وَأَزْتَجِلُ الْقَرِيضَ وَأَعْشُقُ
 عُودِي عَلَى رَغَمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
 مُتَعَنَّتْ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ
 يَوْمَ الْجِسَابِ يُحَلُّ ذَاكَ الْمَوْثِقُ
 وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوَفِّقُ
 مَتَنَ الْخِلَافِ لِمَا بِهِ أَتَخَلَّقُ
 حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْأَحْمَقُ
 وَجَبِينَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ
 دُرَّرَا أَقْلُدَهَا الْمَهَا وَأُطَوِّقُ
 وَأَرِيئَنِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يُنَسَّقُ
 فِي مَدَحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ
 بَاعُ تَطَوُّلٍ وَلَا لِمَدَحِ رَوْنُقُ
 مِنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّيْقُ
 سَجَدَ الْبَيَانُ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ
 يَجْرِي بِهَا قَلَمِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
 وَيَرَاعَتِي بَيْنَ الْأَنَامِ أَشَوْقُ
 بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا يَتَدَفَّقُ
 لَوْلَاكُمَا فَوْقَ السَّمَاءِ تَحَلَّقُ
 عَلَمَيْنِ هَزَّهُمَا الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ
 يَغْفُو وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعِنُّ
 مُتَأَلِّقُ بِإِزَائِهِ مُتَأَلِّقُ
 نَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعِنُّ
 أَنَّ الزَّمَانَ لِمَا يَقُولُ مُصَدِّقُ
 وَلَكَ الْعَدُوُّ الْمُتَحَتِّمُ الْمُتَحَقِّقُ

مَا لِلْبَيَانِ بَغَيْرِ بَابِكَ وَإِقْفَا
 إِنِّي كَهَمَّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ
 نَفْسِي بِرَغَمِ الْحَادِثَاتِ فَتِيَّةُ
 إِنَّ الَّذِي أَغْرَى السُّهَادَ بِمُقْلَتِي
 وَاشْتَقْتُهُ إِلَّا أَبُوحَ وَإِنَّمَا
 وَشَقِيتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَبِعَادِهِ
 صَاحَبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ
 وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَغْيَا بِهِ
 أَصْبَحْتُ كَالدَّهْرِيِّ أَعْبُدُ شَعْرَهُ
 وَغَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ نَنَائَا نَعْرَهُ
 (صَبْرِي) اسْتَرَّتْ دِفَائِنِي وَهَزَزْتَنِي
 فَأَبَحْتُ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقْتَنِي
 قَالَ الرَّئِيسُ فَمَا لِقَوْلِ بَعْدَهُ
 (شَوْقِي) نَسَبَتْ فَمَا مَلَكْتُ مَدَامِعِي
 أَعْجَزْتُ أَطْوَاقَ الْأَنَامِ بِمَدْحِهِ
 لَمْ تَتْرُكَا لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَهُ
 نَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لِمَدَحِ أَمِيرِهَا
 مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتُمَا فِي مَدْحِهِ
 الْعَجْزُ أَقْعَدَنِي وَإِنَّ عَزَائِمِي
 فَلِيَهْنِئِ الْعَبَّاسُ أَنْ بَكْفَهُ
 وَلِيَبْقَ نُحْرًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
 (عَبَّاسُ) وَالْعِيدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدِّمَاءُ وَذَا لَهُ
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ
 (لَكَ) مِصْرُ مَاضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعَا

(١٦) تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨م)

وَأَجَلَ عِيدَ جُلُوسِكَ النَّقْلَانِ
أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرُّضْوَانِ
شَتَّى الْمَذَاهِبِ جَمَّةَ الْأَضْغَانِ
حَبَاتِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوُجْدَانِ
بَلَّغُوا أَشْدَهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
رَجَحْتَ بِجَيْشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّورَانِ
وَكَأَنَّهْمُ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ
سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَّانِ
رَغَمَ الْوُثُوبِ كَثَابَتِ الْبُنْيَانِ
بَزْتِيرِهَا وَتَلَاخَمَ الْجَيْشَانِ
تَحْتَ الْغُبَارِ تَفَجَّرَ الْبُرْكَانِ
طُلُقًا وَأَسْبَابُ الْهَلَاكِ دَوَانِي
وَشَهِدَتْ أَفْئِدَةٌ مِنَ الصَّوَانِ
شَمَّ الْجِبَالِ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ
لَمَّا حَلَفْتَ بِأَوْثَقِ الْإِيمَانِ
هُمْ يَعْرِفُونَ شَمَائِلَ السُّلْطَانِ
لَوْقَايَةِ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمَانِ
وَحَذُّوا أُمُورَكُمْ بِغَيْرِ تَوَانِي
مَرَعَى النَّهْيِ وَمَنَابِتِ الشُّجْعَانِ
بِدَمٍ وَلَا مُتَلَطِّخًا بِهَوَانِ
يَوْمَ الْفَخَارِ كَأَمَّةِ الْيَابَانِ
جَمُّ الْمَبَرَّةِ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ

أُنْنَى الْحَجِيحُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَانِ
أَرْضِيَتْ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ
وَجَمَعْتَ بِالْدُّسْتُورِ حَوْلَكَ أَمَّةً
فَعَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعِي
رَاعِيَتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ
فَجَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ شُورَى بَيْنَهُمْ
لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدِ
لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ
يَمْشُونَ فِي خَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا
وَكَأَنَّ مَقْدِمَهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى
يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ
فَإِذَا الْمَدَافِعُ فِي النَّزَالِ تَجَاوَبَتْ
وَإِذَا الْقَنَابِلُ دَمَدَمَتْ وَتَفَجَّرَتْ
وَإِذَا الْبَنَابِقُ أَرْسَلَتْ نِيرَانَهَا
أُبْصَرَتْ جِنًا فِي مَسَالِحِ فِتْنَةٍ
مُرُّهُمْ يَخُوضُوا الزَّاحِرَاتِ وَيَنْسِفُوا
ثَلَجَتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قَرَارُهُمْ
تَالِهِ مَا شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَهَا
لَكِنَّهُمْ دَرَجُوا عَلَى سَنَنِ بِهِ
يَأْيُهَا الشَّعْبُ الْكَرِيمُ تَمَاسَكُوا
مَالِي أَدَّكَرُكُمْ وَتِلْكَ رُبُوعُكُمْ
أَذْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غَيْرَ مُلَوِّثٍ
وَفَعَلْتُمْ فِعْلَ الرِّجَالِ وَكُنْتُمْ
فَتَفَيَّئُوا ظِلَّ الْهَلَالِ فَإِنَّهُ

يَرْعَى لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدٍ
فَخُذُوا الْمَوَاقِفَ وَالْعُهُودَ عَلَى هُدَى التَّوَكُّلِ
وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا
وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ
وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَّاتِ وَأَظْهَرُوا
وَلَّى زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا انْطَوَتْ
لَا الشُّكَّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرَّؤْيَى
وُضِعَ الْكِتَابُ وَسَيَقَ جَمْعُهُمْ إِلَى
وَتَوَسَّمُوهُمْ فِي الْقِيُودِ فَقَائِلُ
وَمَلَبَّبْ لِغَرِيمِهِ وَمُطَالِبُ
قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا، وَأَمَامَهُمْ
سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ
يَا يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ
لِلَّهِ كَمْ أَطْفَآتْ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ
هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فَرُوقٍ) وَمَنْ بِهَا
خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا
وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى كَخَمَائِلِ
فَتَرَى النِّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا
عَجَبًا لَهُنَّ وَقَدْ خُلِقْنَ أَوْنِسًا
أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا
خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا
يَا لَيْتَهَا خَطَرَتْ بِمَضَرٍّ وَأَشْرَقَتْ
أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ ابْيَضَّتْ لَهُ
عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا
شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأَنْشِرَتْ
فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ
وَعَلَى فَرَنْسِيَسِ الْحَضَارَةِ مِنْهُ

حَقَّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةِ الْأَدْيَانِ
سُورَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
فِي مِصْرَ أَلْفَاظٍ بِغَيْرِ مَعَانِي
إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ
لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأَذْهَانِ
حَيْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخِصْيَانِ
تُجْدِي الْمُسِيءَ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ
يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْعَانِ
هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بِفُلَانٍ
بَدَمٍ أَرِيْقَ بِمَسْبَحِ الْحَيَاتَانِ
بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمَ ثَانِي
لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ الْجَانِي
يَتَسَابَقُونَ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ
نَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ
شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي لُبْنَانِ
بِاللَّثَمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
يَخْلُو بِهِنَّ تَعَانُقُ الْأَغْصَانِ
لَا يَتَّقِينَ عَوَادِي الْأَجْفَانِ
يَبْرُزْنَ فِي فَرْحٍ وَفِي أَحْزَانِ
سَفَرَتْ عَنَا لَجَمَالِهَا الْقَمَرَانِ
هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ
فِي يَوْمٍ أَسْعَدَهَا عَلَى طَهْرَانِ
كَبِدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ
(تَمْوَزَ) مِثْلَ تَرْقِبِ الظُّمَانِ
أَمٌّ وَبُدْلَ خَوْفِهَا بِأَمَانِ
يَشْدُو بِذِكْرِ صَنِيعِهَا الْفَتْيَانِ
تُتْلَى أَنْشِيدُ لَهَا وَأَغَانِي

تَمْوِزُ أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالُهُ
هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيبًا عَلْنَا
أَيُّعُودُ مِنْكَ الْإِمْلُونَ بِمَا رَجَوَا
تَمْوِزُ، إِنَّ بَنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةً
مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ
وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا شِ بِهِ
وَعَلَى الْأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى
وَالِى الْحِجَازِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُنْتَمِي حَسَبًا إِلَى
أُمْسَى يُمَالِئُهُ وَيَنْصُرُ غِيَّهُ
تَالِهِ لَوْ جَنَدْتُمَا رَمَلَ النَّقَا
وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْحِجَازِ أَسِنَّةً
وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً
لَدَهَاكُمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا
إِنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا فَاتِيَا
وإِلَيْكَ يَا فَرْعَ الْخَلَائِفِ مِدْحَةً
مَنْ شَاعِرٍ تَثْبُ النُّهَى لِقَرِيضِهِ
يُهْدِي الْمَدِيحَ إِلَى الْمَلِكِ سَبَائِكًا
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا اسْتَوَتْ أَلْبَسَتْهَا

تَمْوِزُ، أَنْتَ مُنَى الْأَسِيرِ الْعَانِي
نَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مَيْدَانِ
وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحِرْمَانِ
فَمَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانِ
وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرَّثَّانِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
وَضَلَالَهُ بِحُثَالَةِ الْعُرْبَانِ
وَنَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعِقْبَانِ
وَأَسْلُتُمَا بَحْرًا مِنَ النَّيِّرَانِ
مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُمانِ
مَاحِي الْحُصُونِ وَمَاسِحِ الْبُلْدَانِ
كَرَّهَا بِلَا حَوْلٍ وَلَا سُلْطَانِ
عَزَّتْ شَوَارِدُهَا عَلَى (حَسَّانِ)
وَتَبَّ النَّفُوسِ لِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
تَعْنُو لَهُنَّ سَبَائِكُ الْعِقيَانِ
بِالْمَدْحِ تِيجَانًا عَلَى تِيجَانِ

(١٧) إِلَى أَحْمَدَ شَوْقِي بِكَ

يَهْنَأُ حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالرَّتَبَةِ الْأُولَى الْعَلَمِيَّةِ

إِنِّي عَهْدْتُكَ قَبْلَهَا مَحْسُودًا
وَسَعَادَةً فَعَدَا بِهَا مَحْدُودًا

إِنْ هَنَّاوَكَ بِهَا فَلَسْتُ مُهَنِّئًا
قَدْ كَانَ قَدْرُكَ لَا يُحَدُّ نَبَاهَةً

(١٨) تهنئة الخديوي عباس الثاني بقدومه من الحجّ (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م)

مُنَى نِلْتَهَا يَا لِبَسِ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا
فَلِلَّهِ مَا أَبْهَكَ فِي مِصْرَ حَالِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقًا
مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى
فِيَا لَيْتَنِي اسْطَعْتُ السَّبِيلَ وَلَيْتَنِي
وَفِي الرُّكْبِ شَمْسُ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الْوَرَى
تَسِيرُ إِلَى شَمْسِ الْهُدَى فِي حَفَاوَةٍ
فَلَمْ أَرْ أَفْقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعَتْ
وَلَوْ أَنَّني خَيْرْتُ لاختَرْتُ أَنْ أَرَى
أَسِيرُ خِلَالَ الرُّكْبِ نَحْوَ حَظِيرَةٍ
إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ نَاطِقًا
حَلَلَتْ بِأَكْنَافِ الْجَزِيرَةِ عَابِرًا
وَأَشْرَقَتْ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا
وَمَا ظَفِرَتْ مِنْ بَعْدِ (هَارُونَ) أَرْضُهَا
وَلَا أَبْصَرَ الْحُجَّاجَ مِنْ بَعْدِ شَخْصِهِ
رَمَيْتَ فَسَدَدْتَ الْجَمَارَ فَلَمْ تَكُنْ
وإِنَّ الَّذِي تَرْمِيهِ وَقَفُ عَلَى الرَّدَى
وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ اازْدَدَتْ عِزَّةً
تُهْرَوُلُ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ مُعْظَمًا
وَطُفَّتْ وَكَمْ طَافَتْ بِسَدَّتِكَ الْمُنَى
وَلَمَّا اسْتَلَمْتَ الرُّكْنَ هَاجَتْ شُجُونُهُ
تَذَكَّرَ (زَيْنَ الْعَابِدِينَ) وَجَدَهُ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الرُّكْنَ أَمْسَكَ رَاحَةً
دَعَاؤُنَا لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ إِبَابُهُ
أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمُّكَ أَنْ تَرَى

أَدِينَا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا
وَلِلَّهِ مَا أَتَقَّاكَ فِي الْبَيْتِ مُحْرِمًا
وَقَدْ يَمَمُ الْبَيْتِ الْعَتِيقَ الْمُحْرَمًا:
يَفِيضُ جَلَالَ الْمُلْكِ وَالِدِينَ مِنْهُمَا
بَلَغَتْ مُنَى الدَّارَيْنِ رَحْبًا وَمَغْنَمًا
فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمًا
مِنَ الْعِزِّ تَحْدُوها الزَّوَاهِرُ أَثْنَمًا
جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجَمًا
لِعَيْسِكَ وَحْدِي حَادِيًا مُتَرَنَّمًا
عَلَى رَبِّهَا صَلَّى إِلَهُ وَسَلَامًا
بِآيَاتِهِ إِنْجِيلُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَا
فَأَنْضَرْتَ وَاذِيهَا وَكُنْتَ لَهَا سَمًا
فَبَاتَ عَلَيْكَ النَّيْلُ يَحْسُدُ زَمَرَمًا
بِمِثْلِكَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ مُنْعَمًا
عَلَى عَرَافَاتٍ مِثْلَ شَخْصِكَ مُحْرَمًا
جِمَارًا عَلَى إِبْلِيسَ بَلْ كُنَّ أَشْهُمَا
وَإِنْ لَازَ بِالْأَفْلَاقِ يَا خَيْرَ مَنْ رَمَى
بَسْغِيكَ يَا (عَبَّاسُ) لِلَّهِ مُسْلِمًا
وَكَمْ هَرَوُلَ السَّاعِي إِلَيْكَ وَعَظَمًا
وَكَمْ أَمْسَكَ الرَّاجِي بِهَا وَتَحْرَمًا
فَلَوْ أَنَّهُ اسْطَاعَ الْكَلَامَ تَكَلَّمَ
وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلٍ (الْفَرَزْدَقِ) فِيهِمَا
مَسَحَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مَنْتَمَى
وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
بَأَرْجَاءِ وَاذِي النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا

وَأَنْ تَبْنِيَ الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ
دَعَوْتُ لِمِصْرٍ أَنْ تَسُودَ وَكَمْ دَعْتُ
فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَشَبَّهُوا
سَلِيلَ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ
لِئِنْ بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ مُغْرَمًا
وإن تَامَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ فَوَادَهُ
وإن سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهَيِّمِينَ قَلْبَهُ
وإن بَاتَ نَهَاضًا بِمِصْرٍ إِلَى الذُّرَا
حَوَى مَا حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ
دَعَا بِكَ وَاسْتَسْقُوا قَلْبِي دُعَاءَهُمْ
أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ
وَلَمَّا طَوَى بَطْحَاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ
أَطَافَ بِهِ ثُمَّ انْتَنَى عَنْ فِنَائِهِ
طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا
رَجَعْتَ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ
وَأَمْنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ
وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى اسْتَطَاعَ رُكُوبَهُ
وَجَدْتَ وَجَادَتْ رَبَّةُ الطُّهْرِ وَالتَّقَى
فَلَمْ تُبْقِيَا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا
فَأَرْضَيْتُمَا الدِّيَانَ وَالدِّينَ كُلَّهُ

وَأَنْ تَرْهِفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ تَتَلَّمَا
لَكَ اللَّهُ مِصْرُ أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمَا
بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمَا
أَقَامُوا عُمُودَ الدِّينِ لِمَا تَهْدَمَا
لقد كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
لقد كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتَيَّمًا
فقد كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيْقُ) مُفْعَمًا
فَمِنْ جَدِّهِ الْأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّمَا
وَزَادَ فَأَعْيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْحَمَا
مِنْ الْأَفْقِ هَتَانٌ مِنَ الْمُرْنِ قَدْ هَمَى
وَحْيًا عَبُوسَ الْقَفْرِ حَتَّى تَبَسَّمَا
إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فَيَمَّمَا
وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لِأَسْلَمَا
وَعُدْتَ إِلَيْنَا أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمَا
وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مَوْسِمًا
وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمًا
أَخُو الْفَقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَمًا
عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخْصَبَ الْعَامُ مِنْكُمَا
وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمَا
لقد رَضِيَ الدِّيَانُ وَالدِّينُ عَنْكُمَا

(١٩) تحية محمد سعيد باشا

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ
وكان رئيساً للحكومة إذ ذاك

فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارَيَا
نَيْلٌ يَقِيضُ عَلَى سُهُولِكَ رَحْمَةً
يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
وَفَتَى يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ

عَادَ الرَّئِيسُ فَرَحْبِي بِقُدُومِهِ وَتَهَلَّلِي بِمُفَرِّجِ الْأَزْمَاتِ

(٢٠) إِلَى أَمِينٍ وَاصِفٍ بَكَ (نُشِرَا فِي ٩ مَآيُو سَنَةِ ١٩١٢م)

قَالَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ لِيُكْتَبَا فِي لَوْحَةٍ مَهْدَاةٍ إِلَيْهِ مِنْ مَدْرَسَةِ طُوخِ الصَّنَاعِيَّةِ؛ إِذْ كَانَ مَدِيرًا لِلْقَلْبُوبِيَّةِ

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِي بِقَدْرِكَ فِي الْمَجْدِ حِدَ فَيُهْدَى إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِأَسْمِكَ مَكْتُو بَا عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

وَقَالَ يَوْمَئِذٍ: أَنْشَدَهَا فِي حِفْلِ أَقَامَهُ كِبَارُ مَوْظَفِي مَدِيرِيَّةِ الْقَلْبُوبِيَّةِ؛ إِذْ كَانَ مَدِيرًا لِمَدِيرِيَّتِهِمْ وَنُقِلَ. (نُشِرَتْ فِي ٩ مَآيُو سَنَةِ ١٩١٢م)

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ فَجَاءَ
وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) فَخَانَنِي
فَأَتَيْتُ صَفْرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى
وَاحْجَلْتِي أَيْكُونُ هَذَا مَوْقِفِي
وَأَنَا الْخَلِيقُ بِأَنْ أَرْتَلَ لِلْوَرَى
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا
(بَنَاهَا)، لَقَدْ وُقِّيتَ قِسْطُكَ مِنْ مُنَى
فَدَعَيْ سِوَاكَ يَفُزْ بِقَرَبِ مُوَفَّقِ
لَبَسَ التَّوَاضُعَ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مُتَنَقِّلًا
فَأَجَبْتُ رَغَمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي
أَدْبِي وَلَمْ يَرَعْ الْقَرِيضُ زِمَامِي
أَمْلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
فِي حَفْلَةِ التَّوَدِيعِ وَالْإِكْرَامِ
آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
يَقْضِي الْوَلَاءَ وَوَاجِبُ الْإِعْظَامِ
وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ
هُوَ فِي الْحُكُومَةِ نُحْبَهُ الْحُكَّامِ
رُتَبِ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
كَالْبَدْرِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(٢١) تَهْنِئَةٌ مَحْمُودِ سَامِي بَكَ (بَاشَا) (نُشِرَتْ فِي ١٢ يُولَيَةِ سَنَةِ ١٩١٢م)

قَالَهَا فِي حِفْلِ أَقِيمَ لِتَكْرِيمِهِ بِفَنْدُقِ الْكَوْنَتِنَنْتَالِ لِمُنَاسَبَةِ تَرْقِيَّتِهِ إِلَى مَنْصَبِ كَبِيرٍ فِي نِظَارَةِ الْأَشْغَالِ

رَبَّكَ وَالِدُكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى وَعَلَى النَّزَاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ

فَنَشَأَتْ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ
وَسَمَوَتْ يَا (سامي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا
رَبَّى أَبُوكَ عُقُولَنَا وَنُفُوسَنَا
وَاهْنًا بِمَا أُوتِيَتْهُ مِنْ نِعْمَةٍ
يَا مَالِي الْكُرْسِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ
إِنَّ الَّتِي قُلِّدْتُهَا فِي حَاجَةٍ
فَأَفْضَ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا
وَاحْذُمْ بِلَاذَكَ بِالَّذِي أُوتِيَتْهُ
هَنَاتٌ مِصْرَ وَنِيلَهَا وَرِجَالَهَا
وَرَأَيْتُ فِي الدِّيَّانِ قَدْرَكَ عَالِيًا
مَا بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ
أُمْهَنْدِسِ الذِّلِّ السَّعِيدِ تَحِيَّةٍ
يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يُكْثِرَ بَيْنَنَا

وَدَرَجَتْ بَيْنَ مَحَامِدٍ وَمَفَاخِرٍ
وَبَرَعَتْ قَوْمَكَ بِالذِّكَايَةِ النَّادِرِ
فَاهْنًا بِوَالِدِكَ (الأمين) وَفَاخِرٍ
فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
وَكَفَايَةً يَا مِلَّةَ عَيْنِ النَّاطِرِ
لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيٍ بَاتِرِ
وَاقْبِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقْلَ عِثَارِ الْعَاثِرِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ثِيَابِ الْأَمْرِ
وَالنَّاسُ تَهْتَفُ بِالثَّنَاءِ الْعَاظِرِ
أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالدُّعَاءِ وَشَاكِرِ
مِنْ مِصْرَ تَحْدُوهَا تَحِيَّةُ شَاعِرِ
أَمْثَالِ (سامي) فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ

(٢٢) إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف (نشرت في ١٥
سبتمبر سنة ١٩١٢م)

هل رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيٍّ)
أَوْدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعِلْمِ
كَمْ نَفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ
فَارَانَا (لُقْمَانُ) فِي مِصْرَ حَيًّا
حَفِظَ اللَّهُ مِبْضَعًا فِي يَدَيْهِ

فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
مِ وَأَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ
تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ
وَحَبَانَا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ
قَدْ أَمَاتَ الْأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ

(٢٣) تحية خليل مطران بك

أنشدها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان
المجيدي يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣م

وَدَعَانِي فَرَزْتُهَا إِمَامًا
صَدَأَ النَّفْسَ رَوْنَقًا وَنِظَامًا
زِلَّةَ الصَّبِّ وَانْكَسَارَ الْيَتَامَى
رِ يَمِينًا وَيَسْرَةً وَأَمَامَا
ضِ تَمْسِيَانِ تَحْتَ رِيحِ الْخَزَامَى
وَعُيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْغِي الْمَنَامَا
أَذْكَى مِنِّي الْأَسَى وَهَاجَ الْهَيَامَا
وِ وَخَافَتُ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
قَ وَأَرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا
رَقَ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا
تَلَكَ مِصْرِيَّةً تَسِيلُ انْسِجَامَا
عِنْدَ رَأْيٍ تَخَالُهُ إِلَهَامَا
حَصَانٌ وَاخْتَارَتَا لَدَيْهَا مَقَامَا
وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ اللَّثَامَا
رُ وَقَدْ كُنْتُ أَنْكَرُ الْأَوْهَامَا
سَيَا مَا اسْطِطَعْتُ وَارْتَدَيْتُ الظَّلَامَا
لَا رَقِيبًا يُخْشَى وَلَا نَمَامَا
كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا
كَلِمَاتٍ نَبَّهَنْ مِنَّا النِّيَامَا:
مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا
شِ وَيَبْرُونَ لِلنُّضَالِ السَّهَامَا
بَعْضُ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتِ الشَّامَا
قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
نِ رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِزَامَا
مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَابِي الْفُطَامَا
مِنْكُمْ الْوُدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا

جَارَ بِي عَرْفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا
جَنَّةً تَبْعَتْ الْحَيَاةَ وَتَجَلُّو
زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ نَفْسِي
وَتَنَقَّلْتُ فِي خَمَائِلِهَا الْخُضَّ
فَإِذَا رَوْضَتَانِ فِي ذَلِكَ الرَّوِّ
جَاءَتَا تَخْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ
جَارَتَا مَوْضِعِي فَهَبْ نَسِيمُ
فَتَرَسَّمْتُ مِنْهُمَا أَثَرَ الْخَطِّ
وَتَسَمَّعْتُ عَلَنِي أُطْفِئِ الشَّوْ
فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنْ لَهَجَاتِ الشَّ
تَلَكَ سُورِيَّةً تَفِيضُ بَيَانًا
فِطْنَةً عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفِ
مَالَتَا نَحْوِ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَعْدَ
ثُمَّ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا بِنْتُ مِصْرٍ
فَتَوَهَّمْتُ أَنْ قَدْ انْفَلَقَ الْبَدُ
فَتَوَارَيْتُ ثُمَّ عَلَّقْتُ أَنْفَا
ظَنَّنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ خَلَاءَ
فَجَرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ
حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا بِنْتُ مِصْرٍ:
صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ
رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوَزُوا الْقُطْبَ فَانُوا
يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ
فَانْبَرَتْ طَبِيبَةُ الشَّامِ وَقَالَتْ:
أَنْتُمْ الْأَسْبَقُونَ فِي كُلِّ مَرْمَى
إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صَنُوا
أُمُّكُمْ أُمَّنَا وَقَدْ أَرْضَعْتُنَا
قَدْ نَزَلْنَا جِوَارَكُمْ فَحَمِدْنَا

وَحَلَّلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنَا
وَعَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا
وَشَرِبْنَا مِنْ نِيلِكُمْ فَنَسِينَا
وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا
وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقِي وَصَبْرِي
مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا
مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا
غَنَّا الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْ
وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لِعَبَا
فَأَشَارَتْ فَتَاهُ مِصْرَ وَقَالَتْ:
أَنْتُمْ النَّاسُ قُدْرَةٌ وَمِضَاءٌ
أُطْلِعْتُ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفُقٍ
تَرْكَبُ الْهَوْلَ لَا تَفَادَى وَتَمْشِي
قَدْ سَمِعْنَا «خَلِيلَكُمْ» فَسَمِعْنَا
وَطَمَعْنَا فِي شَأْوَهِ فَقَعَدْنَا
نَظَمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا
فَمَشَى النَّثْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشَّ
وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبَ النَّيْ
شَارَةً زَانِتِ الْقَرِيضِ فَكَانَتْ
فَعَقَدْنَا لَهُ اللَّوَاءَ عَلَيْنَا
ذَاكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثِ شَهِيٍّ
قَدْ تَسَقَّطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ
فَمِنْ النُّقْلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا
صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِي
نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْذِرُ
فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْخَلِيلِ صَفَاءً
وَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا

مَنْزِلًا مُخَصَّبًا وَأَهْلًا كِرَامَا
فَلَقِينَا طَلَاقَةً وَابْتِسَامَا
مَاءَ لُبْنَانٍ سَلَسَلَا وَالْغَمَامَا
وَأَجَدْنَا نِثَارَنَا وَالنُّظَامَا
فَرَأَيْنَا مَا يَبْهَرُ الْأَفْهَامَا
فَرَأَيْنَا مَا يَبْهَرُ الْأَفْهَامَا
فِي ثَنَايَا النُّفُوسِ أَنْىَ أَقَامَا
لَاكَ حَيْرَى وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
سَ فَكَانَا يِرَاعَهُ وَالْحُسَامَا
قَدْكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِمِصْرٍ كَلَامَا
وَنُهَوِّضًا إِلَى الْعُلَا وَاعْتِزَامَا
أُنْجُمَا إِثْرَ أَنْجُمٍ تَتْرَامِي
فَوْقَ هَامِ الصُّعَابِ لَا تَتَحَامِي
شَاعِرًا أَقْعَدَ النَّهْيَ وَأَقَامَا
وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا
سَلَكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
شَعْرُ وَالْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزَّمَامَا
لِ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ذَاكَ الْوَسَامَا
شَارَةَ النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
وَاحْتَفَلْنَا نَزِيدَهُ إِكْرَامَا
يَسْتَفِرُّ النَّهْيَ وَيَشْجِي النَّدَامَا
مَنْ يَرَى النُّقْلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا
وَمِنْ النُّقْلِ مَا يَكُونُ حَرَامَا
نَا كَمَا قَالَتَا هَوَى وَالتَّيَامَا
يَمِي قُوانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتِهَا وَسَلَامَا
مُلْكُ «عَبَّاسٍ» نَاضِرًا بَسَامَا

هو آمالنا وحمي جمانا أيد الله مُلْكَه وأداما

(٢٤) تهنئة له أيضًا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره (نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣م)

وَسِعَ الْفَضْلَ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْمَ بٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُهَنِّئْ وَسَلَامَهُ
لَمْ يَزِدْكَ الْوَسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ زَادَ قَدْرَ الْعُلَا وَقَدَّرَ الْكَرَامَهُ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عِلَامِهِ
لِإِبَاءٍ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ وَصَفَاءٍ وَهَمَّةٍ وَشَهَامَهُ

(٢٥) تحية إلى واصف غالي بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في ٤ يونية سنة ١٩١٤ عندما نشر كتابه المعروف «بحديقة الأزهار» الذي ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية، وكان يلقي محاضراتٍ وخطبًا في فرنسا ينوّه فيها بالعرب ومصر والشرق.

يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بَنَا
ذِكْرِي الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ
جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نِسْيَانِ
إِنِّي أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ
وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
جَلَوْتَ لِلْعَرَبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلِّ
لَا يُسْتَهَانُ بِهَا نَسَاجَ (هَزْنَانِي)
ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَنْشَأَتْ تَخَطُّبُهُمْ
بِمَا عَنَا لَكَ مِنْ سِحٍّ وَتَبْيَانِ
مَا زِلْتَ تَبْهَرُنَا طَوْرًا وَتَبْهَرُهُمْ
حَتَّى ادَّعَاكَ وَحَايَاكَ الْفَرِيقَانِ

لولا اسمرارك فازوا في ادعائهم
 (بواصف) وخسرنا أي خسران
 غرست من زهرات الشرق طائفة
 في أرض (هيجو) فجاءت طرفة الجاني
 حديقة لك لم نعهد لها شبةا
 بين الحدايق في زهر وأفنان
 يحيي شذاها نفوس الوافدين وما
 مروا بورد ولا طافوا بريحان
 لكنها من أزاهير النهى جمعت
 ما لا تنافحه أزهار بستان
 بالأمس كان لها شرق توضع به
 واليوم صار لها بالغرب شرقان
 أسمعتهم من نسيب القوم فانطلقت
 شئون كل شجي القلب ولهان
 وزدتهم من كلام (البخترى) قطعاً
 مثل الرياض كستها كف (نيسان)
 سل (ألفريد) و(لامرتين) هل جرياً
 مع (الوليد) أو (الطائي) بميدان
 وهل هما في سماء الشعر قد بلغا
 شأوا (النواصي) في صوغ وإتقان
 ودأ وقد شهدا بالحق أنهما
 في بيت (أحمد) لو يرصى نديمان
 أمسى كتابك «كالسّيما» يعيد لهم
 مرأى الحوادث مرت منذ أزمان
 قد شاهدنا فيه تحت النقع عنثرة
 يصارع الموت عن عبس ودُبيان

وشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ
 كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَانِي
 هَذَا مِنَ الْعُرْبِ لَا يُلْوِي بِهِ فَرْعٌ
 وَذَاكَ أَرْوَعُ مِنْ آسَادِ خَفَّانٍ
 لِلَّهِ دَرٌّ يَرَاعِ أَنْتَ حَامِلُهُ
 لَوْ كَانَ فِي أَنْمَلِي يَوْمًا لِأَغْنَانِي
 وَقَفْتَ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تُهَمًّا
 كَادَتْ تُقَوِّضُ مِنْهَا كُلَّ بُنْيَانٍ
 فَكُنْتَ أَوَّلَ مِضْرِي أَقَامَ لَهُمْ
 عَلَى نَبَالَةِ مِضْرٍ أَلْفَ بُرْهَانٍ
 مَا زِلْتَ تُلْقِي عَلَى أَسْمَاعِهِمْ حُجًّا
 فِي كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانٍ
 حَتَّى انْتَنَيْتَ وَمَا لِلْعُرْبِ مُجْتَرِيٌّ
 عَلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَارٍ عَلَى الْبَانِي
 مَحَوْتَ مَا كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ
 مِنَ الْبَرَاهِينِ فَلْتَ قَوْلَ (رِينَانٍ)
 أَنْحَى عَلَى الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًّا
 عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
 ظَنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْأَشْعَارِ تَنْقُصُنَا
 وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ وَالتَّصْوِيرَ فِي آنٍ
 وَأَتْنَا لَمْ نَصِلْ فِيهَا إِلَى مِئَةٍ
 عَدًّا وَذَاكَ لِعَيٍّ أَوْ لِنُقْصَانٍ
 وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جُرَيْجٍ) فِي قِصَائِدِهِ
 لَقَالَ آمَنْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
 مَالِي أَفَاخِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيْنَ يَدَيِ
 مِنْ شَعْرِ أَحْيَانُنَا مَا لَيْسَ بِالْفَانِي

فِي شَعْرِ (شَوْقِي) وَ(صَبْرِي) مَا نَتَيْهِ بِهِ
 عَلَى نَوَابِغِهِمْ دَعْ شَعْرَ (مُطْرَانِ)
 بُورِكْتَ يَا بَنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ
 لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَوْ فِي فَضْلِهِ اثْنَانِ
 بَلَّغْ إِذَا جِئْتَ (بَارِيزًا) أَفَاضِلَهَا
 عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَاشْفَعْهَا بِشُكْرَانِ
 وَخُصَّ كَاتِبَهُمْ (زُولًا) بِأَطْيَبِهَا
 كَيْمَا يُقَابِلُ إِحْسَانُ بِإِحْسَانِ
 وَاجْعَلْ لِسَفْرِكَ ذِيلاً فِي شَوَاعِرِنَا
 وَقِفْ لَهْنٍ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
 وَانْتَرْ عَلَى الْغَرْبِ مِنْ تِلْكَ الْحُلَى وَأَشْدُ
 بِكُلِّ حُسَّانَةٍ فِينَا وَحُسَّانِ
 وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ
 وَخُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانِ)
 وَاشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِنْتَهُ
 وَاشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لِعُثْمَانِ)
 وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنَا
 مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ

(٢٦) تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة (نشرت في أول

يناير سنة ١٩١٥م)

هَنِيئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ	لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
تَسَنَّمَ عَرْشَ (إِسْمَاعِيلَ) رَحْبًا	فَأَنْتَ لَصَوْلَجَانِ الْمُلِكِ أَهْلُ
وَحَسَنُهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدْلٍ	فَجُضْنُ الْمُلِكِ إِحْسَانُ وَعَدْلُ
وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَاءِ فِينَا	فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظِلُّ
لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهُ لَمَّا	تَبَوَّأَهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقْبَلُ

وَهَشَّ التَّاجُ حِينَ عَلَا جَبِينًا
تَمَنَّى لَوْ يَقَرَّ عَلَى أَبِي
وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا
وَمَا كُنْتَ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي
وَإِنَّكَ مِنْذُ كُنْتَ وَلَا أَغَالِي
فَكَمْ نَهَنْتَ مِنْ غَرْبِ الْعَوَادِي
وَمَا مِنْ مَجْمَعٍ لِلْخَيْرِ إِلَّا
فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا
لَكَ الْعَرْشَانِ: هَذَا عَرْشُ مِصْرَ،
فَأَلَّفَ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بَرَاءِي
فَعَرْشُ لَا تَحْفُ بِهِ قُلُوبُ
(أَبَا الْفَلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيَادٍ
وَأَلَاءٍ وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيهَا
عُنَيْتَ بِحَالَةِ الْفَلَاحِ حَتَّى
وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سَرَتْ فِيهَا
وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضِ مَوَاتٍ
وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّ
وَكَمْ أَسْعَفْتَ فِي مِصْرٍ جَرِيحًا
وَكُنْتَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ وَقَاءً
وَكُنْتَ فَتَى بَعْدِ أَبِيكَ نَذْبًا
لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى فُتْبَلِي
تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ فَتَى وَكَهْلًا
وَجَرَّبْتَ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ
وَكُنْتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً
فَلَمْ يُلِمَّ بِسَاحَتِهِ جَحُودٌ
وَمَا غَادَرَتْهُ حَتَّى أَفَاقُوا
فَعِشْ لِلنَّيْلِ سُلْطَانًا أَبِيًّا

عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ نُبْلٌ
تَذِلُّ لَهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَذِلُّ
فَهَا هُوَ ذَا بِلَابِسِهِ يَدِلُّ
وَلَا التَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَعْلُو
حُسَامٌ لِلْأَرِيكِةِ لَا يُفْلُ
وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلٌ
وَمِنْ كَفِّكَ سَحَّ عَلَيْهِ وَبُلٌ
وَقَدْ عَرَفَ الْكَبِيرُ غُلَاكَ قَبْلُ
وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلٌ
وَعَزَمَ لَا يَكِلُ وَلَا يَمَلُّ
تَحْفُ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمَحِلُّ
عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَذِلُّ
وَفِي أَوْصَافِهَا فَأَنَا الْمَقِلُّ
تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلٌ
وَأَنْتَ الْغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْهُ بُخْلٌ
فَأَضْحَتْ تُسْتَرَادُ وَتُسْتَعْلُ
وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغْدٌ وَنَفْلٌ
عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبٍ يُطْلُ
وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعَهُ أَهْلُ
لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَفِعْلٌ
بَلَاءٌ مُجَرَّبٌ يَحْدُوهُ عَقْلٌ
فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاكَ فَتَى وَكَهْلُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَجَرَّبُهَا وَيَبْلُو
وَنِبْرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا
وَلَمْ يَجْلِسْ بِهِ عُضْوُ أَشْلُ
وَمِنْ أَمْرَاضِ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا
لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلٌ

وَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ
لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَّتْ
وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرْبِ قَوْمٌ
فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوا وَدَا
وَأِنْ شَاوَزْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدٌّ
وَأِنْ نَادَيْتَهُمْ لِبَاكَ مِنْهُمْ
فَمَا يَدُهُمْ جِبَالُ الْوُدِّ وَانْهَضُ
وَحَفَّفَ مِنْ مُصَابِ الشَّرْقِ فِينَا
إِذَا نَزَلْتَ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبٌ
حَيَارَى لَا يَقْرَأُ لَنَا قَرَارٌ
فَأَهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي
وَأُسْعِدْنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غَنَمٌ

مَيَامِينُ النَّقِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
مِنَ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا
وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا فَتَشْتَ مِثْلُ
ظَفِرَتْ لَهُمْ بَرَأْيٍ لَا يَزِلُّ
أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
بَنَّا فِقْيَادُنَا لِلْخَيْرِ سَهْلُ
فَنَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقْلُ
أَلَمْ بَنَّا هُنَا قَلْقٌ وَشُغْلُ
تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ غَزْلُ
أَلَا سِرِّيَا (حُسَيْنٌ) وَنَحْنُ نَتْلُو
بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَنَدَاكَ جَزْلُ

(٢٧) إِلَى الطَّبِيبَةِ (لونا) (نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦م)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رُزِقها صديقه محمد بك بدر وكانت (لونا) هي المولدة

(لونا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ
وَمِنْ عَجَبٍ تَدِينُ بَدِينِ (مُوسَى)
بِهَا مِصْرٌ وَتَاهَ بِهَا مَدِيحِي
وَتَأْتِينَا بِمُعْجَزَةِ (الْمَسِيحِ)

(٢٨) ذِكْرِي شَكْسِير (نشرت في ١ مارس سنة ١٩١٦م)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بإنجلترا الذي أقام احتفالاً بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

يُحْيِيكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرَاكَ أَنْ مَشَتْ
شَغُوفٌ بِقَوْلِ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَحْكُمُ

لَكَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى فَإِنَّكَ مُلْهُمُ
تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَأَى الطَّلَاءُ - هُمْ هُمْ
وَفَوْقَ عُبابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمُ
يَزُولُ إِلَى أَنْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
لِتَنْظُرَ مَا يُضْمِي وَيُذْمِي وَيُؤْلِمُ
فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُخْتَمُ
سَوَاءَ جَهُولِ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
وَلَا نَالُ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَ يَزْعُمُ
وَكُنْتُ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنْقِمُ
وَلَا زَالَتِ الْأَرْأُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
بَشِيرَ سَلَامٍ تَغْرُهُ يَتَبَسَّمُ
قَلِيلًا وَحَيًّا شَعْرَهُ وَتَرْتُمُوا
وَلَمْ يُزْهَقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَقَحَّمُوا
أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ
وَتُوبَ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرْسِ مِرْقَمُ
بِعَاطِفَةٍ إِلَّا حَسْبُنَاهُ يَرْسُمُ
تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَتَضَرَّمُ
عَلَيْهَا غُبَارُ الْهُونِ وَالْوَجْهَ أَقْنَمُ
وَفِي مِثْلِهَا تَغْيَا الْيِرَاعَةُ وَالْفَمُ
يُحْسُ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِيمُ
سُطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ تُتْلَى وَتُكْرَمُ
وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةٌ وَهُوَ يَقْدَمُ
لِيَوْمٍ وَأَنَّ الْحَائِكَ الْيَوْمَ فِيهِمْ
لِفَرْعُونَ لَا زَالَتِ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
وَلَمْ يَجْرِ فِي مَيْدَانِهِ مُتَقَدِّمُ
وَحَلَّقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَشَّمُ
فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَتَاهُ وَأَعْظَمُوا

فَلَمْ تَخْطِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوْ أَنْ دَنَتْ
أَفْقُ سَاعَةٍ وَانْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْمَاعِهِمْ دَمُ
تَفَانَوْا عَلَى دُنْيَا تَغْرُ وَبَاطِلُ
فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشُّعْرِ سَاعَةً
وَقَائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا
وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّبْعَ لَا زَالَ غَالِبًا
فَمَا بَلَغَتْ مِنْهُ الْحَضَارَةُ مَآرِبًا
أَهْبَتَ بِهِذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةٍ
وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيًا بَنِيَّتَهُ
أَلَا أَنَّ زِكْرِي شَكْسَبِيرَ بَدَتْ لَنَا
فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَالَهُمْ لَتَهَادَنُوا
وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمٍ ذِكْرَاهُ مِدْفَعًا
لَهُ قَلَمٌ مَاضِي الشَّبَابِ كَأَنَّمَا
طُهِورٌ إِذَا مَا دُنَسَتْ كَفُ كَاتِبُ
وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَجُزْ
أَرَانِي فِي (مَاجِيثِ) لِلْحَقْدِ صُورَةً
وَمَثَلٌ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ سِجْنَةً
وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (هَمْلِيَتِ) حُسْنُهَا
دَعِ السَّحَرِ فِي (رُؤْيُ) وَ(جُولِيَتِ) إِنَّمَا
أَتَاهُمْ بِشَعْرِ عَبْقَرِيٍّ كَأَنَّهُ
نَدِيٌّ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً
يُؤْتِي إِلَى قُرَائِهِ أَنْ نَسْجَه
تَكَلِّكِ النُّقُوشِ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدِ
فَلَمْ يَدْنُ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخَّرُ
أَطْلُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيَالِهِ
وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعُهُ

وقالوا تَحَدَّانا بما يُعْجِزُ النُّهى
ولم يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّه أَمْرُ
لقد جَهَلُوهُ حِقْبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ
كَذَاكَ رِجَالُ الشَّرْقِ لو يُنْصِفُونَهُمْ
أضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ
فَقُلْ لِبَنِي التَّامِيزِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ
لئن كان في ضَحْمِ الْأَسَاطِيلِ فَخْرُكُمْ

فَلَسْنَا إِذْنَ آثَارَهُ نَتَرَسَّمُ
بما كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا
لِقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْسَمُ
وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عَمُوا
بِه يُنْتَرُّ الدُّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ أَعْظَمُ

(٢٩) إلى عظمة السلطان حسين كامل (نشرت في ٦ مايو سنة ١٩١٦م)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السرايق الذي أقيم له هناك

في ساحة (البَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ
وَأَتَى (الْحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنُطَا) مَوْسَمًا
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجٍ مَوْئِلُ
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا سَأَلَتْ فَلَا تَخَفْ
بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَغِيضُ مَعِينُهَا
قَدْ أَخْصَبَ الْإِقْلِيمُ حِينَ حَلَلْتَهُ
وَبَدَا يَمُوجُ بِسَاكِنِيهِ وَعِطْفُهُ
ذَكَرُوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْقِفًا
فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ
نَشْرَ السُّعُودِ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ
دَامَتْ مَآثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ
فَاهِنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَعَهْدُهُ
وَانْهَضْ بِشُعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا
وَلِيْهِنِّي الْبَدَوِيُّ أَنَّ صَدِيقَهُ
قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ

عِزُّ الْبِلَادِ بِعِزِّهَا مُوْصُولُ
يَزْعَى وَيَحْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
لَمَلِيكَه التَّقْدِيسُ وَالتَّجْبِيلُ
وَلِكُلِّ عَافٍ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ
رَدًّا فَمَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَخِيلُ
نَفَحَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ
وَالْغَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحُولُ
قَدْ كَادَ مِنْ طَرَبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ
قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
أَثَرُ لَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ جَلِيلُ
يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
كَأَبِيكَ إِسْمَاعِيلَ كَيْفَ يَزُولُ؟
عَهْدٌ بِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
عَنْ وَدِّهِ الْمَعْهُودِ لَيْسَ يَحُولُ
أَعْلَى وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ

(٣٠) عمر بن الخطَّاب

أنشدھا في الحفل الذي أُقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨م

حَسْبُ الْقَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أَلْقِيهَا
لَا هُمْ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ
قَدْ نَارَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ أَوْفِّيَهَا
فَمُرْ سِرِّي الْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِنِي
أُنِّي إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أَهْدِيهَا
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ نَامٍ قَاضِيهَا
وَلَيْسَ فِي طَوْقٍ مِثْلِي أَنْ يُؤَفِّيَهَا
فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

مقتل عمر

مَوَلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَّةُ
مَزَقَتْ مِنْهُ أَدِيمًا حَشَوَهُ هَمُّ
طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُنْتَقِمًا
فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً
مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطَّوْدِ رَاسِخَةً
تَنْبُو الْمَعَاوِلُ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ
حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهْدِمُهَا
وَاهًا عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ
كَمْ ظَلَلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ
مِنْ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيشتُ قَوَادِمُهَا
وَاللَّهِ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَ لَهَا
لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ
يَا لَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ (عُمَرُ)
لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَالِيهَا وَمَاضِيهَا
مِنَ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لِمَا مَاتَ آسِيهَا
وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا
وَالهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا
صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْكُ عَالِيهَا
جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيْدِيهَا
عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
وَمِنْ صَمِيمِ التَّقَى رِيشتُ خَوَافِيهَا
وَاجْتَنَّتْ دَوَحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا:
مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا

إسلام عمر

رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آراءَ مُوَفِّقَةً
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصُرْتَ لَهَا
خَرَجْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي (مَحْمَدِهَا)
فَلَمْ تَكْذُبْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِالْغَةِ
سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرْتَلِّهَا
وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالاً لَا يُطَاوِلُهُ
وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعَتْ
وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ
فَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا
كَمْ اسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُغْتَبِطاً
فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَرَأْنَا يُزَكِّيْهَا
عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَاجْتَارَتْ أَمَانِيهَا
بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُؤَالِيهَا
حَتَّى انْكَفَأَتْ تَنَاوِي مَنْ يُنَاوِيهَا
فَرَلَزَلَتْ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيقُهَا
عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِّيقِ) مُنْجِيهَا
بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

عمر وبيعة أبي بكر

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ (الْمُصْطَفَى) افْتَرَقَتْ
فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
بَايَعْتَ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ
عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
وَأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لَوْلَاكَ لَاسْتَعَرَتْ
بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجِّى فِي حَظِيرَتِهِ
وَأَنْتَ مُسْتَعِرُ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا
تَهَيَّمْ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشِ
مَنْ نَبَاهُ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
تَصِيحُ: مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ
عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا

أُنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ
يُجْرِي عَلَيْهِ شُئُونُ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرِدَهُ
مَنْ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَ آيَةً نَزَلَتْ
وَقَدْ يُدْكَرُ بِالآيَاتِ نَاسِيهَا
نَهَلْتَ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمُّ
وَثَابَ رُشْدُكَ فَاَنْجَابَتْ دِيَاجِيهَا
فَلِلْسَّقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ
فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَيْ تَنَاولَهَا
فَمَدَّتْ (الْخَزْرَجُ) الْأَيْدِي تَبَارِيهَا
وَضَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّ صَاحِبَهُمْ
أُولَى بِهَا وَأَتَى الشُّخْنَاءَ آتِيهَا
حَتَّى انْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَامِعُهُمْ
عنها وَأَخَى (أَبُو بَكْرٍ) أَوَاحِيهَا

عُمَرُ وَعَلِيٌّ

وَقَوْلِي (لَعَلِّي) قَالَهَا (عُمَرُ)
حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا
مَا كَانَ غَيْرَ (أَبِي حَفْصٍ) يَفُوهُ بِهَا
كَلَاهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ عَزَمَتْهُ
فَاذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا
أَكْرِمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا!
إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبِنْتُ الْمَصْطَفَى فِيهَا
أَمَامَ فَارِسَ (عَدْنَانَ) وَحَامِيهَا
لَا تَنْتَنِي أَوْ يَكُونُ الْحَقُّ ثَانِيهَا
أَعَظَمًا أَلْهُوَا فِي الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

عمر وجبله بن الأيهم

وَكَمْ أَخَفَّتْ قَوِيًّا يَنْتَنِي تِيهَا
لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَأْبَى تَنَاسِيهَا
عِنْدَ الْخُصُومَةِ (وَالْفَارُوقُ) قَاضِيهَا
وَإِنْ تَخَاصَمَ وَإِلَيْهَا وَرَاعِيهَا

كَمْ خِفَتْ فِي اللَّهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ
وَفِي حَدِيثٍ فَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةً
فَمَا الْقَوِيُّ قَوِيًّا رَغَمَ عِزَّتِهِ
وَمَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ

عمر وأبو سفيان

عَنكَ الْهَدِيَّةُ مُعْتَزًّا بِمُهْدِيهَا
وَلَا (مُعَاوِيَةُ) بِالشَّامِ يَجْبِيهَا
فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يُدَانِيهَا
وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكُؤُنِينَ تَنَوِيهَا
قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بَعْدَ الْبَيْتِ غَاشِيهَا
فِي هَفْوَةٍ (لَأَبِي سُفْيَانَ) يَأْتِيهَا
لَمَّا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا
وَلَا الْقَرَابَةُ فِي بُطْلٍ يُجَابِيهَا
شَمَّ الْجِبَالِ لَمَّا قَرَّتْ رَوَاسِيهَا

وَمَا أَقَلَّتْ (أَبَا سُفْيَانَ) حِينَ طَوَى
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسِبْتَهُ حَسْبُ
قَيَّدَتْ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ
قَدْ نَوَّهُوا بِاسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا
وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرَ)
تَالِهِ لَوْ فَعَلَ (الْخَطَّابُ) فَعَلَّتُهُ
فَلَا الْحَسَابَةُ فِي حَقِّ يُجَامِلُهَا
وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا

عمر وخالد بن الوليد

لَهُ الْفَتْوحُ وَهَلْ أَغْنَى تَوَالِيهَا
بِالْيُمْنِ وَالنَّصْرِ وَالْبُشْرَى نَوَاصِيهَا
وَبِالْفَوَارِسِ قَدْ سَأَلْتُ مَذَاكِيهَا
وَلَا رَمَى الْفُرْسِ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا
«اللَّهُ أَكْبَرُ» تَدْوِي فِي نَوَاحِيهَا
مِنْ بَعْدِ عَشْرِ بَنَانِ الْفَتْحِ تَحْصِيهَا
و(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا
كَمَا يُقْبَلُ آيَ اللَّهِ تَالِيهَا

سَلَّ قَاهِرَ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ
غَزَى فَأَبْلَى وَخَيْلُ اللَّهِ قَدْ عُقِدَتْ
يَرْمِي الْأَعَادِي بَآرَاءٍ مُسَدِّدَةٍ
مَا وَقَعَ الرُّومُ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا
وَلَمْ يَجْزْ بِلَدَةٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا
عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً
و(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدُهَا
أَتَاهُ أَمْرُ (أَبِي حَفْصٍ) فَقَبَّلَهُ

وَمَجْدِهِ مُسْتَرِيحِ النَّفْسِ هَادِيهَا
يَوْمَ النِّزَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
وَلَا تُحَرِّكْ مَخْزُومَ عَوَالِيهَا
وِعِزَّةَ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا
وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفَدِّيَهَا
وَلَا ارْتَضَى إِمْرَةَ الْجَرَّاحِ تَمْوِيهَا
قَدْ وَجَّهَ النَّفْسَ نَحْوَ اللَّهِ تَوَجُّيَهَا
إِلَّا أَرَادَ بِهِ لِلنَّاسِ تَرْفِيَهَا
لَمَّا دَعَاهُ إِلَى الْفِرْدَوْسِ دَاعِيهَا
نَسَاءَ مَخْزُومٍ أَنْ تَبْكِي بَوَاكِهَا
فِيهِ وَقَدْ كَانَ أُعْطِيَ الْقَوْسَ بَارِيهَا
وَفُتِنَتْهُ النَّفْسُ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا
وَأَنْتَاهَا سَقَطَةٌ فِي عَيْنِ نَاعِيهَا
حَتَّى يَعْيبَ سَيْفُ الْهِنْدِ نَادِيهَا
وَلَا شَفَى غَلَّةً فِي الصَّدْرِ يَطْوِيهَا
عَزِيمَةً مِنْهُ لَمْ تُثَلِّمْ مَوَاضِيهَا
وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
لَدَيْهِ مَنْ رَافَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا
عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَعْرَاضِ تَنْزِيهَا
اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنَقِّيهَا
لَا الْحَقْدُ يَعْرِفُهَا، لَا الْحِرْصُ يُغْوِيهَا

وَاسْتَقْبَلَ الْعَزَلَ فِي إِبَّانِ سَطَوْتِهِ
فَاعْجَبَ لِسَيِّدِ مَخْزُومٍ وَفَارِسِهَا
يَقُودُهُ حَبَشِيٌّ فِي عِمَامَتِهِ
الْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَّاحِ مُمْتَثِلًا
وَانْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ
وَمَا عَرَّتْهُ شُكُوكٌ فِي خَلِيفَتِهِ
(فَخَالِدٌ) كَانَ يَذْرِي أَنْ صَاحِبَهُ
فَمَا يُعَالِجُ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
لِذَاكَ أَوْصَى بِأَوْلَادِهِ لَهُ (عُمَرَا)
وَمَا نَهَى (عُمَرُ) فِي يَوْمٍ مَضَرَعِهِ
وَقِيلَ: خَالَفَتْ يَا (فَارُوقُ) صَاحِبِنَا
فَقَالَ: خَفْتُ افْتِتَانِ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
هَبُوه أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِ مَقْصِدِهِ
فَلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرَّأْيِ زَلَّتْهُ
تَالَلِهِ لَمْ يَتَّبِعْ فِي (ابْنِ الْوَلِيدِ) هَوَى
لَكِنَّهُ قَدْ رَأَى رَأْيًا فَاتَّبَعَهُ
لَمْ يَرَعْ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ
وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ
إِنَّ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقُ) نَزَّهَهُ
فَذَاكَ خُلُقٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طِينَتُهُ
لَا الْكِبَرُ يَسْكُنُهَا، لَا الظُّلْمُ يَصْحَبُهَا

عُمَرُ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ

وَلَمْ تَخَفْهُ بِمَضْرٍ وَهُوَ وَالِيهَا
وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عُمَرَا) فِي بَوَادِيهَا
يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُخْطِيهَا
وَقَامَ (عُمَرُ) إِلَى الْأَجْمَالِ يُزْجِيهَا
أَمْوَالَهُ وَفَسَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيهَا

شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السُّوَّاسِ ثَرَوَتَهُ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عُمَرَا) فِي حَوَاضِرِهَا
لَمْ تُنَبِّتِ الْأَرْضَ كَابِنِ الْعَاصِ دَاهِيَةً
فَلَمْ يُرْغِ حِيلَةً فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ
وَلَمْ تُقِلْ عَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ

عمر وولده عبد الله

وما وَقَى ابْنُكَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَيْنُقَهُ
رَأَيْتُهَا فِي حِمَاهُ وَهِيَ سَارِحَةٌ
فَقُلْتُ: مَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) يُشْبِعُهَا
قَدْ اسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ
زُدُّوا النَّيَاقَ لَبِيتِ الْمَالَ إِنَّ لَهُ
وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا
مَا الْاِشْتِرَاكِيَّةُ الْمَنْشُودُ جَانِبُهَا
فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلِيهَا وَمَنْبِتُهَا

لَمَّا اطَّلَعْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَاعِيهَا
مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ اهْتَزَّتْ أَعَالِيهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُزَوِّيهَا
وَبَاتَ بِاسْمِ (أَبِي حَفْصٍ) يُنَمِّيهَا
حَقَّ الزِّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيجِيهَا
بَيْنَ الْوَرَى غَيْرَ مَبْنَى مِنْ مَبَانِيهَا
فَإِنَّهُمْ عَرَفُوهَا قَبْلَ أَهْلِيهَا

عمر ونصر بن حجاج

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَغَرَبَهُ
وَكَمْ رَمَتْ قَسَمَاتُ الْحُسْنِ صَاحِبَهَا
وَزَهْرَةُ الرُّوضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوْثِهَا
كَانَتْ لَهُ لِمَّةٌ فَيَنَانَةٌ عَجَبُ
وَكَانَ أَنَّى مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا
هَتَفْنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِاسْمِهِ شَغَفًا
جَزَرَتْ لِمَتَهُ لَمَّا أَتَيْتَ بِهِ
فَصِخَتْ فِيهِ تَحَوَّلَ عَنْ مَدِينَتِهِمْ
وَفِتْنَةُ الْحُسْنِ إِنَّ هَبَّتْ نَوَافِحُهَا

عَنِ الْمَدِينَةِ تَبْكِيهِ وَيَبْكِيهَا
وَأَتَعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيَهَا
لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كَفُّ جَانِبِهَا
عَلَى جَبِينِ خَلِيقٍ أَنْ يُحْلِيَهَا
شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْبِيهَا
وَلِلْحِسَانِ تَمَنُّ فِي لَيَالِيهَا
فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي الْحُسْنِ حَالِيهَا
فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيهَا
كَفِتْنَةِ الْحَرْبِ إِنَّ هَبَّتْ سَوَافِيهَا

عمر ورسول كسرى

وَرَاعَ صَاحِبَ (كِسْرَى) أَنْ رَأَى عُمَرَا
وَعَهْدَهُ بِمُلُوكِ الْفُرْسِ أَنَّ لَهَا

بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا
سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيهَا

فِيهِ الْجَلَالَةُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
بِبُرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا
مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالْدُّنْيَا بِأَيْدِيهَا
وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلٍ يَزْوِيهَا:
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

رَأَاهُ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ فَرَأَى
فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ
وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا
أَمَنْتُ لِمَا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ

عَمَرُ وَالشُّورَى

جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِبِّبِهَا
وَلِلْمَنْيَةِ أَلَامٌ تُعَانِيهَا
إِلَى الْجَمَاعَةِ إِنْذَارًا وَتَنْبِيهَا
فَجَرِدِ السَّيْفَ وَاضْرِبْ فِي هَوَادِيهَا
طَعْمُ الْمَنِيَةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا
فَعَاشَ مَا عَاشَ يَبْنِيهَا وَيُعْلِيهَا
رَغَمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا
لَمْ يُلْهِكَ النَّزْعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا
لَمْ أَنْسَ أَمْرَكَ لِلْمِقْدَارِ يَحْمِلُهُ
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ رَأْيِهَا شَعْبًا
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا
دَرَى عَيْدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ

مِثَالُ مَنْ زُهِدِهِ

فَلَمْ يَغْرَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا
أَنْ يُلْبِسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيهَا
وَفِي الْبَرَادِينِ مَا تُزْهِى بِعَالِيهَا
وَدَاخَلْتَنِي حَالٌ لَسْتُ أَذْرِيهَا
وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا
رُدُّوا ثِيَابِي فَحَسْبِيَ الْيَوْمَ بَالِيهَا

يَا مَنْ صَدَقْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
مَاذَا رَأَيْتَ بَبَابَ الشَّامِ حِينَ رَأَوَا
وَيُرَكِّبُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ
مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَلًا بِرَاكِبِهِ
فَصَحَّتْ: يَا قَوْمُ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلْنِي
وَكَادَ يَصْبُو إِلَى دُنْيَاكُمْ (عَمَرُ)
رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا

مِثَالُ مَنْ رَحِمْتَهُ

والنارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذْكِهَا
مِنْهَا الدُّخَانُ وَقُوهُ غَابَ فِي فِيهَا
حَالٍ تَرَوُعٌ — لَعَمْرُ اللَّهِ — رَائِيهَا
وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةِ سَالَتْ مَا قِيَهَا

وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقَدَرِ مُنْبَطِحًا
وَقَدْ تَخَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ
رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي عَدِهِ

مثال من تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ

فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
فِي الزُّهْدِ مَنْزِلَةً سُبْحَانَ مُوَلِّيَهَا
أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْفَارُوقِ) تَشْبِيهَا
مَنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلَوَى فَأَشْرِبِهَا
فَكِسْرَةُ الْخُبْزِ عَنْ حُلُوكِ تَجْزِيهَا
تُوجِي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعَتْ مُوَحِّيَهَا
مَالًا لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أَبْغِيهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالٍ أَسْوِيهَا
شَرِيئَتُهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أَثْنِيهَا
أَنَّ الْقِنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا
دُرِّيهِمَاتٍ لَتَقْضِي مِنْ تَشْهِيهَا
هَذَا الدَّرَاهِمَ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا
عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَزِيدِيهَا
أُولَى فَقُومِي لَبَيْتِ الْمَالِ رُدِّيَهَا
بَعْدَ النُّبُوءَةِ أَخْلَاقُ تُحَاكِهَا

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرَكْتَهُمْ
جُوعُ الْخَلِيفَةِ — وَالْدُّنْيَا بَقْبُضَتِهِ —
فَمَنْ يُبَارِي (أَبَا حَفْصٍ) وَسِيرَتِهِ
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلَوَى فَقَالَ لَهَا:
لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَامِحَةً
وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
قَالَتْ: لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُوهُ
لَكِنْ أَجَنَّبُ شَيْئًا مِنْ وَطِيفَتِنَا
حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافئُهَا
قَالَ: اذْهَبِي وَاعْلَمِي إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً
وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ خَمْسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ
فَقَالَ: نَبَّهْتُ مِنِّي غَافِلًا فَدَعِي
وَيَلِي عَلَى عَمَرٍ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ
مَا زَادَ عَنْ قُوْتِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ
كَذَاكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عَهْدَتْ

مثال من هَيْبَتِهِ

تَثْنِي الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ
فِي طَيِّ سِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرْحَمَةٍ

فُؤَادَ وَالِدَةٍ تَرَعَى ذَرَارِيهَا
فَكَمْ أَخَافَتْ عَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
لَا يَنْزِلُ الْبَطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْغَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا
أَنْشُودَةً لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِّي أَغْنِيهَا
أَنْوَارَ طُلُوعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
تُشْجِي بِالْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
لَا يُنْكَرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَغَانِيهَا
خَارَتْ قُوَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُزْدِيهَا
مِنْهُ وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَجَاءَ بَطْشُ (أَبِي حَفْصٍ) يُخَشِّيهَا
وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بِأَسَ مُخْزِيهَا

وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ فِي أَوْفَى صَرَامَتِهِ
أَغْنَتْ عَنْ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُوسَى) لِصَاحِبِهَا
أَخَافَ حَتَّى الذَّرَارِي فِي مَلَاعِبِهَا
أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عَادَ النَّبِيُّ لَنَا
وَيَمَمْتُ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأْتُ
وَاسْتَأْذَنْتُ وَمَشَتْ بِالْذُّفِّ وَانْدَفَعْتُ
(وَالْمُصْطَفَى) (وَأَبُو بَكْرٍ) بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِ لَهَا (عَمْرُ)
وَحَبَّأْتُ دُفُّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا
قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا
فَقَالَ مَهْبِطٌ وَحْيِ اللَّهِ مُبْتَسِمًا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَا

مِثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ

لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَعُوا (الْفَارُوقُ) تَفْقِيهَا
وَجِئْتَنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
فَقَدْ يُزْنُ مِنَ الْجِيْطَانِ آتِيهَا
وَلَا تَلِمَ بَدَارٌ أَوْ تَحْيِيهَا
بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيهَا
لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ يُمْلِيهَا

وَفَتِيَّةٍ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَاَنْتَبَذُوا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمْتَ بِهِمْ
حَتَّى تَبَيَّنَتْهُمْ وَالْخَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ
سَقْفَهُمْ أَرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِثُوا
وَرُمَتْ تَفْقِيهِهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا
قَالُوا: مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ
فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عَمْرُ)
وَاسْتَأْذِنَ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ
وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذَا الْآيُ قَدْ نَزَلَتْ
فَعُدْتُ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ

وما أُنِفَتْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا

عُمَرُ وَشَجَرَةُ الرُّضْوَانِ

وَسَرَحَةٍ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ
أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالَوْا فِي الطَّوَافِ بِهَا
بَبِيعَةِ الْمُصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا تِيهَا
وَكَانَ تَطَوَّافُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا

الخاتمة

هَذَا مَنَاقِبُهُ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ نَابِلَةٌ
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَابِتَةٌ
حَتَّى تَرَى بَعْضَ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهَا
وَحَسْبُهَا أَنْ تَرَى مَا كَانَ مِنْ (عُمَرِ)
لِلشَّاهِدِينَ وَلِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
مِنَ الطَّبَائِعِ تَغْدُو نَفْسَ وَإِيعِهَا
تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
مِنَ الصُّرُوحِ وَمَا عَانَاهُ بَانِيهَا
حَتَّى يُنَبِّهَ مِنْهَا عَيْنَ غَافِيهَا

(٣١) تَحِيَّةُ مُحَمَّدٍ عَسْرَانَ عَبْدِ الْكَرِيمِ

أُنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يوليو سنة ١٩١٩م حين
استقال من الحكومة أوّل مرّة، وهي على لسان تجّار الغلال

لَقَدْ عَاشَرْتَنَا فَلَبِثْتَ فِينَا
بِجِلْمٍ كَانَ مَحْمُودَ الْمَزَايَا
فَإِنْ كُنْتَ اعْتَرَلْتَ إِبَاءَ ضَيْمٍ
فَحَبَّاتُ الْقُلُوبِ تَسُوقُ شُكْرًا
مِثَالًا لِلنَّزَاهَةِ وَالْكَمَالِ
وَعَدْلٍ كَانَ مَمْدُودَ الظَّلَالِ
فَمِثْلُكَ بِالْوِظَائِفِ لَا يُبَالِي
إِلَيْكَ بِقَدْرِ حَبَّاتِ الْغِلَالِ

(٣٢) تَحِيَّةُ أَحْمَدَ شَوْقِي بِكَ (نُشِرَتْ فِي ١٤ أَوْغُسْطُسَ سَنَةِ ١٩١٩م)

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه إلى مصر من منفاه بالأندلس، ولكنّه
عَجَلَ بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم، كما قال في رسالته إلى
الأهرام

فَتَنْظُرِي يَا مِصْرُ سِحْرَ بَيَانِهِ
بِقِيَامِ دَوَاتِهِ وَعَوْدِ حُسَانِهِ
وَالْمَاءِ أَمْسَكَ فِيهِ عَنْ جَرِيَانِهِ
وَالطَّيْرِ مُسْتَمِعٌ عَلَى أَفْنَانِهِ
شَوْقِيَّةٌ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
إِصْغَاءٌ أَمَّةٌ أَحْمَدٌ لِأَذَانِهِ
يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَحْزَانِهِ
وَالْقَصْرِ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
أُبَقَّتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
أَيَّامَ كَانَ النَّجْمُ مِنْ سُكَّانِهِ
وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رَيْعَانِهِ
وَكِتَابُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
قَدْ كَانَ يَخْلَعُهُ عَلَى جِيرَانِهِ
مَنْ أَنَسَهُ الدُّنْيَا وَمَنْ إِنْسَانِهِ
هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتْمَانِهِ
لَمَّا وَقَفَتْ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
وَتَعَدَّدُ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
قَدْ هَوَّنَتْ مَا نَابَهُ فِي آنِهِ
جَاءَتْ مُشْمَرَةٌ لَهْدٌ كِيَانِهِ
وَمُقَلَّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
جَرَحَتْ فَوَادِ الشَّعْرِ فِي أَغْيَانِهِ
بَقَرِيضُهُ وَالْعُجْبُ مِلءُ جَنَانِهِ
رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُّ مِنْ أَرْذَانِهِ
وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ
حَتَّى اسْتَغَاثَ الصُّمُّ مِنْ إِعْلَانِهِ
وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ

وَرَدَ الْكِنَانَةَ عَبَقَرِي زَمَانِهِ
وَأَتَى الْحُسَانَ فَهَنُّوا مُلْكَ النُّهَى
النَّيْلُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْهِ بِسْمِعِهِ
وَالزَّهْرُ مُصْنَعٌ وَالْخَمَائِلُ خُشَعٌ
وَالْقَطْرُ فِي شَوْقٍ لِأَنْدُلُسِيَّةِ
يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنَّمًا
فَاصْدَحْ وَغْنِ النَّيْلُ وَاهْزُرْ عَطْفَهُ
وَاذْكُرْ لَنَا الْحَمَاءَ كَيْفَ رَأَيْتَهَا
مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي
وَاهَا عَلَيْهِ وَأَهْلُهُ وَبُنَاتِهِ
إِذْ مُلْكٌ أَنْدَلُسٍ عَرِيضُ جَاهِهِ
الْفَتْحُ وَالْعُمَرَاءُ آيَةُ عَهْدِهِ
لَبِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِبَاسَ حَضَارَةٍ
زَالَتْ بِشَاشَتِهِ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ
وَطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوَالِ فَيَا تُرَى
فَتَكَلَّمَتْ تِلْكَ الطُّلُولُ وَأَفْصَحَتْ
وَلَعَلَّ نَكَبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ
عَبَّرَ رَأْيِنَاهَا عَلَى أَيَّامِنَا
وَحَوَاثِثُ فِي الْكَوْنِ إِثَرُ حَوَاثِثِ
سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ
كَمْ خَارِجٌ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبُ الْوَرَى
يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَبَدِّلُ الْخُطَا
كَمْ صَكَ مَسْمَعَنَا بِجَنْدَلٍ لَفْظُهُ
مَا زَالَ يُعْلِنُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ
نَصَحَ الْهُدَاةَ لَهُمْ فَزَادَ غُرُورَهُمْ

أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفَصَّلٌ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشْتُو أَحْمَدًا
الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قِسْتَهُ
هَذَا أَمْرُو قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ
إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَنَّمَ مَنَبْرًا
تَخَذَ الْخِيَالَ لَهُ بُرَاقًا فَاعْتَلَى
مَا كَانَ يَأْمَنُ عَثْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ
فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ
هَلْ لِلْخِيَالِ وَلِلْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ
إِنَّا لَنَلْهُوَ إِذْ نَجِدُ وَإِنَّهُ
أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا
يُمْلِي عَلَيْهَا عَقْلُهُ وَجَنَانُهُ
بَسَلْ عَلَى شِعْرَانِنَا أَنْ يَنْطِقُوا
عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ بَدُ الْبِلَى
وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَنَّقَ أَهْلُهُ
فَجَدِيدُهُ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبِلَى
وَرَمَى جَدِيدَهُمْ فَخَرَّ بِنَاؤُهُ
شِعْرَاءُ نَفَحَ الطَّيِّبُ أَنْشَرَ ذِكْرَهُمْ
وَدَّ (ابْنُ هَانِيٍّ) (وَابْنُ عَمَّارٍ) بِهَا
وَلَوْ اسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَاكَ لِأَقْبَلَا
يَا كَرَمَةَ (الْمَطَرِيَّةِ) ابْتَهَجِي بِهِ
مُدِّي الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدِّدِي
كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ فِيهِ شَهْدَتُهُ
غَنَى مُغْنِيهِ فَهَاجَ غِنَاؤُهُ
فَتَرَنَّتْ أَشْجَارُهُ وَتَمَايَلَتْ
فَكَأَنَّ مَجْلِسَنَا هُنَاكَ قَصِيدَةٌ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ رَدَّهُ

لَمْ يَلْفِتِ الْبُؤْذِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ
خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ
لِظَلَمَتِهِ بِالْدَّرِّ فِي مِيزَانِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ
فَتَعَوُّذًا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ
فَوْقَ السُّهَا يَسْتَنُّ فِي طَيْرَانِهِ
رُوحَ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بَعْنَانِهِ
أَوْ تَطْمَعُ الْأَذْهَانَ فِي إِتْيَانِهِ
لَمْ يَبْغِهِ الرُّوَاءُ فِي دِيَوَانِهِ
لِيَجِدُ إِذْ يَلْهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ
هَامَ التُّرَيَّا وَالسُّهَا بِسِنَانِهِ
مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجْدَانِهِ
قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَاسْتَبْذَانِهِ
خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
فِي الرَّقْشِ حَتَّى غَرَّ فِي أَلْوَانِهِ
وَأَعَادَ سُودَدَهُ إِلَى إِبَانِهِ
بِرُوءٍ زُخْرُفِهِ وَبَرَقَ دِهَانِهِ
فِي أَرْضِ أُنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
لَوْ يَظْفِرَانِ مَعًا بِلَثْمِ بَنَانِهِ
رَغَمَ الْبِلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبِقَانِهِ
وَاسْتَقْبِلِي الظُّمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ
عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرِ فِي بُسْتَانِهِ
فَسَكِرْتُ مِنْ دِيَوَانِهِ وَدِنَانِهِ
شَجَوَ الْحَمَامِ عَلَى ذَوَائِبِ بَانِهِ
أَعْوَادُهَا طَرِبًا عَلَى عِيدَانِهِ
مَنْ نَظَّمَهُ طَلَعَتْ عَلَى عُبْدَانِهِ
مَنْ بَعْدَ غُرْبَتِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ

فَتَنْظُرُوا آيَاتِهِ وَتَسْمَعُوا قَد قَامَ بُبْلُكُمْ عَلَى أَغْصَانِهِ

(٣٣) فِي حَفْلِ عُكَازٍ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي؛ لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل: «سوق عكاظ». وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل، ونعيًا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين:

أَسْعَى بِأَمْرِ الرَّئِيسِ	أَتَيْتُ سَوْقَ عُكَازٍ
مُنْكَسَاتِ الرُّءُوسِ	أُزْجِي إِلَيْهِ قَوَافٍ
تُزْهِى بِهِ فِي الطُّرُوسِ	لَيْسَتْ بِذَاتِ رِوَاءٍ
يَسْرِي بِهَا فِي النُّفُوسِ	وَلَا بِذَاتِ جَمَالٍ
بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسِ	لَمْ يَحْبُهَا فَضْلُ شَوْقِي
مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسِ	فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ
حَلِيفِ هَمْ وَبُوسِ	وَهَنْ جُهْدُ مُقْلٍ
يَقُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ	قَالَ الرَّئِيسُ وَمَنْ ذَا
يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ	سَقَى الْحُضُورَ شَرَابًا
فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ	مُعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ
نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ	تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ
شُمُوسَهُ فِي الْكُؤُوسِ	يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
فِي جَلْوَةِ كَالْعَرُوسِ	بَنَاتِ أَفْكَارِ شَوْقِي
أَتَى بِمَعْنَى شُمُوسِ	تُزْهِى بِمَعْنَى سَرِيٍّ
ضَمَّتْ حُمَاةَ الْوُطَيْسِ	وَلَيْلَةَ مِنْ «عُكَازٍ»
أَثَارَهُ فِي الطُّرُوسِ	أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ
إِلَى مَجَالِي الشُّمُوسِ	عَهْدُ سَمَا الشُّعْرِ فِيهِ
مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ	وَوَرْدِهِ كَانَ أَضْفَى
أَسْوَقهَ لِلْجُلُوسِ	فَجِئْتُهَا بِحَدِيثٍ

قد زُرْتُ مُتَحَفٍ مِضْرٍ
 فِي زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ
 فَضِقْتُ ذَرْعًا بِأَمْرِ
 وَكِدْتُ أَصْرَعَ غَمًّا
 وَصَرَعَةُ الْغَمِّ أَذْهَى
 رَأَيْتُ جُنَّةً (خَوْفُو)
 فَقُلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا
 أَجْسَادُ أَمْلاكٍ مِضْرٍ
 مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ قَرْنًا
 أَرَى فِرَاعِينَ مِضْرٍ
 مَعْرُوضَةً لِلْبَرَايَا
 عَنْهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا
 فَدَيْسَ ظُلْمًا جِماهُمْ
 لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ
 عِلْمًا بَأَن سَوْفَ يُمْنَى
 لَوْ أَنَّ أَمْثَالَ (مِينَا)
 بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا

فِي ظُهُرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
 غُرَّ الشَّمَائِلَ شُوسِ
 عَلَى النُّفُوسِ بَنَيسِ
 لَحَظَّهَا الْمَعْكُوسِ
 مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ
 بِقُرْبِ (سَيَزُوسْتَرِيسِ)
 صُنْعِ الْعَقُوقِ الْخَسِيسِ
 وَشَائِدِي مَنَفِيسِ
 لَمْ تَسْتَرَحْ فِي الرُّمُوسِ
 فِي ذِلَّةٍ وَنُحُوسِ
 أَجْسَادُهُمْ بِالْفُلُوسِ
 فِي مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ
 وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
 مِنْ هَائِمَاتِ الْفُئُوسِ
 بِيَوْمٍ شَرٌّ عَبُوسِ
 فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيسِ)
 حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

(٣٤) مدحة للمغفور له (فؤاد الأول)

أنشدها بين يدي جلالتة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر
 سنة ١٩٢٢م

أَقْصَرَ الزَّعْفَرَانُ لِأَنْتَ قَصُرُ
 كِلَا عَهْدِكَ لِلْأَجْيَالِ فَخُرُ
 ثَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلَا وَمَجْدُ
 فَمِنْ نُبُلٍ، إِلَى مَجْدٍ أَثِيلٍ،
 أَضَفْتُ إِلَى صُورِ الْعِلْمِ صَرَحًا

خَلِيقُ أَنْ يَتِيَهَ عَلَى النُّجُومِ
 وَزَهْوُ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ
 وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَثْوَى لِلْعُلُومِ
 إِلَى عِلْمٍ، إِلَى نَفْعٍ عَمِيمِ
 بِزُورَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ

فِيَا لَكَ مَنْزِلًا رَحْبًا سَرِيًّا
وَحَاطَتْهُ بِبُسْتَانٍ أُنِيقِ
(أَبَا فَارُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا
وَلَا عَجَبٌ فِمِصْرٍ عَلَى وَلَاءٍ
يُطَالِعُهَا بَبْرٌ كُلَّ يَوْمٍ
وَيُرْهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِصْرٍ
كَسَوَتْ الْأَزْهَرَ الْمَعْمُورَ ثَوْبًا
قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَادَ يُزْهِى
رَأَى فِيكَ (الْمُعِزَّ) زَمَانَ أَعْلَى
فَهَشَّ وَهَزَّهُ طَرْبٌ وَشَوْقٌ
وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَّتْ
كَذَا فَلِيَحْمِلَ التَّاجِينَ مَلَكُ
وَيَخْشَى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلَى
أَيَّادُنْ لِي الْمَلِكِ الْبَرِّ أَنِّي
فِيَا مِصْرُ اسْجُدِي لِلَّهِ شُكْرًا
فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ
فَدَارُ (الْبَرْلَمَانِ) أَعَزُّ دَارٍ
بِهَا يَنْجَمِلُ الْعَرْشُ الْمُقَدَّى
فَشَرَّفَهَا بَرَبُّكَ وَاخْتَتَمَهَا
بِأَيِّ (مُحَمَّدٍ) وَبِأَيِّ (عِيسَى)
(أَبَا فَارُوقَ) خُذْ بِيَدِ الْأَمَانِي
أَفْقُنَا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ
وَأَصْبَحْنَا بِبُيُوتِكَ فِي نُهُوضٍ
فَحُطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلَّ يَوْمٍ

بَنَنْتُهُ أَنَامِلُ الدُّوقِ السَّلِيمِ
يُريكَ جَمَالَهُ وَجْهَ النَّعِيمِ
لِمِصْرٍ وَهَكَذَا مَنَحُ الْكَرِيمِ
وَمَالِهَا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
وَيَرَعَاهَا بَعَيْنُ أَبِي رَحِيمٍ
إِذَا خَارَتْ لَدَى الْخَطْبِ الْجَسِيمِ
مَنْ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ
بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ
قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ
كَمَا هَشَّ الْحَمِيمِ إِلَى الْحَمِيمِ
بِهِ أَصَوَاتُ شَعْبِكَ كَالْهَزِيمِ
يُعِزُّ شَعَائِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَهْنَى مِصْرَ بِالْأَمْرِ الْكَرِيمِ
وَتِيهِي وَاقْعُدِي طَرْبًا وَقُومِي
تُرْفُ لِكَ الْبَشَائِرُ مِنْ «نَسِيمِ»
تُشَادُّ لَطَالِبَ الْمَجْدِ الْعَمِيمِ
وَتُحْيَا مِصْرُ فِي عَيْشِ رَحِيمِ
وَأُسْعِدْهَا بِدُسْتُورِ تَمِيمِ
فَعَوَّدَهُ وَآيَاتِ (الْكَلِيمِ)
وَحَقَّقْهَا عَلَى رَغَمِ الْخَصِيمِ
عَلَى نَوْمٍ كَأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
يُكَافِي نُهْضَةَ النَّبْتِ الْجَمِيمِ
نَحْفَكَ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَدِيمِ

(٣٥) تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة (نشرت في ١٣ يولية سنة ١٩٢٤م)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة، إذ كان مسافراً إلى الإسكندرية

أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ
قَدْ شُغِلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْمَحْدِ
قُلْ لِذَلِكَ الْأَثِيمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفْ
إِنَّمَا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخْصٍ (سَعْدِ)

قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
لَيْسَ فِيهَا لِيَوْمٍ جَدٌّ سِوَاكَ
وَوَقَاهَا بِلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ
وَشُغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ
بُوبٍ مَا سَالَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ
تُنُون: لَا كُنْتُ، كَيْفَ تَرْمِي السَّمَاءَ؟
أَمَّةٌ حُرَّةٌ فَشَلَّتْ يَدَاكَ

وقال فيه أيضًا: أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو سان استفانو بالإسكندرية؛ تكريماً لسعد، وابتهاجاً بنجاته من حادث الاعتداء عليه:

الشَّعْبُ يَدْعُو اللّٰهَ يَا زَغْلُولُ
إِنَّ الَّذِي اندَسَّ الْأَثِيمُ لِقَتْلِهِ
أَيَمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ؟
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدَّةٍ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبَلَةٍ نَرْمِي بِهَا
النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بَارِضَنَا
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبِ حُولٍ
بِأَشَدَّنَا بِأَسَا وَأَقْدَمْنَا عَلَى
بَفْتَى جَمِيعِ الْقُلُوبِ غَيْرِ مُشْتَتٍ
فَاوِضْ وَلَا تَخْفِضْ جَنَاحَكَ ذِلَّةً
فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجَرَّةِ جَالِسٌ
فَاوِضْ فَخَلَفَكَ أَمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ
عُزْلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ
أَسْطَلُونَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا الـ
مَا الْحَرْبُ تُذَكِّيهَِا قَنًا وَصَوَارِمٌ
خَضَهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدْرَعَا

أَنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جَبْرِيلُ
خَطْبُ عَلَى أَبْنَاءِ مِصْرٍ جَلِيلُ
نُخِرْتُ لَنَا نَسْطُو بِهَا وَنَصُولُ
فَانْفُذْ وَأَقْصِدْ فَالْنَّبَالُ قَلِيلُ
سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زَغْلُولُ
عَنْ قَصْدِ وَادِي النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ
خَوْضُ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبُ مَثُولُ
إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ
إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَفْلُولُ
لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجِيلُ
أَلَا تَنَامُ وَفِي الْبِلَادِ دَخِيلُ
لَا الْجَيْشُ يُفْزِعُهَا وَلَا الْأَسْطُولُ
حُجَجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّدْلِيلُ
كَالْحَرْبِ تُذَكِّيهَِا نُهَى وَعُقُولُ
وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ

وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنْدِيلٌ؟
 مِنْ صَارِمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْلِيلُ
 وَيُحْفِئُهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 لِيرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغِيلُ
 مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَغْسُولُ
 وَالْخَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْقُولُ
 قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفِي الْفُؤَادِ غَلِيلُ
 وَلَهُمْ رَوَايَاتٌ بِهِ وَفُصُولُ
 قَنَصُوا النُّهَى فَاسِيرُهُمْ مَخْبُولُ
 سَعْدِيَّةٌ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولُ
 عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمْثِيلُ
 وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
 مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولُ
 وَلِكُلِّ كَاذِبَةِ الْخِضَابِ نُصُولُ
 مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِكِنَا التَّغْوِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
 مَا إِنَّ لَهُ عَنْ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 أَوْ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
 صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخُطُوبِ جَمِيلُ
 لَكَ رَبِّهِ وَدُعَاؤُهُ مَقْبُولُ
 الدَّمْعُ فِيهِ أَسَى عَلَيْكَ يَسِيلُ
 عِنْدَ انْطَوَائِكَ وَانْقِضَى التَّأْمِيلُ
 حَزُّ الْمُدَى وَلِكَفِّكَ التَّقْبِيلُ
 مِنْ بَيْنِ أَوْسَمَةِ الْفَخَارِ مَثِيلُ
 فِي حُبِّ مِصْرَ مَصُونُهُ مَبْذُولُ

أَزْعِيمُهُمْ شَاكِي السَّلَاحِ مُدَجَّجُ
 وَكَذَلِكَ الْمِنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ
 لَكَ وَقَفَّةٌ فِي الشَّرْقِ تَعْرِفُهَا الْعُلَا
 زَلَزَلُ بِهَا فِي الْغَرْبِ كُلِّ مُكَابِرِ
 لَا تَقْرَبِ (التَّامِيزَ) وَاحْذَرْ وَرَدَهُ
 الْكَيْدُ مَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ
 كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ
 الْقَوْمُ قَدْ مَلَكُوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ
 وَلَهُمْ أَحَابِيلُ إِذَا أَلْقَوْا بِهَا
 فَاحْذَرْ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ
 إِنَّ مَثَلُوا قَدَحَ الْخِيَالِ فَإِنَّمَا
 الشُّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسَخُ
 وَلِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْدَهُمْ
 نَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا
 جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا
 فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةِ
 النَّيْلِ مَنْزَعُهُ لَنَا وَمَصْبُهُ
 وَثَقَّتْ بِكَ الثَّقَّةَ الَّتِي لَمْ يَنْفَرِجْ
 جَعَلَتْ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةً
 كَادَتْ تُجَنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَعَا
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعِيدُ يُصْبِحُ مَأْتَمًا
 لَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَانْطَوَتْ الْمُنَى
 شَلَّتْ أَنْامِلُ مَنْ رَمَى، فَلِكَفِّهِ
 هَذَا وَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَالَهُ
 حَلَيْتَهُ بَدَمٍ زَكِيِّ طَاهِرٍ

لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزُولُ
فِينَا وَزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ
وَيْدًا وَسَيْفُ نَبِينَا الْمَسْلُوكُ
قَبْلَ الرَّحِيلِ لِيَقْطَعَ التَّأْوِيلُ
وَأَقْطَعَ فَحْبْلُكَ بِالْهُدَى مَوْصُولُ
وَعَلَيْكَ مِنْ زَهْرَاتِهَا إِكْلِيلُ
وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ
وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ فُلُولُ
طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُولُ
كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ
مَدْحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ
وَالْوَرْدُ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ دُبُولُ
نَمُهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ
أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
فَاسْتَقْبِلُوهُ وَحَجِّلُوهُ وَطُولُوا

فِي كُلِّ عَصْرِ لِلْجُنَاةِ جَرِيرَةٌ
جَارُوا عَلَى (الْفَارُوقِ) أَعْدَلُ مَنْ قَضَى
وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا فَمَّا
قَفَّ يَا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدَّدْ عَهْدَنَا
فَاوْضُ فَإِنْ أُوجِسَتْ شَرًّا فَاعْتَزِمْ
وَارْجِعْ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَةِ كَاسِيًا
إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخَلَاصِ وَلَا نَنْزِي
كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا
وَقُصُورِ قَوْمِ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى
يَأْيِيهَا النَّشْءُ الْكَرَامُ تَحِيَّةُ
يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَحُمَاتِهَا
جُدْتُ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا
كَمْ مِنْ سَجِينِ دُونِهَا وَمُجَاهِدِ
سَيَرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا
أَنْتُمْ رِجَالُ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدُ

(٣٦) إِلَى الْأَسْتَاذِ أَحْمَدَ لُطْفِي السَّيِّدِ بَك (بَاشَا)

وَجَهَّاهَا إِلَيْهِ حِينَ تَرَجَمَ كِتَابُ الْأَخْلَاقِ لَأَرْسَطُو سَنَةِ ١٩٢٤م

بَلَدٍ عَنِ الْأَخْلَاقِ عَارِي
دِلٌ فِي مَقَامِكَ أَوْ يُمَارِي
أَدَبَ الْكِتَابَةِ وَالْجَوَارِ
بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الثَّمَارِ
ج نَوَادِرِ الْفَلَكَ الْمُدَارِ
وَوَصَلَتْ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ
مَاسٌ بِمِيزَانِ التَّجَارِ
صَوْنُ اللَّالِئِ فِي الْمَحَارِ

يَا كَاسِيِ الْأَخْلَاقِ فِي
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُجَا
بِالْأَمْسِ قَدْ عَلَّمْتَنَا
وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْطَفْتَنَا
بِكِتَابِ رَسْطَالِيسَ تَا
جَاهَدْتَ فِي تَفْصِيلِهِ
تَزِنُ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ
وَتَصُونُ مَعْنَى رَبِّهِ

وَتَضُنُّ إِهْقَانَ الْكَلَا
حَتَّى حَسِبْتُكَ فِي الْأَنَا
صَنَعًا يُصَوِّرُ فِي الْقُصُ
إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ
فَإِذَا الْمُتَرْجِمُ مَائِلٌ
وَعَلَيْهِمَا نُورٌ يَفِيـ
قَالُوا: لَقَدْ هَجَرَ السَّيَا
تَرَكَ الْمَجَالَ لَغَيْرِهِ
لَا تَظْلِمُوا رَبَّ النَّهْيِ
هَجَرَ السِّيَاسَةَ لِلْسَّيَا
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي
لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْفَضِيـ
وَأَفَاهُمْ بِدَعَائِمِ الـ
أَسَّ السِّيَاسَةَ وَالنَّجَا
كَلِفَتْ بِهَا وَتَمَسَّكَتْ
يَا عَاشِقَ الْخُلُقِ الصَّرِيـ
إِنِّي اخْتَبَرْتُكَ فِي الْكُفُ
لَمْ يَجْرِ فِي نَادِيكَ هُجـ
حُلُوُ التَّوَاضُعِ وَالتَّوَا
مُرُّ التَّكَبُّرِ حِينَ يَدُ
سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَإِدْعَا
وَأَجْعَلْ عَلَى لُقْمِ الطَّرِيـ
إِنَّا إِلَى (كُتِبَ السَّيَا
عَجَلٌ بِهَا قَبْلَ (الْفَسَا
إِنَّا نُنَاضِلُ أُمَّةً
عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
أَمَسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَطُلُـ

مِ كَضُنُّ إِهْقَانِ النَّضَارِ
ةِ وَالْأَخْتِبَارِ وَالْأَخْتِبَارِ
صِ لَدَى الْفَرَاغَةِ الْكِبَارِ
بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْإِعْتِبَارِ
جَنْبَ الْمُؤَلَّفِ فِي إِطَارِ
خُضٍّ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ
سَةً وَانْزَوَى فِي عُقْرِ دَارِ
وَرَأَى النَّجَاةَ مَعَ الْفِرَارِ
وَحَذَارٍ مِنْ خَطَلٍ حَذَارِ
سَةً لَا لِنَوْمٍ أَوْ قَرَارِ
يَبْنِي لَهُمْ خَلْفَ السَّتَارِ
لِلْـ وَالْحَقِيقَةِ وَالذِّمَارِ
أَخْلَاقٍ وَالْحَكْمِ السَّوَارِ
حِ وَحِصْنِ سَيِّدَةِ الْبِحَارِ
قَبْلَ الْفِيَالِقِ وَالْجَوَارِ
حِ وَشَانِي الْخُلُقِ الْمُوَارِ
لَةً وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِبَارِ
رُ الْقَوْلِ أَوْ خَلْعِ الْعِذَارِ
ضُعْ آيَةُ الْقَوْمِ الْخِيَارِ
عُوكَ التَّوَاضُعِ لِلصَّغَارِ
فَلَأَنْتَ مَأْمُونُ الْعِثَارِ
قِ صَوَى تَلُوحٍ لِكُلِّ سَارِ
سَةً) يَا حَكِيمُ عَلَى أَوَارِ
دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ
أَقْطَابِهَا أَسْدُ ضَوَارِ
وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِ
سَمِ يَحْيِرُ كُلَّ قَارِ

إِنْ يُنْكِرُوا بَعْضَ الْغُمُو
فَلَأْتَهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا
لَمْ يَغِي أَحْمَدُ أَنْ يَجِي
وهو الْمُجَلِّي فِي أَسَا
لُغَةُ الْعُلُومِ حَقَائِقُ
تَأْبَى الْغُلُوَّ وَتَحْسَبُ الـ
وَالنَّقْلُ إِنْ عِدِمَ الْأَمَا
ضِ عَلَى أَدِيبٍ ذِي اقْتِدَارٍ
أَنَّ الْمُتَرْجِمَ فِي إِسَارٍ
ءَ بَأْيٍ قَيْسٍ أَوْ نِزَارٍ
لِيبِ الْفَصَاحَةِ وَالْمُبَارِي
هِيَ عَنْ زَخَارِفِنَا غَوَارِي
إِغْرَاقَ كَالثُوبِ الْمُعَارِ
نَهْ كَانَ عَنْوَانُ الْخَسَارِ

(٣٧) إلى حفني بك محمود (نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م)

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجيزة

يَا كَاسِيَ الْخُلُقِ الرَّضِيِّ وَصَاحِبَ الـ
إِنْ رَشْحُكَ فَأَنْتَ مِنْ بَيْتٍ رَمَى
زُكَّاكَ إِقْدَامٌ وَرَأْيٌ شَاهِدُ
لو كُنْتَ بَيْنَ النَّاخِبِينَ لَأَذْرَكُوا
أَدَبِ السَّرِيِّ وَيَا فَتَى الْفِتْيَانِ
بِسَهَامِهِ عَنْ حَوَزَةِ الْأَوْطَانِ
وَنَقْيِ إِيْمَانٍ وَحُسْنِ بَيَانٍ
مَا فَيْكَ يَا (حَفْنِي) مِنْ رِضْوَانِ

(٣٨) إلى سعد زغلول باشا (نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م)

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

مَا بَالُ (دَنْدَرَةِ) تَمِيسُ تَهَادِيًا
وَالنَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهَا مُتَهَلِّلًا
أَلْعَلَّهَا وَالتَّيَّةُ يَنْثُنِي عِطْفَهَا
إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً
هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ
وَتَيَمَّنِي بِقُدُومِهِ وَتَرْفَقِي
وَتَنْظُرِي إِنَّ الْخَلَاصَ مُحْتَمٌ
كَمْ أَزْمَةٌ مَرَّتْ بَنَا فَاجْتَاَحَهَا
يَأْيُهَا السَّبَاقُ فِي طَلَبِ الْعُلَا
سَبَقَ الْبَشِيرُ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيًا
مَيْسَ الْعُرُوسِ مَشَتْ عَلَى إِسْتَبْرَقٍ
وَالْمَوْجُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ وَمُصَفَّقٍ
حَمَلَتْ رِكَابَ زَعِيمِ قَلْبِ الْمَشْرِقِ
قَدْ زَانَهَا وَضَحُ الْجَبِينِ الْمَشْرِقِ
بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَا وَفُودُ تَدَفَّقِي
عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمِي وَتَفَرَّقِي
فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرَنَا لِمُؤَفَّقٍ
(سَعْدُ) بِسَيْلِ بَيَانِهِ الْمُتَدَفَّقِ
هَآ قَدْ أَتَيْتَ مُجَلِّيًا لَمْ تُسَبِّقْ
وَرِكَابُ سَعْدٍ وَإِنِّيَا لَمْ يُلْحَقْ

(٣٩) تهنئة أحمد شوقي بك

أنشدتها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧م وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بشعر أمير الدُولَتَيْنِ وَرَجَّعِي
يِرَاعَةً شَوْقِي فِي ابْتِدَاءٍ وَمَقْطَعٍ
إِذَا مَا نَبَا الْعَسَالُ فِي كَفِّ أَرْوَعٍ
مَوَاقِعُ صَيِّبِ الْغَيْثِ فِي كُلِّ بَلْقَعٍ
وُفُودُ الْمَعَانِي خُشْعًا عِنْدَ خُشْعٍ
وَإِنْ غَضِبْتَ جَاءَتْ بِنَكْبَاءٍ زَعَزَعٍ
وَأُحْنَى عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ تَذِي مُرْضِعٍ
وَرَوْحُ لِمَنْ يَأْسَى وَذِكْرَى لِمَنْ يَعِي
سِبَاقُ حَيَادٍ فِي مَجَالِ مُرْبَعٍ
تُنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
أَنَامِلُهُ كَفَّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ
نُفَاحُ أَهْلِ الشَّرْقِ فِي أَيِّ مَجْمَعٍ
وَنَزْدَادُ فَخْرًا مِنْ (عَلِيٍّ) بِمِبْضَعٍ
وَتِلْكَ شِفَاءُ الْوَالِدِ الْمُتَوَجِّعِ
وَلَيْنُ عَيْشٍ فِي مَصِيفٍ وَمَرْبَعٍ
يُنَشِّأُ عَلَى النُّعْمَى وَيَمْرَحُ وَيَرْتَعِ
فَتَيَّ الْهَوَى وَالْقَلْبُ جَمَّ التَّمَنُّعِ
وَإِتْيَانِهِ بِالْمُعْجَزِ الْمُتَمَنِّعِ
وَشَيَّبَتْ الْهَيْجَاءُ رَأْسَ الْمُدَّرَعِ
وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفَعِ
لَايَاتِهِ أَوْ أَنْ يَجِيءَ بِمُسْمِعِ
(بَهَارُونَ) مَا يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعِ
وَأَيَّامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَغْبُودِهِ (رَعِ)

بَلَابِلَ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ اسْجَعِي
أُعِيدِي عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا غَرَدَتْ بِهِ
بَرَاهَا لَهُ الْبَارِي فَلَمْ يَنْبُ سِنَّهَا
مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجِدَّبُ
لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفْظِ تَنْسَاقُ خَلْفَهَا
إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ
أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ
عَلَى سِنَّهَا رَفُقُ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ
تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرْسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا
تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِهَا
تُحَاوِلُ قُوَّةَ الْفِكْرِ لَوْ لَمْ تَكْفُهَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا بِذُخْرِي نَبَاغَةٍ
نُفَاحُ مَنْ (شَوْقِيْنَا) بِيرَاعَةٍ
فَذَاكَ شِفَاءُ الْجِسْمِ تَذْمِي جِرَاحِهِ
نَمَتِكَ ظِلَالُ وَإِرْفَاتُ وَأَنْعُمُ
وَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْمُلُوكِ ثَوَاؤُهُ
لِئِنْ عَجِبُوا أَنْ شَابَ (شَوْقِي) وَلَمْ يَزَلْ
لَقَدْ شَابَ مِنْ هَوْلِ الْقَوَافِي وَوَقَعِهَا
كَمَا شَيَّبَتْ هُوْدُ ذَوَابَةِ أَحْمَدِ
يَعِيبُونَ (شَوْقِي) أَنْ يَرَى غَيْرَ مُنْشِدِ
وَمَا كَانَ عَابًا أَنْ يَجِيءَ بِمُنْشِدِ
فَهَذَا (كَلِيمُ اللَّهِ) قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ
بَلَّغْتَ بِوَصْفِ النَّيْلِ مَنْ وَصَفَكَ الْمَدَى

وما سُقَّتْ من عَادِ البلادِ وأهلِها
فأطْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لو تَنَسَّقَتْ
أ(مَنْ أَيَّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قد تَفَجَّرَتْ
وفي (تَوَتْ) ما أَعْيَا ابْتِكَارُ مُوَفَّقٍ
أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُئُونِي تَذَكُّرًا
و(سَلْ يَلْدِرَا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَالَهَا
أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أُنْدُلُسٍ) بما
وفي نَسَجٍ (صُدَّاحٍ) أَتَيْتُ بَايَةَ
ورائعٍ وَصَفٍ فِي (أَبِي الْهَوْلِ) سُقَّتْهُ
خَرَجْتَ بِهِ عَنْ طَوْقِ كُلِّ مُصَوِّرٍ
وفي (انْظُرْ إِلَى الْأَقْمَارِ) زَفَرَةٌ وَاجِدٍ
بَكَيْتُ عَلَى سِرِّ السَّمَاءِ وَطُحْرُهَا
شَيَاطِينُ إِنْسٍ تَسْرِقُ السَّمْعَ خُلُصَةً
وَسِينِيَّةٌ (لِلْبُحْثَرِيِّ) نَسَخَتْهَا
أَتَى لَكَ فِيهَا طَائِعًا كُلُّ مَا عَصَى
شَبَا (الْبُحْثَرِيِّ) إِيوَانُ (كِسْرَى) وَهَاجَهُ
وَقَفَّتْ بِهَا تَبْكِي الرُّبُوعَ كَمَا بَكَى
فَنَسَجُكَ كَالِدِيْبَاجِ حَلَاهُ وَشَيْهِ
وَشِعْرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا
أ(أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضُّهُ)
و(قَلْبِي أَتَكَرَّتْ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ)
تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ
فَبَالِلِهِ دَعٌ لِلنَّاثِرِينَ وَسِيلَةً
عَمِلْتُ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنِلْتَهُ
جَلَا شِعْرُهُ لِلنَّاسِ مِرَاةٌ عَصْرُهُ
يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدَ) مَاثِلًا
وَيَشْتَوِ رُقَى (هُوْجُو) وَيَأْتِي نَسِيبُهُ

وما قُلْتُ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) وَ(خَفَرَع)
مَعَ النِّيَّاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمَطْلَعِ
يَنَابِيعِ هَذَا الْفِكْرِ أَمْ (أَخْتُ يَوْشَعَ)
وَفِي (نَاشِئُ فِي الْوَرْدِ) إِلَهَامُ مُبْدِعِ
كَمَا نَثَرْتُ (رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ) أَدْمَعِي
عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أَنْسَى جَمَالَ (الْمُقَنَّعِ)
أَطَلْتُ فَكَانَتْ لِلنَّهْيِ خَيْرَ مَسْرَعِ
مِنَ السَّهْلِ لَا تَنْقَادُ (لَابْنِ الْمُقَفِّعِ)
كَبُسْتَانِ نَوْرِ قَبْلَ رَغِيكَ مَا رُعِي
يُجِيدُ دَقِيقَ الْفَنِّ فِي جَوْفِ مَصْنَعِ
وَأَنَّهُ مَقْرُوحُ الْفَوَادِ مُوَزَّعِ
وَمَا ابْتَدَلُوا مِنْ خِدْرِهَا الْمُتَرَفِّعِ
وَلَا تَحْذَرُ الْمَخْبُوءَ لِلْمُتَسَمِّعِ
بَسِينِيَّةٌ قَدْ أَخْرَسَتْ كُلَّ مَدْعِي
عَلَى كُلِّ جَبَّارِ الْقَرِيحَةِ أَلْمَعِي
وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَشْجَانُ مُوَجِّعِ
فِيَا لَكُما مِنْ وَاقِفَيْنِ بِأَرْبَعِ
وَفِي النَّسَجِ مَا يَأْتِي بِثَوْبٍ مُرَقَّعِ
وَشِعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْقَعِ
مِنَ الْوَحْيِ وَالْإِلَهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْدَعِي
رُقَى السَّحْرِ أَمْ أَنَا تُسْوَانُ مُوَلِّعِ
فَلَمْ تُبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إِصْبَعِ
تُفِيءُ عَلَيْهِمْ وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
فَقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
وَمِرَاةَ عَهْدِ الشَّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ)
وَأَوْنَةَ (بِالْبُحْثَرِيِّ) الْمُرْصَعِ
لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْفَرِيدِ) بِأَرْبَعِ

وإن خَطَرْتُ ذِكْرِي الفُحُولِ بفَارِسِ
أَتَانَا بَرَوْضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي مَدَاهُ مُنَافِسًا
فَذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ قَاطِعُ
وَهْلٍ تَذْفَعُ الدَّرْعُ الْمَنِيْعَةُ صَارِمًا
نُفَيْتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَكُ ضَارِعًا
وَأَخْصَبْتَ فِي الْمَنْفَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا
لَقَدْ زَادَ (هُوْجُو) فِيهِ خِصْبَ قَرِيحَةٍ
وَأَذْرَكَ (سَامِي) بِالْجَزِيرَةِ غَايَةً
تَذَكَّرْتَ عَذْبَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةً
وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرْبَةً
أَنْزَوَى وَلَا تَرْوَى وَأَنْتَ أَحَقُّنَا
وإن شِئْتَ عَنَّا يَا سَمَاءَ فَأَقْلِعِي
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْذَّ بِنَهْلِهِ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَرِدَّكَ سَالِمًا
وَعُدْتَ فَقَرَّتْ عَيْنُ مِصْرَ وَأَضْبَحَتْ
وَأَذْرَكْتَ مَا تَبْغِي وَشَيْدْتَ آيَةً
يَحْفُ بِهَا رَوْضُ يَحْيَى بُدُورَهَا
حِمَى يَتَهَادَى النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأَمْسِ قَطْرَةً
أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا
فَعَنَّ رُبُوعَ النَّيْلِ وَاعْطَفَ بِنَظَرَةٍ
وَلَا تَنْسَ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنِتَبُ الْهُوَى
وَحَيِّ ذُرًّا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتُونُسَ)
فَفِي الشَّعْرِ حَثُّ الطَّامِحِينَ إِلَى الْعُلَا
وَفِي الشَّعْرِ مَا يُغْنِي عَنِ السَّيْفِ وَقَعُهُ
وَفِي الشَّعْرِ إِحْيَاءُ النُّفُوسِ وَرِيْهَا

وَمَا خَلَّفُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعٍ
(حَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيَرْتَعِي
طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ
فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَفِرُّ دَرْعًا وَيَقْطَعُ
بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعٍ
وَمَنْ تَرَمِهِ الْأَيَّامُ يَجْزَعُ وَيَضْرَعُ
وَفِي النَّفْيِ خِصْبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِيدِ
وَأَبَ إِلَى أَوْطَانِهِ جَدًّا مُمْرِعٍ
إِلَيْهَا مُلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَنْطَلِعْ
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشْعَشِعٍ
فَقَطَعْتَ أَحْشَائِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلُعِي
بِرِّي فَيَا قَلْبَ النُّبُوغِ تَقْطَعُ
وَيَا مَاءَهَا فَاكْغُفْ وَيَا أَرْضُ فَاْبْلَعِي
وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعٍ
وَمَنْ يَرَعُهُ يَسْلَمُ وَيَغْنَمُ وَيَرْجِعُ
رِيَاضُ الْقَوَافِي فِي ربيعِ مُوْشَعٍ
عَلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ فِي خَيْرِ مَوْقِعٍ
بُكُورًا بِرِيًّا عَزَفَهُ الْمُتَضَوِّعُ
تَهَادِي خَوْدٍ فِي رِءَاءِ مُجْزَعٍ
فَدُونُكَهَ فَاْبِرُدْ غَلِيلَكَ وَانْقَعِ
وَهَذَا وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي
عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَاصْدَحْ وَأَبْدِعْ
وَمَرْعَى الْمَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتِّعْ
نَصِيبًا مِنَ السَّلَوى وَقَسِّمْ وَوَرِّعْ
وَفِي الشَّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّعِ
كَمَا رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ بَيْتُ (لَأَشْبَحَ)
وَأَنْتَ لِرِيِّ النَّفْسِ أَعَذْبُ مَنْبَعِ

فَنَبَهَ عُقُولًا طَالَ عَهْدُ رُقَايَهَا
فَقَدْ غَمَرَتْهَا مِخْنَةٌ فَوْقَ مِخْنَةٍ
وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا زِلْتَ قَادِرًا
وَحُذْ بِزِمَامِ الْقَوْمِ وَاَنْزِعْ بِأَهْلِهِ
وَقِفْنَا عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ فَإِنَّا
مَلَأْنَا طِبَاقَ الْأَرْضِ وَجَدًّا وَلَوْعَةً
وَمَلَّتْ بَنَاتُ الشَّعْرِ مِنَّا مَوَاقِفًا
وَأَقْوَامُنَا فِي الشَّرْقِ قَدْ طَالَ نَوْمُهُمْ
تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا
وَكَانَ بَرِيدُ الْعِلْمِ عَيْرًا وَأَيْنُقًا
فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبُخَارَ مَطِيَّةً
وَقَدْ كَانَ كُلُّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبْلَةٍ
وَنَحْنُ كَمَا غَنَى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ
عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى
لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَاثِ عُدَّةٌ
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ نَقُمْ بِهَا
أَتَمْشِي بِهِ شَمَّ الْأَنْوَفِ عُدَاتِهِ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تَرَى
وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خُفِّقَ
وَكَيْفَ يُوقَى الشَّرُّ أَوْ يَبْلُغَ الْمُنَى
فَإِنْ كُنْتَ قَوَالًا كَرِيمًا مَقَالُهُ

وَأَفئِدَةً شُدَّتْ إِلَيْهَا بِأَنْسَعِ
وَأَنْتَ لَهَا يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ فَاذْفَعِ
عَلَى النَّفْعِ فَاسْتَنْهْضِ بَيَانَكَ وَانْقَعِ
إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلْيَاءِ أَكْرَمَ مَنْزَعِ
سَلَكْنَا طَرِيقًا لِلْهُدَى غَيْرَ مَهْيَعِ
بِهَنْدٍ وَدَعْدٍ وَالرَّبَابِ وَبَوَزَعِ
بِسْقَطِ اللَّوَى (وَالرُّقْمَتَيْنِ) (وَلَعْلَعِ)
وَمَا كَانَ نَوْمُ الشَّعْرِ بِالْمُتَوَقَّعِ
يَرُونَ مُتَوْنَ الْعِيسِ أَلَيْنَ مَضْجَعِ
مَتَى يُعْطِيهَا الْإِجَافُ فِي الْبِيدِ تَطْلُعِ
وَلَا السَّلَكُ فِي تَيَّارِهِ الْمُتَدَقِّعِ
فَأَصْبَحَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مِذْفَعِ
نَغْنَى بِأَرْمَاحٍ وَبِيضٍ وَأَذْرَعِ
لشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُمْتَعِ
وَعُدَّتْنَا نَدْبُ الثَّرَاثِ الْمُضَيِّعِ
بِعَامَةِ رُكْنِ الْمَشْرِقِ الْمُتَزَعِّعِ
وَرَبُّ الْحِمَى يَمْشِي بِأَنْفٍ مُجَدِّعِ
كَوَاكِبُهُ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طُلُعِ
وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ شُرَّعِ
عَلَى مَا نَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ
فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْ دَعِ

(٤٠) إلى المحتفلين بتكريم حافظ (نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨م)

بيتان قالهما في المأدبة التي أقامها بعض أدباء الغرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوقي) (ومطران)

قد قرأناكم فهشت نهانا فاقتبسنا نوراً يضيء السبيلاً

فأقرءونا ومن لنا أن تُصيّبوا بين أفكارنا شعاعاً ضئيلاً

(٤١) تحية لجمعية المرأة الجديدة (نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م)

إليكنَّ يُهدي النّيلُ ألفَ تحيّةٍ
مُعطرّةٍ في أسطُرٍ عِطراتِ
ويُثني على أعمالِكنَّ موَكّلي
بإطراءِ أهلِ البرِّ والحَسَناتِ
أَقْمُتُنَّ بالأمسِ الأساسَ مُبارِكًا
وَجِئْتُنَّ يومَ الفَتَحِ مُغْتَبِطاتِ
صَنَعْتُنَّ ما يُغيي الرجالَ صنيعُهُ
فَزِدْتُنَّ في الخَيْرَاتِ والبركاتِ
يقولون: نِصفُ النَّاسِ في الشَّرْقِ عاطلُ
نِساءٍ قَصَيْنَ العُمَرَ في الحُجراتِ
وهذي بناتُ النّيلِ يَعمَلْنَ للنّهْيِ
ويَغْرِسْنَ عَرَسًا داني الثَّمَراتِ
وفي السَّنَةِ السّوداءِ كُنْتُنَّ قُدُوةً
لنا حينَ سالَ المَوْتُ بالمُهجَاتِ
وَقَفْتُنَّ في وَجْهِ الخَمِيسِ مُدَجَّجًا
وَكُنْتُنَّ بالإيمانِ مُعْتَصِماتِ
وما هالَكُنَّ الرُّمَحُ والسَّيْفُ مُصَلَّتًا
ولا المِدْفَعُ الرِّشَّاشُ في الطُّرُقَاتِ
تَعَلَّمَ منكنَّ الرجالُ فأصْبَحُوا
على غَمَرَاتِ المَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ
(صَفِيَّةُ) قَادَتُكُنَّ لِلْمَجْدِ والعُلا
كما كان (سَعْدُ) قائدَ السَّرواتِ
عَرَفْنَا لها في مَجْدِ (سَعْدِ) نَصيبِها
مِنَ الحَزْمِ والإقْدامِ في الأَزْماتِ

تَهَوُّنٌ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ هُجُومَه
 عَلَى الْهَوْلِ بِالتَّشْجِيعِ وَالْبَسَمَاتِ
 وَتَدَفُّعُهُ لِلْمَوْتِ وَالتَّغْرِ بِاسْمٍ
 وَفِي صَدْرِهَا نَوْءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ
 كَذَا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الْكَرِيمِ وَصَبْرُهُ
 عَلَى دَهْرِهِ وَالدَّهْرِ غَيْرُ مُوَاتِي
 لَتَحْيِ الْغَوَانِي فِي ظِلَالِ مَلِيكَةٍ
 سَمَتْ فِي مَعَالِيهَا عَلَى الْمَلِكَاتِ
 وَظَلَّ (فَوَادٍ) مَفْخَرِ الشَّرْقِ كُلِّهِ
 كَثِيرَ الْأَيْدِي صَادِقَ الْعَزَمَاتِ

(٤٢) إِلَى مُحَمَّدٍ حُسَيْنِ هَيْكَلِ بَكٍ وَخَلِيلِ مَطْرَانَ بَكٍ (نُشِرَتْ فِي ١٨ أBRIL
 سَنَةِ ١٩٢٨م)

قَالَهَا فِي مَنَازِرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ هَيْكَلٍ وَمَطْرَانَ فِي مَدْرَجِ كَلِّيَّةِ الْآدَابِ، مَوْضُوعُهَا: «هَلِ
 الْآدَبُ الْعَرَبِي — قَدِيمُهُ وَحْدِيَّتُهُ — يَكْفِي وَحْدَهُ لَتَكْوِينِ الْآدِيبِ؟»

سَمَا الْخَطِيبَانِ فِي الْمَعَالِي	وَجَازَ شَأَوَاهُمَا السَّمَاكََا
جَالًا فَلَمْ يَنْزُكََا مَجَالًا	وَاعْتَرَكَا بِالنُّهَى عِرَاكََا
فَلَسْتُ أَذْرِي عَلَى اخْتِبَارِي	مَنْ مِنْهُمَا جَلٌّ أَنْ يُحَاكِي
فَوَحْيِي عَقْلِي يَقُولُ: هَذَا	وَوَحْيِي قَلْبِي يَقُولُ: ذَاكََا
وَدِدْتُ لَوْ كُلُّ نِي غُرُورٍ	أُمْسَى لِنَعْلِيهِمَا شِرَاكََا

(٤٣) تَحِيَّةُ الشَّامِ (نُشِرَتْ فِي ٢ يُونِيهِ سَنَةِ ١٩٢٩م)

أَنَشَدَهَا فِي الْحَفْلِ الَّذِي أَقِيمَ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِالْجَامِعَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ بِبَيْرُوتِ

حَيَّا بَكُورُ الْحَيَا أَزْبَاعَ لُبْنَانَ
 وَطَالَعَ الْيُمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَّانِي

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي
 بِمِنَّةٍ خَرَجَتْ عَنْ طَوْقِ تَبْيَانِي
 قُلْ لِلْكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَيَّ يَدًا
 أَنِّي نَزَحْتُ فَأَنْتَ النَّازِحُ الدَّانِي
 مَا إِنَّ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ عَارِفَةٍ
 هَلْ يَحْدُثُ الذُّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نِسْيَانٍ
 وَلَا عَتَبْتُ عَلَى خِلٍّ يَضُنُّ بِهَا
 مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي شُكْرِي وَعِرْفَانِي
 أَقَرَّ عَيْنِي أَنِّي قُمْتُ أَنْشِدُكُمْ
 فِي مَعْهَدٍ بَحَلَى الْعِرْفَانِ مُزْدَانٍ
 وَشَاعَ فِي سُورٍ لَا يُعَادِلُهُ
 رَدُّ الشَّبَابِ إِلَى شَعْرِي وَجُثْمَانِي
 لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ أَعْظَمُهُ
 وَلِي هُنَا فِي جِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانِي
 إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلًّا
 مِنْ الْجَلَالِ أَرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
 لَمْ يَمُحْ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِهَا
 عَلَى التَّعَاقُبِ مَا يَمُحُو الْجَدِيدَانِ
 حَسِبْتُ نَفْسِي نَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا
 أَهْلِي وَصَحْبِي وَأَحْبَابِي وَجِيرَانِي
 مِنْ كُلِّ أْبْلَجٍ سَامِي الطَّرْفِ مُضْطَلَعٍ
 بِالْخَطْبِ مُبْتَهَجٍ بِالضَّيْفِ جَدْلَانِ
 يَمْشِي إِلَى الْمَجْدِ مُخْتَلًا وَمُبْتَسِمًا
 كَأَنَّهُ حِينَ يَبْدُو عُودُ مُرَّانٍ
 سَكَنْتُمْ جَنَّةَ فَيْحَاءَ لَيْسَ بِهَا
 عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي

إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا
 لَمْ تَلَوْ فِي وَشْيِهِ صُنْعًا لِإِنْسَانٍ
 فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلَسَلَهَا
 بُرْءُ الْعَلِيلِ وَسَلَوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي
 وَفِي تَضَوُّعِ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا
 رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينِ الْقَلْبِ أَسْوَانٍ
 أَنَّى تَخَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنَانٍ) مَنْزِلَةً
 فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ
 يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَةٍ
 قَلْبِي جَمِيعٌ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجَدَانِي
 أَقْضِي الْمَصِيفَ بَلْبَانٍ عَلَى شَرَفٍ
 وَلَا أُحُولُ عَنِ الْمَشْتَى (بَحْلَوَانِ)
 يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَنْشُدْهَا
 بَيْنَ الصَّنَوْبِرِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانِ
 تَسْتَهْبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا
 وَيَنْتَنِي مَلَكًا فِي الشُّعْرِ شَيْطَانِي
 عَلَيَّ أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا
 بِشَاعِرِ الْأَرْزِ فِي صُنْعٍ وَإِتْقَانِ
 لَا بَدْعَ إِنْ أَخْصَبْتُ فِيهَا قَرَائِحُكُمْ
 فَأَعْجَزْتُ وَأَعَادْتُ عَهْدَ (حَسَّانِ)
 طِيبُ الْهَوَاءِ وَطِيبُ الرَّوْضِ قَدْ صَقَلَا
 لَوْحَ الْخَيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
 مَنْ رَامَ أَنْ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مَائِلَةً
 فَلْيَغْشَ أَحْيَاءُكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ
 تَاهَتْ بِقَبْرِ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُهَا
 وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا تِيهًا (بِمَطْرَانِ)

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّـ
 عَرِ الْحَدِيثِ فَنِعْمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
 إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ
 فَبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
 رَعِيًا لَشَاعِرِكُمْ، رَعِيًا لَكَاتِبِكُمْ
 جَزَاهُمَا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ
 أَرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدِّ
 نِيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيَانِ
 قَدْ شَيَّدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً
 شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرْوِي كُلَّ ظَمْآنِ
 لَنْ هَدُوكُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ
 تَهْدِي أَوَائِلَهُمْ أَزْمَانِ أَزْمَانِ
 لَا عَزَّوْا إِنْ عَمَّرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَكَّرُوا
 فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحٍ وَعُمُرَانِ
 فَتِلْكَ دُنْيَاهُمْ فِي الْجَوِّ قَدْ نَزَعَتْ
 أَعْنَةَ الرِّيْحِ مِنْ دُنْيَا سُلَيْمَانَ
 أَبَتْ أُمِّيَّةٌ أَنْ تَفْنَى مَحَامِدُهَا
 عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
 فَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي (جِلْقٍ) نُجْبِ
 وَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانِ)
 عَافُوا الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ
 عِزُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَوْتِ سِيَّانِ
 لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَيْمٍ يُحَاوِلُهُ
 بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الْجَانِ
 شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (بَيْرُوتِ) فَمَا أَخَذَتْ
 عَيْنَايَ فِي سَاحِلِهَا حَانُوتَ يُونَانِي

فقلتُ في غِبْطَةٍ: للهِ دَرُهمُ
 ليسَ الفلاحُ لِوإنِ غيرِ يَقْظانِ
 تَيَمَّمُوا أَرْضَ كُولُمْبٍ فما شَعَرَتْ
 منهم بوطءٍ غريبِ الدارِ حَيْرانِ
 سادُوا وشادُوا وأبَلُوا في مَنابِها
 بلاءُ مُضْطَلِعٍ بالأمْرِ مِعْوانِ
 إنْ ضاقَ مَيدانُ سَبْقٍ من عَزائِمِهِمْ
 صاحَتْ بهم فأروها أَلْفَ مَيدانِ
 لا يَسْتَشِيرُونَ إنْ هَمُّوا سِوى هِمِّ
 تَأبَى المَقامَ على ذُلٍّ وإذعانِ
 ولا يُبَالُونَ إنْ كانتْ قُبورُهُمْ
 ذُرًّا الشَّوامِخِ أو أَجوافَ حِيتانِ
 في الكَوْنِ مَوْرِقُهُمْ في الشامِ مَغْرَسُهُمْ
 والغَرْسُ يَزكو نِقالاً بينَ بُلدانِ
 إنْ لَمْ يَفُوزوا بِسُلطانٍ يُقَرُّهُمْ
 ففي المُهَاجِرِ قد عَزُّوا بِسُلطانِ
 أو ضاقتِ الشَّامُ عنْ بُرْهانِ قُدْرَتِهِمْ
 ففي المُهَاجِرِ قد جاءوا بِبُرْهانِ
 إنَّا رأينا كِراماً من رِجالِهِمْ
 كانوا عليهم لَدِينا خيراً عُنْوانِ
 أنى التَّقِينا التَّقَى في كلِّ مُجْتَمَعٍ
 أَهْلٌ بأهْلٍ وإِخوانٌ بإِخوانِ
 كم في نواحي رُبوعِ النِّيلِ من طُرْفِ
 (لِليازجِي) و(صَرُوفٍ) و(زَيدانِ)
 وكمْ لأَحْيائِهِمْ في الصُّحُفِ من أَثَرِ
 له (المُقَطَّمُ) و(الأهرامُ) رُكنانِ

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ
 عَنْ مَطْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ
 تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا
 كَجِرْيَةِ الْمَاءِ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانٍ
 لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ بُوْذِيَّيَ يَعْيشُ بِهِ
 وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِي
 مَا بَالُ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارِفُهَا
 عَلَيْهِ قَدْ أَذْبَرْتُ مِنْ غَيْرِ إِيْذَانٍ
 عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِبَغْدَادٍ) عَفَا وَمَضَى
 وَفِي (دِمَشْقٍ) انطوى عَهْدُ (ابْنِ مَرْوَانَ)
 وَلَا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطُبَةَ)
 كَيْفَ انْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانٍ
 فَعَلَّمُوا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلِيدِهِ:
 عَلَيْكَ لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ دَيْنَانِ
 خَتَمَ قَضَاؤُهُمَا، خَتَمَ جَزَاؤُهُمَا
 فَارِبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُمْنَى بِخُسْرَانٍ
 (النَّيْلُ) وَهُوَ إِلَى (الْأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ
 يُهْدِي إِلَى (بَرَدَى) أَشْوَاقَ وَلَهَانٍ
 وَفِي (الْعِرَاقِ) بِهِ وَجْدٌ (بِدِجْلَتِهِ)
 وَ(بِالْفُرَاتِ) وَتَحْنَانُ (لِسَيِّحَانِ)
 إِنْ دَامَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ
 وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأُذْيَانٍ
 رَأَيْتُ رَأْيَ (الْمَعَرِّيِّ) حِينَ أَرْهَقَهُ
 مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
 لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رِجْسٍ وَمِنْ دَرَنِ
 حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ

وَلَّى الشَّبابُ وَجَارَتْنِي فُتَوُّهُ
 وَهَدَمَ السُّقْمَ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكَانِي
 وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّتِّينَ أَسْأَلُهَا
 أَسَوَّفْتُ أَمْ أَعَدَّتْ حُرًّا أَكْفَانِي
 شَاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي
 بِضُجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرِيحَانِي
 كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي
 وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأُبْكَانِي
 مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ
 وَلَوْ سَرَاعًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
 إِنِّي مَلِيتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ
 أَبْكِي وَأُنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانِ
 إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيَوَانِي لَتَقْرَأَنِي
 وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيَوَانِي
 أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشَّقُوقُ يَدْفَعُ بِي
 إِلَى رُبَاكُمُ وَعُودِي غَيْرُ فَيْنَانِ
 فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ
 وَيَنْجِلِي عَنْ فُؤَادِي بَرْخُ أَحْزَانِي
 وَجَنَّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَوَائِدِكُمْ
 بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
 حَسْبِي وَحَسْبُ النُّهَى مَا نِلْتُ مِنْ كَرَمِ
 قَدْ كِدْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَايَايَ

(٤٤) تهنئة محمد محمود باشا (نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م)

بلقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحته إياه جامعة أكسفورد، وكان رئيساً للوزارة إذ ذاك

شَرَفُ الرَّأْسَةِ يَا مُحَمَّ	دُ زَانَهُ شَرَفُ النُّهَى
بُرْدَانٍ مَنْ نَسَجَ الْجَلَا	لِ إِلَيْهِمَا الْفَخْرُ انْتَهَى
جَعَلَا مَقَرَّكَ يَا مُحَمَّ	دُ فَوْقَ أَكْنَافِ السُّهَا
زَانَتْكَ الْقَابُ الرُّجَا	لِ الْعَامِلِينَ وَزَنْتَهَا
أُمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا	أَمْلُ الْخُلُودِ وَنَلَتْهَا
فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي الْجَهَا	رِ مُوَفَّقًا وَمُنَزَّهَا
وَاحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقَ مِصْرَ	رَ فَأَنْتَ فِي الْجُلَى لَهَا

(٤٥) إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا) (نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمود باشا

أَيَا يَدَا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا	بَايَةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
وَمِشْرَطًا جُمِعَ مِنْ رَحْمَةٍ	وَصِيغَ مِنْ يَمْنٍ وَمِنْ رَفَقِ
نَجَّيْتُمَا مِنْ مَرَضٍ قَاتِلٍ	مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ
لَوْلَاكُمَا لَانْدَكَ صَرْحُ الْعُلَا	وَانْحَدَرَ الْبَدْرُ عَنِ الْأَفْقِ
وَبَاتَتْ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ	عَلَى نَبِيلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ
صَانَكُمَا اللَّهُ لِبُرْءِ الْوَرَى	وصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ

وقال فيه أيضا: (ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠م)

قُلْ لِلطَّبِيبِ الَّذِي تَعْنُو الْجِرَاحُ لَهُ	مَاذِ اعْتَدَدْتَ لَجُرْحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي
قَدْ كَانَ مِبْضَعُهُ وَالْجُرْحُ يَرْمُقُهُ	يُمْنَى الْحَبِيبِ تَوَاسِي صَدْرَ وَلَهَانِ

(٤٦) إلى المستشار محمود غالب بك والأستاذ أحمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية (نشرت في ٣١ مارس ١٩٣٢م)

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُغْ	بَيَانُ وَرَاعِ الْجَامِعَةِ
فَحَمَيْتُمَا حَرَمَيْهِمَا	رَغَمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَةِ

رَدَّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَهُ	وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِي عَلَى
رِ وَدَرُّ ذَاكَ الْبَاقِعَهُ	لِلهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا
عَنَّا بَصْدُ الْقَارِعَهُ	فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا
فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَهُ	نَظَرَ الْحَيَاذُ بَعَيْنَهُ
مِصْرَ الْعَزِيزَةِ ضَارِعَهُ	أُمْنَى الْمُحَايِدِ أَنْ يَرَى
نَ جُهْدُ مِصْرٍ ضَائِعَهُ	كَذَبَ الْحَيَاذُ فَلَنْ تَكُو
تِلْكَ السُّيُوفُ اللَّامِعَهُ	فَالْحَقُّ لَا تُلَوَّى بِهِ
وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَهُ	أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي
تَحْتَ الشَّمْسِ السَّاطِعَهُ	أَنْعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ

(٤٧) إلى الدكتور طه حسين (نشرا في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢م)

أنشدتهما في حفل أقيم للدكتور بفندق مينا هاوس من طلبة الجامعة بعد فصله
من منصبه

بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَهُ	قَدْ أَجْدَبْتُ دَارَ الْجَحَا وَالنُّهَى
صَيَّرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَهُ	وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بِمَنْ

(٤٨) تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فِي	عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى
وَشَهَدَتْ جِبْرِيلَا يَمْدُ	دُ عَلَيْهِ ظِلُّ اللَّهِ مَدَا
وَنَظَرْتُ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ	بِ بِسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُفَدَّى
وَسَمِعْتُ تَسْبِيحَ الْوُفُورِ	بِ بِحَمْدِهِ وَفَدَا فَوْفَدَا
هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ ر	بِ النَّيْلِ مَنْ أَعْنَى وَأَسْدَى
النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ	فِيَخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدَا
يَهَبُ النُّضَارَ كَأَنَّهُ	مِنْ فَيْضِ جَدَّوَاهِ اسْتَمَدَا
وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ	بِالْكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدَا

يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ
النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ
أَتَى سَلَكْتَ سَمِعْتَ أَدَّ
عِشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالـ
هَا صَوْلَجَانَ الْمُلْكِ مِنْ
حُدَّتْ عُلَا صَيْدِ الْمُلُو
فَابْنَ الرِّجَالِ بِنَايَةً
وَاضْرِبْ بِسَوْطِ الْبَاسِ أَعْدَا
أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ
مَنْ مِنْهُمْ كَفَّاهِ يَوْمَ
مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعِيَّةُ
مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ
مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا
فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى
هَذَا (الْجَزِيرَةَ) وَ(الْعِرَا
وَإِلَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى
وَإِلَيْكَ (تُونِسَ) وَ(الْجَزَا
لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا
جَدَّدَتْ عَهْدَ (الرَّاشِدِيَّةِ)
وَنَرَى عَلَيْكَ مَخَايِلَ الْـ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ مَحَوُ
أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا
رَوَيْتَ أَفئدة الرِّعِيَّةِ
وَمَلَكْتَ هُنَّ كَمَا مَلَكُ
فَإِذَا نَهَيْتَ فِطَاعَةً
أَعْطَوْكَ طَاعَةً مُخْلِصِينَ
أَوْضَحْتَ لِلْمِصْرِيِّ نَهْـ

شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدَا
يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغَدَا
عِيَّةَ لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا
بَسْ مِنْ نَسِيجِ الْحَمْدِ بُرْدَا
شَجَرَ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يُهْدِي
كَ وَلَا أَرَى لِعُلَاكَ حَدَا
يَشْقَى الْعَدُوُّ بِهَا وَيَرْدِي
طَافَ الزَّمَانُ إِذَا اسْتَبَدَا
كَ مَكَانَةً وَأَعَزُّ جُنْدَا؟
مَ الْبَدَلِ مِنْ كَفَيْكَ أُنْدَى؟
يَتُّهُ وَقَامَ اللَّيْلَ سُهْدَا؟
سَامَى جَلَاكَ أَوْ تَحْدَى؟
وَحَصَافَةً وَأَبْرُ وَعْدَا؟
حَسَبَا (كَاسِمَاعِيلَ) عُدَا؟
قُ) (وَفَارِسَ) يُهْدَدَنَ هَذَا
أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (نَجْدَا)
نَزَرَ) قَدْ لَبَسْنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
جُ فَوْقَ تَاجِ (النَّيْلِ) مَجْدَا
نَ) تَقَى وَإِحْسَانًا وَزُهْدَا
خُلَفَاءَ إِنْصَافًا وَرُشْدَا
تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدَا
أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدَا
يَةِ مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدَى
تَ زَمَامَ (مِصْرَ) أَبَا وَجْدَا
وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرْدَا
وَمَنْحَتَهُمْ عَطْفًا وَوُدَا
حَجَّ صَلَاحِهِ فَسَعَى وَجْدَا

أَعَدَّدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ وَرَعَيْتَهُ حَتَّى اسْتَعَدَّا
وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ دَ فَخَارَ مِصْرٍ فَاسْتَرَدَّا
وَرَدَّ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً فَنَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرَدَّا
وَحَمَى الْكِنَانَةَ بَعْدَ مَا حَفَرْتَ لَنَا الْأَطْمَاعُ لَحْدَا
فَتَّخَتْ أَعْيُنُنَا فَأَبْ صَرْنُ الضِّيَاءِ وَكُنْ رُمْدَا
وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرَ رَ تَشْدُ أَرْزَ الْعِلْمِ شَدَا
كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كَا نَ بَرَعِمِهِ لِلْجَهْلِ عَبْدَا
وَرَفَعْتَ فِي تَغْرِ الشُّغُو رَ لِمُنْشَاتِ الْبَحْرِ بَنْدَا
أَسَّسْتَ مَدْرَسَةً تُعَيِّ دُ لَنَا بِمُلْكِ الْبَحْرِ عَهْدَا
فَمَتَى أَرَى أُسْطُولَ مِصْرَ رَ يُثِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدَا
وَمَتَى أَرَى جَيْشَ الْبَلَا دَ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدَا
وَنَظَرْتُ فِي الطَّيْرَانِ نَظْرَ رَةَ مُصْلِحٍ لَمْ يَأُلْ جُهْدَا
أَعَدَّدْتَ عُدَّتَهُ وَلَمْ تَرَ مِنْهُ لِلْأُوطَانِ بُدَا
أَعْظَمَ بِأُسْطُولِ الْهَوَا ءِ إِذْ انْبَرَى فَسْطَا وَشَدَا
مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ النَّزَا لَ رَأَى النَّسُورَ تَصِيدُ أُسْدَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ السَّلَامِ سِرْ بَا مِنْ طَوَاوِيسٍ تَبَدَّى
وَطَوَائِفَ الْعُمَالِ كَمْ أَوْلَيْتَهَا رِفْدًا فَرِفْدَا
مَنْ ذَا يُطِيقُ لِبَعْضِ مَا أَصْلَحْتَ أَوْ أُسْدَيْتَ عَدَا
دُمْ يَا (فُؤَادُ) مُؤَيَّدَا بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تُفْدَى
وَأَعِدْ لَنَا عَهْدَ الْمُعِدِّ زُ الْفَاطِمِيِّ فَأَنْتَ أَهْدَى

(٤٩) تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلاً عندما تولَّى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة
سنة ١٩٢٩م

أضحى (نجيب) وكيلا لنا ونعم الوكيل
فلينعم الشعْرُ بالاً فالشُّعْرُ فَنُّ جَمِيلُ

التقريظات

(١) تقریظ کتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيّد توفیق البکري (نشر هذان البيتان في سنة ١٣١٣هـ)

هذا کتابٌ مُدّ بدا سرُّه للنّاس قالوا: مُعْجَزُ ثاني
أثابَكَ اللهُ على جَمْعِهِ ثوابَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ)

(٢) تقریظ «جريدة مصباح الشرق» لصاحبها إبراهيم المويحي بك

أهلَ الصّحافةِ لا تَصِلُوا بَعْدَهُ فسَمَّاءُكُمْ قد زانها (المصباحُ)
الحقُّ فيه زَيْتُهُ، وفَتِيلُهُ صدقُ الحديثِ، ونُورُهُ الإِصلاحُ

(٣) تقریظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي (سنة ١٣٢١هـ-سنة ١٩٠٤م)

أراك - وأنتَ نَبْتُ اليومِ - تَمْشي بشِعْرِكَ فوقَ هامِ الأوّلينا
وأوتيتَ النُّبُوَّةَ في المَعاني وما دانيتَ حدَّ الأربَعينا
فَزِنْ تاجَ الرّأسةِ بعد (سامي) كما زانتَ فرائدُه الجَبينا
وهذا الصّوْلجانُ فكنْ حَريصا على مُلكِ القريضِ وكنْ أَمينا
فَحَسْبُكَ أَنْ مُطْرِكَ (ابن هاني) وأنّكَ قد عَدَوْتَ له قَرينا

(٤) تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين (نشرت في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦م)

أُحْيَيْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ
أُضْحَتِ مُصَلَّى لِلْبَلَاغَةِ عِنْدَمَا
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ
أَتْنَى عَلَيْهَا الشَّرْقُ وَالْإِسْلَامُ
سَجَدَتْ بِرَحْبِ فَنَائِهَا الْأَقْلَامُ
وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامٌ

(٥) تقرّيز «حديث عيسى بن هشام» لصاحبه محمد المويلحي بك

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْ جَرَى
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضِيْعَمِ
تَأْوِي الظُّبَاءِ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ
مَا حَالَ خُلُقِ الْمَاءِ بَيْنَ سَطُورِهِ
فَإِذَا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ
يَابِنَ الَّذِي غَنَى الْيَرَاعَ بِكَفِّهِ
لَكَ فِي دَمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ
لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ
هَذَا كِتَابُكَ قَدْ حَكَتْ آيَاتُهُ
نَسَجَ الْحَرِيرِ أَبُوكَ نَسَجَ نِجَارِهِ
فَإِذَا نَثَرْتَ عَلَى الصَّحِيفَةِ خِلْتَهَا
يَا صَاحِبَ الْمِصْبَاحِ مَا ذَنْبُ اللَّهِى
قَدْ كُنْتَ تَهْدِيهَا السَّبِيلَ بِضَوْئِهِ
بَاتَتْ تُرَجِّي مِنْكَ عَوْدَةَ غَائِبٍ
وَشَمَائِلَ الْفِكْرِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا
فَاشْرَعْ يَرَاعَكَ يَا (مُحَمَّدٌ) إِنَّهُ
وَابِعْتُ لَنَا (عِيسَى) فَهَذَا وَقْتُهِ
وَمُطَاوِلٍ فِي الْكَاتِبِينَ وَمُدَّعٍ
أَمِنُوا يَرَاعَكَ حِينَ طَالَ سُكُونُهُ
إِنِّي لَأُنْظِمُ مَا نَثَرْتَ وَإِنْ يَكُنْ

سَجَدَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارِي
يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارِي
إِلَّا إِلَى خُلُقِ الزَّيْنَادِ الْوَارِي
وَإِذَا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
فَصَبَتْ إِلَيْهِ مَسَامِعُ الْأَقْدَارِ
يَوْمَ الْوَفَاءِ فَقَصَّصَتْ أَشْعَارِي
حِفْظُ الْوِدَادِ سَجِيَّتِي وَشِعَارِي
آيَاتِ مُوسَى التَّسْعِ فِي الْإِكْبَارِ
وَنَسَجْتَ أَنْتَ حَرَائِرَ الْأَفْكَارِ
عَرَسًا أَلَحَّ عَلَيْهِ صَوْبُ قِطَارِ
حَتَّى حَجَبْتَ مَطَالِعَ الْأَنْوَارِ
فَتَرَكْتَهَا فِي ظُلْمَةٍ وَعِشَارِ
نُورِ الْبَصَائِرِ فِيهِ وَالْأَبْصَارِ
جَكَمًا فَأَغْنَتْهَا عَنْ الْأَسْفَارِ
نَارُ اللَّئَامِ وَجَنَّةُ الْأَحْرَارِ
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَادِعٍ وَمُوَارِي
فِي الْعَالَمِينَ وَمَوْلَعٍ بِفَخَارِ
فَتَطَلَّعُوا لِمَرَاتِبِ الْأَقْمَارِ
نَثَرُ النُّظْمِ مَطِيَّةَ النَّثَارِ

(٦) تقریظ کتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوَفَّقًا شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعِ التَّنْزِيلِ
جَمَعْتَ أَشْتَاتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّذْيِيلِ
وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَقِيلَةً لِلنَّيْلِ فَاسْتَوْجَبْتَ شُكْرَ النَّيْلِ

(٧) تقریظ صحیفة كوكب الشرق لصاحبها محمد حافظ عوض بك (نشر هذان البيتان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤م)

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ فَالْحَادِثَاتُ تَجِدُ
لَا تَخْشَ طَالَعَ سُوءٍ فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

(٨) تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني (نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦م)

شَيْخَانِ قَدْ خَبَرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكَا مَا فِيهِ مِنْ عِلَلٍ وَمِنْ أَسْبَابِ
وَاسْتَبْطَنَا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
خَمْسُونَ عَامًا فِي الْجِهَادِ كِلَاهُمَا شَاكِي الْيَرَاعَةِ طَاهِرُ الْجِلْبَابِ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ خَضَبَا قَلَمَيْهِمَا وَبَيَاضُ شَيْبِهِمَا بَغَيْرِ خِضَابِ
فَلِكُلِّ حُسْنِ حَلِيَّةٍ يُزْهِى بِهَا وَأَرَى الْيَرَاعَةَ حَلِيَّةَ الْكُتَابِ
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْيَرَاعَةِ فِي يَدِي فَحَسِبْتُهَا فِي الْقَدْرِ عُودَ ثِقَابِ
وَنَظَرْتُهَا تَنْقُصُ مِنْ كَفَيْهِمَا فَوْقَ الطُّرُوسِ فَخَلَّتْهَا كِشَاهِ
يُزْهِى مُدَجَّجْنَا بَرْمُحٍ وَاحِدٍ وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بَغَابِ
مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرًا غَيْرَ الْجَهُولِ مُدْنَسًا بِالْعَابِ
يَتَجَادَبُ الْقُطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا ذَيْلُ الْفَخَارِ وَلَيْسَ ذَا بَعْجَابِ
فَهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا وَهُمَا هُنَاكَ نُخْبَةٌ الْأَنْجَابِ
جَاذَا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوَانِيَا عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَاجْتِنَابِ سَبَابِ

نَسَبَاهُمَا قَلَمَاهُمَا فَلْيَسْحَبَا
 قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقَّيْهِمَا
 مُتَسَانِدَانِ إِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّيَتْ
 نَفَحَاتُ (أَذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا
 مَا سَوْدَا بَيِّضَاءُ إِلَّا بَيِّضَا
 لِلْمَقْصِدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ
 خَطًّا بِمُقْتَطَفِ الْعُلُومِ بَدَائِعًا
 جَاءَا لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعِ
 فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوءَةٌ
 فَالْلَفْظُ فِيهِ مَقْوَمٌ بِصَحِيفَةٍ
 دَانِي الْقُطُوفِ كَرِيمَةٌ أَفْيَاؤُهُ
 ذُلٌّ مَسَالِكُهُ فَأَنْتَى جِئْتَهُ
 تَتَسَابَقُ الْأَقْلَامُ فِيهِ وَلَا تَرَى
 كَمَ مِنْ يِرَاعَةٍ كَاتِبٍ جَالَتْ بِهِ
 كَمَ مِنْ سُؤَالٍ فِيهِ كَانَ جَوَابُهُ
 كَمَ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ
 وَقَفَتْ سُقَاةُ الْفَضْلِ فِي جَنَابَتِهِ
 مَاذَا أَعَدُّ وَهَذِهِ آيَاتُهُ
 قَدْ نُسِّقَتْ وَتَأَلَّفَتْ فَكَأَنَّهَا
 وَتَرَى تَهَافُتُنَا عَلَيْهِ وَجِرْصَنَا
 يَا ثُرُوءَ الْقُرَّاءِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ
 الشَّرْقِ أَثْبَتَ يَوْمَ عِيدِكَ أَنَّهُ
 عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأُطْلِعَتْ
 الْعِلْمُ شَرْقِيٌّ تَغَافَلُ أَهْلُهُ
 وَتَنْبَهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَذْرَكُوا
 الْعِلْمُ فِي الْبِأْسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ

ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
 وَخِي يُفَيْضُ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ
 مُتَعَانِقَانِ تَعَانَقَ الْأَحْبَابِ
 فَإِذَا هُمَا ظُلُمَا فَلَفَحَةُ (آبِ)
 بِالْكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةُ الْإِعْجَابِ
 رَفَعَا قِبَابًا حُوجِزَتْ بِقِبَابِ
 وَرَوَائِعًا بِقَيْتٍ عَلَى الْأَحْقَابِ
 أَوْ كُلٌّ فَنِّ مُمْتِعِ بُلْبَابِ
 وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهْبِطٍ لَصَوَابِ
 وَالسَّطْرُ فِيهِ مَقْوَمٌ بِكِتَابِ
 عَذْبُ الْوُرُودِ مُفْتَحُ الْأَبْوَابِ
 أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ فِي فَسِيحِ رِحَابِ
 مِنْ عَاثِرٍ فِيهَا وَلَا مِنْ نَابِي
 وَلُعَابُهَا فِي الطَّرْسِ حُلُوٌّ رُضَابِ
 إِلْهَامٍ نَابِغَةٍ وَفَصْلُ خُطَابِ
 تَرْدُ النَّهْيِ مِنْهُ أَلَذُّ شَرَابِ
 تُرْوِي النُّفُوسَ بِمُتَرَعِ الْأَكْوَابِ
 فِي الْعَدِّ تُعْجِزُ أَمَهَرُ الْحُسَابِ
 فِي الْحُسْنِ مِثْلُ تَأَلَّفِ الْأَحْزَابِ
 فَتَخَالُ فِيهِ مَقَاعِدُ النُّوَابِ
 فَضْلٍ وَمِنْ جِكَمٍ وَمِنْ آدَابِ
 مَا زَالِ فِي رِيٍّ وَخِصْبِ جَنَابِ
 زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَقْطَابِ
 عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدَى وَتِيَابِ
 وَالْجَهْلُ فِي النِّعْمَاءِ سَوُطٌ عَذَابِ

ولعلَّ وَرَدَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَزْعِهِ
إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا
وَأَتَيْتُ أَقْضَى بَعْضِ مَا أَوْلَيْتَنِي
لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ
لَكُنَّنِي أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ
وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي
(يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَلَمْ تَزَلْ
لَا حَتَّ بِرَأْسِكَ هِزَّةً وَلَعَلَّهَا
فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرُّهُ مُتَدَفِّعٌ
لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ
أَوْ أَنَّهَا طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كُلَّمَا
أَوْ أَنَّهَا اسْتِنَكَارٌ مَا شَاهَدْتَهُ
لَمْ يُلْهِكَ الْإِثْرَاءُ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا
لِكَ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ أَجْرٌ مُجَاهِدٌ
وإِلَيْكَ مِنْ جُهْدِ الْمُقِلِّ قَصِيدَةٌ
لَوْلَا السَّقَامُ وَمَا أَكَابِدُ مِنْ أَسَى

سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدُّ سَرَابٍ
وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَابِي
وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ غَيْرَ مُحَابِي
لَوْهَبْتُ لِلشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبَابِي
وَتَخَذْتُ مِنْ نَسَجِ الْمَشِيبِ ثِيَابِي
يَحْتَنُّهَا سَفَرٌ بَغَيْرِ إِيَابٍ
فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
مَنْ وَقَعَ فِكْرُكَ لَا مِنْ الْأَعْصَابِ
كَتَدَفَعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُبابٍ
أَنْ يَنْتَنِي عَنْ جَيِّئَةٍ وَذَهَابٍ
وُفِّقْتُ فِي بَحْثٍ وَكُشِفَ نِقَابٍ
فِي النَّاسِ مِنْ لَهْوٍ وَسُوءِ مَأَبٍ
بِالْجِدِّ لَا بِتَصَيِّدِ الْأَلْقَابِ
وَالصَّبْرِ أَجْرٌ مُلَازِمُ الْمِحْرَابِ
يُغْنِيكَ مُوجَرُّهَا عَنِ الْإِسْهَابِ
لَلْحَقِّ فِي هَذَا الْمَجَالِ صَحَابِي

(٩) تقریظ کتاب «فی ظلال الدموع» لصاحبه محمد شوکت التونی (نشر
فی ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م)

قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا
علمنا لدى الأسى كيف تشفى
وأرئنا من الجديد بياناً
في طرازٍ كأنما نسقته
فعلى كاتبِ الظلالِ سلامٌ

بَارَكَ اللَّهُ فِي (ظِلَالِ الدُّمُوعِ)
مُرْسَلَاتِ الدُّمُوعِ دَاءَ الضُّلُوعِ
لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا كَثِيرَ الشُّيُوعِ
مَنْ مَجَانِي الرُّبَا بَنَانُ الرَّبِيعِ
مَنْ حَزِينٍ وَبَائِسٍ وَصِرِيعِ

الأهاجي

(١) قال في هجاء الجرائد (نشرا في أول ديسمبر سنة ١٩١٧م)

جرائدُ ما خُطَّ حَرْفُهَا لَغَيْرِ تَفْرِيقٍ وَتَضْلِيلِ
يَحُلُو بِهَا الْكَذْبُ لِأَرْبَابِهَا كَأَنَّهَا أَوَّلُ أُبْرَيْلِ

(٢) في عِيَابِ كَثِيرِ الْعُيُوبِ (نشرا في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١م)

يَا سَاكِنَ الْبَيْتِ الزُّجَا جِ هَبِلْتَ، لَا تَرْمِ الْحُصُونَا
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عَارِيَا يَبْغِي نِزَالَ الدَّارِعِينَا

(٣) فِي مَلِكٍ ضَعِيفِ الرَّأْيِ

لَا تَعْجَبُوا فَمَلِكُكُمْ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي الْبِطَانَةِ وَهُوَ فِي تَضْلِيلِ
إِنِّي أَرَاهُ كَأَنَّهُ فِي رُقْعَةِ الشَّ طَرَنْجٍ أَوْ فِي قَاعَةِ التَّمْثِيلِ

(٤) فِي رَجُلٍ عَظِيمِ الْبَطْنِ ضَخْمِ الْبَدَنِ

عَطَلَتْ فَنَّ الْكَهْرِبَاءِ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَعْوُقُ مَسِيرَهَا إِلَّا كَا
تَسْرِي عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لَحْظَةً فَتَجَوُّبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَا

(٥) وقال على لسان بعض المتصوفة (في محبوب نافر)

أُخْرِقُ الدُّفَّ لو رَأَيْتَ شَكِيبَا
هو ذِكْرِي وَقَبْلَتِي وإِمَامِي
لو تَرَانِي وقد تَعَمَّدَتْ قَتْلِي
كان لا يَنْحَنِي لِعَغِيرِكَ إِجْلَا
لا تَعِيبَنَّ يا شَكِيبُ دَبِيبِي
كم شَرِبْتَ المَدَامَ في حَضْرَةِ الشَّيْ
فَسَلُوا سُبْحَتِي فَهَلْ كان تَسْبِي
وَإِذَا أَدْنَفَ الشُّيُوخَ غَرَامُ
عُدْ إلَيْنَا فقد أَطْلَتِ التَّجَافِي
وَإِذَا خَفَتْ ما يُخَافُ مِنَ الِيمِ
وَدَعُونَا بِسَاطِ صاحبِ بَلْقِي
وَأَمْرُنَا الرِّيَاحَ تَجْرِي بِأَمْرِ

وَأُفْضُ الأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيبَا
وَطَبِيبِي إِذَا دَعَوْتُ الطَّبِيبَا
بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْخًا حَرِيبَا
لَا ولا يَشْتَهِي سِوَاكَ حَبِيبَا
(إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ دَبِيبَا)
خِجْ جِهَارًا وَكَمْ سَقَيْتَ الحَلِيبَا
حَيَّ فِيهَا إِلا (شَكِيبًا شَكِيبَا)
كُنْتُ فِي حَلَبَةِ الشُّيُوخِ نَقِيبَا
وَارَكِبِ البَرَقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا
مِمَّا فَرَشْنَا لِأَخْمَصَيْكَ القُلُوبَا
حَسَّ فَلَبَّى دُعَاءُنَا مُسْتَجِيبَا
مِنْكَ حَتَّى نَرَاكَ مِنَّا قَرِيبَا

(٦) في بائع كُتُبٍ صفيق الوجه

أَدِيمُ وَجْهَكَ يا زَنْدِيقُ لو جُعِلْتُ
لم يَغْلُهَا عَنكَبُوتٌ أَيْنَمَا تُرَكْتُ
مِنْهُ الوَقَايَةُ وَالتَّجْلِيدُ لِلْكَتُبِ
ولا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطُورَةُ اللَّهَبِ

(٧) فيمن كثرت مخازيه

هُنَا يَسْتَعِيْثُ الطَّرْسُ والنَّقْسُ وَالَّذِي
مَخَازٍ وما أَدْرِي إِذَا ما ذَكَرْتُهَا
يَخْطُ وَمَنْ يَتَلَوُ وَمَنْ يَتَسَمَّعُ
إِلَى الحَمْدِ أَدْعَى أَوْ إِلَى اللُّؤْمِ أَدْفَعُ

الإخوانيات

(١) ذكرى وتشوق (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

وَذَكَرَى ذَلِكَ الْعَيْشِ الرَّخِيمِ
وَأَرْقَضْنَا لَهَا فَلَكَ النِّعَمِ
بِحَبِيدِ الدَّهْرِ كَالْعَقْدِ النَّظِيمِ
جَلَابِيْبُ مِنَ الذُّوقِ السَّلِيمِ
وَأَطْرَبُ مِنْ مُعَاطَاةِ النَّدِيمِ
وَأِنْ كَانُوا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
مُؤَاظَاةَ الْكَرِيمِ إِلَى الْكَرِيمِ
عَلَى ظَمَأٍ وَهَبُوا كَالنَّسِيمِ
وَيَلْهُو (بِالْمَجَرَّةِ) وَالنُّجُومِ
بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
فَالْحَقْنَا بِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
شَهِيَّ اللَّفْظِ نِي خَدِّ مَشِيمِ
كَأَنَّ بَطْرَفِهِ سَيْمَا الْيَتِيمِ
نَسِينَا عِنْدَهُ بِنْتَ الْكُرُومِ
عَلَيْكَ وَفَتِيَّةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ

أَثَرَتْ بَنَا مِنَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ
وَأَيَّامَ كَسَوْنَاهَا جَمَالاً
مَلَأْنَاهَا بِنَا حُسْنًا فَكَانَتْ
وَفَتَيَانِ مَسَامِيحٍ عَلَيْهِمْ
لَهُمْ شَيْمٌ أَلَّذُ مِنْ الْأَمَانِي
كَهَمِّكَ فِي الْخَلَاعَةِ وَالتَّصَابِي
دَعَوْتُهُمْ إِلَى أَنْسِ فَوَافُوا
وَجَاءُوا كَالْقَطَا وَرَدَّتْ نَمِيرًا
وَكَانَ اللَّيْلُ يَمْرَحُ فِي شَبَابِ
فَوَاصِلُنَا كُنُوسِ الرَّاحِ حَتَّى
وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (ابْنِ هَانِي)
وَضَبْنِي مِنْ بَنِي مِصْرٍ غَرِيرِ
وَلَحِظْ بِابِلِيَّ نِي انْكَسَارِ
سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا
سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي
أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَلَاةُ

قد التَّهَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
خَدَاعُ لَاحَ فِي وَجْهِ اللَّئِيمِ
(بوادي التَّيِّهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ
إِذَا نُقِلَ الْهَجِيرُ عَنِ الْجَحِيمِ
وما فيها من الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟
ولا أُوتِيتُ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ
فَأَسْتَبِقُ الصُّوَاحِكَ فِي الْغُيُومِ
بَقِيدَ الْعُدْمِ فِي وادي الْهُمُومِ
وَأُضْرِبُ فِي الْمَهَامِهِ وَالتُّخُومِ
ولم أَصْبُغْ بِتُرْبَتِهِ أَدِيمِي
وتحت بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ
قَنَعْتُ بِعَيْشَتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ
ويابنَ غُضَادَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ
له نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ
بَغَيْرِ الْعَسْجَدِيَّةِ وَاللَّطِيمِ
ولي حالٌ أَرْقُ مِنَ السَّدِيمِ
على الْأَرْزَاقِ كَالثُّوبِ الرَّدِيمِ
ولا تَقْطَعُ مُوَاصَلَةَ الْحَمِيمِ

كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبٍّ
كَأَنَّ شَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا
تَخِلُّ بَلِيُّهَا (لَهَبٌ) فَتَحْكِي
وَتَمْشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى
فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي
فَمَا حَظُّ (ابنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي
ولا أَنَا مُطْلَقٌ كَالْفِكْرِ أُسْرِي
ولكنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي
نَزَحْتُ عَنِ الدِّيَارِ أَرْوَمَ رِزْقِي
وما غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا
وهأنا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَايَا
ولولا سَوْرَةٌ لِلْمَجْدِ عِنْدِي
أَيَابُنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجْدًا
أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُوكَ رُكْنًا
فَمَا طَافَ الْعُفَاةُ بِهِ وَعَادُوا
أَتَيْتُكَ وَالْخُطُوبُ تُزَفُّ رَحْلِي
وقد أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وَكَذْحِي
فلا تُخْلِقْ — فُديتَ — أديمَ وَجْهِي

(٢) عتاب محمد البابلي بك (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

وَدَاخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابُ
فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابُ

أَخِي وَاللَّهِ قَدْ مُلِئَ الْوِطَابُ
رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَبَبْتُ أُخْرَى
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي فَاهْنَأْ بِبُعْدِي

(٣) بين حافظ وداود عمّون (نُشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢م)

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمّون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف، فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد.

شَجَّتْنَا مَطَالِغُ أَقْمَارِهَا
وَبِتْنَا نَحْنُ لَيْلِكَ الْقُصُورِ
قُصُورٌ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ
ذَكَّرْنَا حِمَاها وَبَيْنَ الضُّلُوعِ
فَمَرَّتْ بِأَرْوَاحِنَا هَزَّةٌ
وَأَرْضُ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُورِ
إِذَا نَقَطَتْهَا أَكْفُ الغَمَامِ
وإنَّ طَالَعَتْهَا ذُكَاءُ الصَّبَاحِ
وإنَّ هَبَّ فِيهَا نَسِيمُ الْأَصِيلِ
وَحِلُّ أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ
وَأُضْحَتْ تَتِيهَ بَرَبُ الْقَرِيضِ
وَلَنْيَلُ أُولَى بَذَاكَ الدَّلَالِ
فَشَمَّرُ وَعَجَّلُ إِلَيْهَا الْمَابِ
فَكَيْفَ - لَعْمَرِي - أَطَقْتَ الْمُقَامِ
وَأَنْتَ الْمُشَمَّرُ إِثْرَ الْمَظَالِ
ثَارَتْ اللَّيَالِي وَأَقْعَدَتْهَا
إِذَا ثُرَتْ مَاجَتْ هِضَابُ الشَّامِ
أَلَسْتَ فَتَاهَا وَمُخْتَارَهَا
وإنَّ قُلْتَ أَصْغَتْ مُلُوكُ الْكَلَامِ
(أَدَاوُدُ) حَسْبُكَ أَنَّ الْمَعَالِ
وَأَنَّ ضَمَائِرَ هَذَا الْوُجُودِ
وَأَنَّكَ إِمَّا حَلَلْتَ الشَّامِ
وإنَّ كُنْتَ فِي مِصْرَ نِعَمَ النَّصِيرِ

فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا
وَأَهْلُ الْقُصُورِ وَزُورِهَا
خَدُورُ الْغَوَانِي بِأَذْوَارِهَا
قُلُوبٌ تَلْظَى عَلَى نَارِهَا
هِيَ الْكَهْرَبَاءُ بِتَيَّارِهَا
حَرَائِرٌ مِنْ نَسْجٍ (آذَارِهَا)
أَرْتَكِ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا
أَرْتَكِ اللَّجَيْنَ بِأَنْهَارِهَا
أَتَاكَ النَّسِيمُ بِأَخْبَارِهَا
فَبَاتَتْ تُدِلُّ عَلَى جَارِهَا
كَتِيهِ الْبَوَادِي بِأَشْعَارِهَا
وَمِصْرُ أَحَقَّ (بِبَشَّارِهَا)
وَحَلَّ الشَّامَ لِأَقْدَارِهَا
بِأَرْضٍ تَضِيقُ بِأَحْرَارِهَا؟
حِمٌّ تَسْعَى إِلَى مَحْوِ آثَارِهَا
بِمِصْقُولِ عَزْمِكَ عَنْ ثَارِهَا
وَبَاتَتْ تَرَامِي بِثُورِهَا
وَشَبَلْ فَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا؟
وَمَالَتْ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِهَا
حِيَّ تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِهَا
تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهَا
رَأَيْنَاكَ جَذْوَةَ أَفْكَارِهَا
إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

(٤) أبيات داود بك التي أجاب بها حافظًا

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى وَتَذْكَارِهَا نَثَرْتَ الدُّمُوعَ عَلَى دَارِهَا

وَعَفَّتِ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ
وَقَفْتُ بِهَا لَيْلَتِي نَاشِدًا
وَلِلدَّارِ أَنْطَقُ آيَاتُهَا
تُعِيدُ عَلَيْكَ لِيَالِي الْجَمَى
سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ
لَأَنْتَ مُحَقَّقُ أَحْزَانِهَا
وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ
قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهِ حُلُوةً
أَطْوَفُ فِي الشَّرْقِ عَلَيَّ أَرَى
فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ
فَظَلُّمٌ بَتَلَكَ وَذُلٌّ بِهِذِي
تَعَقُّ مَرَاجِمَ رُغْيَانِهَا
إِذَا شَاءَ (قَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابِ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا لَجْهَالِهَا
يَدِبُّ التَّرَاخِي عَلَى تَرْبِهَا
مَنَا لُ التَّرْقِي بِإِرْغَامِهَا
أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثْتَ أَهْلَهَا
عَدِمْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ
(أَحَافِظُ) هَذَا مَجَالُ الْعُلَا
(أَشُوقِي) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتِ
فَصُوغَا الْقَوَافِي مَصْقُولَةً
عَسَاهَا تُحَرِّكُ أَوْطَانَنَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأُزْمَى
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ
أَحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا
وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ

تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا
عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا
مِنَ الرَّاوِيَاتِ وَأَخْبَارِهَا
بِأَنْجُمِهَا وَبِأَقْمَارِهَا
رَبِيعَ الْحَيَاةِ بآذَارِهَا
وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْدَارِهَا
لِعَاشِ الْفَتَى عُمْرَهُ كَارِهَا
وَقَدْ جَاءَ إِبَانُ إِمْرَارِهَا
بِلَادًا تَطْيِبُ لِأَحْرَارِهَا
وَتَصْدَعُ أَكْبَادَ نُظَارِهَا
وَجَهْلٌ مُغَشٌّ لِأَبْصَارِهَا
وَتَرْعَى الْوَلَاءَ لَجَزَارِهَا
تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارِهَا
وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
وَيَجْرِي الْخُمُولُ بِأَنْهَارِهَا
وَمَرْجَى الْقَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
بِلَادُ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟
حَيَاتِي عَلَى نَفْعِ أَمْصَارِهَا
فَشَمْرُ لَسْبَقٍ بِمَضْمَارِهَا
وَتَرُكُ الْأُمُورِ لِأَقْدَارِهَا
وَشُقَا الْجُلُودِ بِبِتَارِهَا
وَتَنْشُرُ مَيِّتَ أَحْيَائِهَا
بِأَنِّي مُحَرِّكُ نُوَارِهَا
وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَارِهَا
وَإِنْ لَمْ يَنْلَنِي سِوَى عَارِهَا
تَصَدَّى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٥) (إلى إسماعيل صبري باشا) عند استقالته من وكالة الحَقَانِيَّة (نُشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م)

يا صارمًا أَنْفَ الثَّوَاءِ بَغْمِهِ
فَالْبَيْضُ نَصْدًا فِي الْجَفُونِ إِذَا ثَوَّتْ
أَهْلًا بِمَوْلَايَ الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ
فَاطَرَحْ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا
وَاضْرِبْ عَلَى الْوَتْرِ الَّذِي اهْتَرَّتْ لَهُ
وَارْدُدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ
مَا زَالِ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ
وَأَبَى الْقَرَارَ، أَلَا تَزَالُ صَقِيلًا
وَالْمَاءُ يَأْسُنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا
شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أَرَاكَ وَكِيلًا
هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
أَعْطَافُنَا زَمَنًا وَغَنُّ النِّيلَا
تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)

(٦) ذَكَرَى وَتَشَوَّقَ (نُشرت في ١٥ يوليه سنة ١٩٠٨م)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كُتَيْبَةِ أَدْنَبَرِه بِإِنْجَلْتَرَا

مُلِكَتْ عَلَيَّ مَذاهَبِي
وَجَفَا يَرَاعِي الصَّاحِبَا
أَشَقَى وَأَكْتَمُ شَقَوَاتِي
حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي
لَا مِصْرُ تُنْصِفُنِي وَلَا
وَإِذَا تَحَوَّلَ بَائِسُ
فِيهَا صَحْبَتُكَ وَاضْطَفَيْدُ
أَنَا مَنْ عَرَفْتُ وَمَنْ خَبِرُ
لِلَّهِ ذِيَاكَ الْجِوَا
بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ قَوْ
أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ
أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّبَا
لَا أَنْتَ تُصْغِي لِلْعَذُو
وَعَصَانِي الطَّبْعُ السَّلِيمُ
نِ فَلَا النَّثِيرُ وَلَا النَّظِيمُ
وَاللَّهُ بِي وَبِهَا عَلِيمُ
أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ
عَنْ رُبْعِهَا فَأَنَا الْمُقِيمُ
حُتْكَ أَيُّهَا الْخُلُ الْحَمِيمُ
تَ وَمَنْ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ
رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ
قَ النَّيْلِ وَالْدُنْيَا نَعِيمُ
رُ بِهَا وَتُنْكَرُنَا الْهُمُومُ
ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ
لِ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ

لِّلِهِ أُنْدِيَّةٌ لَنَا
 لَمْ يَغْشَهَا وَغَدٌ وَلَمْ
 تَمْشِي الْخَلَاعَةُ فِي نَوَا
 لَهُوَ كَمَا شَاءَ الصَّبَا
 وَمُدَامَةً يَسْعَى بِهَا
 يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا
 لَا تَشْتَكِي مِنَّا وَلَا
 وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنْفُ
 سَلَبَ السَّمَاءِ نُجُومُهَا
 نُشِرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ
 شَقَّتْ لِأَعْيُنِنَا سِوَى
 وَكَأَنَّنا فَوْقَ السَّمَاءِ
 تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجُ
 لَا الصُّبْحُ يُزْعِجُنَا بَأَنَدُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنَدُ
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا
 لَا خِلَ بَعْدَكَ مُؤْنِسُ
 كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا
 أَمْسَى احْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيُّ
 فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشُّنَا
 وَمُنَاكَ لَوْ طَلَعَتْ ذُكَا
 وَمُنَايَ لَوْ مُحِقَتْ ذُكَا
 فَبَلِيَّتِي الْحَرُّ الْأَلِيمُ
 فَكَأَنَّنِي فِرْعَوْنُ مَصُ
 فَابَعَثَ إِلَيَّ بِنَفْحَةٍ
 أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِلَفْحَةٍ
 أَمَّا تَحِيَّتُنَا إِلَيْهِ

قَدْ زَانَهَا الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
 يَنْزِلُ بِسَاحَتِهَا لَنِيمُ
 حَيْهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ
 وَجِبًا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ
 مُتَأَدِّبٌ وَيَطُوفُ رِيمُ
 أَنَسُ يَخْفُ لَهُ الْحَلِيمُ
 يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
 سَ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
 فَهَوَتْ بِلُجَّتِهِ تَعُومُ
 بَيَضاءَ حَاكَتْهَا الْغُيُومُ
 مَا شَابَهُ مِنْهَا الْأَدِيمُ
 وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّدِيمُ
 رِي لَا نُضَامُ وَلَا نُضِيمُ
 بَاءَ الزَّمَانِ وَلَا الصَّرِيمُ
 تَ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَعِيمُ
 أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّيِّيمُ
 نَفْسِي وَلَا قَلْبُ رَحِيمُ
 عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْغَرِيمُ
 رُ وَظَلَّ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمُ
 نَ وَشُرْبِي الْمَاءِ الْحَمِيمُ
 ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ
 ءُ وَغَالَهَا لَيْلٌ بَهِيمُ
 مَ وَحَطْبُكَ الْقُرُّ الْأَلِيمُ
 رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمُ
 بَرَدًا بِهَا يَحْدُو الْهَزِيمُ
 حَرَى بِهَا تَجْرِي السَّمُومُ
 لَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرَّقِيمُ

(٧) شكر

أنشد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم لتكريمه في يوم الجمعة
٣١ مايو ١٩١٢ م

وَجُرْتُمْ بِقُدْرِي سَمَاءَ الرُّتَبِ
وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ
وَتَمْشِي إِلَيَّ سَرَاةُ الْعَرَبِ
وَتَنْثُرُ فَوْقِي نِثَارَ الذَّهَبِ
وَقُمْتُ لِمَصْرَ بِمَا قَدْ وَجِبَ؟
وهذا شبابي ضياعاً ذهب
على أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِب
ولم يَبْقَ إِلَّا بَقَاءُ الْحَبَبِ
كثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشَبِ
وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَاكَ الطَّرَبِ
وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فَيَمَنْ كَتَبَ
وَلَا لِي يَوْمَ الْفَخَارِ الْغَلَبِ
وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُنتَخَبِ
وَرَأَيْتُ الْوَزِيرَ وَفَضْلُ الْأَدَبِ
بهذا الْهَنَاءِ وهذا اللَّقَبِ
وَفَضْلُ قَدِيمٍ شَرِيفُ السَّبَبِ
وَأُورَى زِنَادِي وَأَنَا وَهَبِ
وَأَصْبَحْتُ أَعْرِفُ لُبْسَ الْقَصَبِ
يُطَالِعُنِي بَدْرُهَا عَنْ كَثَبِ
غِيَاثِ الْعُفَاةِ مُزِيلِ الْكُرْبِ
مَطَايَا الرَّجَاءِ لَذَاكَ الرَّحَبِ
فَلَا عَنْ رِيَاءٍ وَلَا عَنْ رَهَبِ
رِضَاءُ الْأَمِيرِ وَنَيْلُ الْأَرْبِ

مَلَكْتُكُمْ عَلَيَّ عِنَانَ الْخُطْبِ
فَمَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ
أَتَسْعَى إِلَيَّ حُمَاةُ الْقَرِيضِ
وَتَنْظُمُ فِي عُقُودِ الْجُمَانِ
وَأُكْرِمُ حَتَّى كَأَنِّي نَبِغْتُ
فَمَاذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ
عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ
فَلَمْ يُغْنِ شَيْئاً وَلَمْ يُجِدْهُمْ
وهل أَنَا إِلَّا امْرُؤُ شَاعِرٍ
يَقُولُ وَيُطْرِبُ أَثْرَابَهُ
تَعَلَّقْتُ حِينًا بِذَيْلِ الْبَيَانِ
فَلَا السَّبْقُ لِي فِي مَجَالِ النُّهَى
وَلَا أَنَا مِنْ عِلْيَةِ الْكَاتِبِينَ
وَلَكِنْ سَمَا بِي عَطْفُ الْأَمِيرِ
وما كُنْتُ أَحْلُمُ — لَوْلَا الْوَزِيرُ —
عَلَيَّ أَيَادٍ لَهُ جَمَّةٌ
فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَثْرَتِي
تَفَيَّاتٌ مِنْهُ ظِلَالُ النَّعِيمِ
وَأَمْشِي اخْتِيَالاً إِلَى عَابِدِينَ
وَأَلِثْتُ كَفَّ كَرِيمِ الْجُدُودِ
وَأَحْتَتُّ بَيْنَ وَفُودِ السَّرَاةِ
أَتَوْا خَالِصِينَ لَوَجْهِ الْأَمِيرِ
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ

وَنَحْسُ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنَبِ
يَمُتُ إِلَيْهِ بِحَبْلِ النَّسَبِ
فَمَا زَلَّ مَوْلَى إِلَيْكَ انْتَسَبَ
وَشَرَّفَتْ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)
وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
وَإِعْجَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبَ
وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبُ
بِبَطْنِ الْفَلَاةِ لِقَطْرِ السُّحْبِ
كَرِيمِ الْإِخَاءِ الْمَتِينِ السَّبَبِ
وَشُكْرًا (لِسَرْكِيْس) رَبِّ الْعَجَبِ
إِلَيَّ وَكُلِّ أَدِيبٍ خَطَبِ
وَمَا كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مُضْطَرَبِ
هُمْ عَلَّمُونِي طَرِيقَ النُّخَبِ
وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمُكْتَسَبِ
عَلَى السُّحْبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي سَحَبِ
قَرِيبِ الصَّوَابِ بَعِيدَ الْغَضَبِ
تَرَوْعُ النُّفُوسِ بَوَاقِ النَّوْبِ
وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبِ

وَلِلْكَاشِحِينَ نَكَالُ الزَّمَانِ
فَعَهْدُ الْأَمِيرِ كَعَهْدِ الرَّشِيدِ
إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَنْتَمِي
عَرَفْتُ مَكَانِي فَأَذْنَيْتَنِي
وَعَرَفْتُ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ
فَلَوْ أَنَّ لِي مُرْقِصَاتِ (الْخَلِيلِ)
لَقُمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ
فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ
وَشُكْرًا (لَشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيضِ الـ
وَشُكْرًا (لِدَاوُدَ) رَبِّ الْيَرَاعِ
وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَعَى
هُمْ شَجَّعُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ
هُمْ أَلْهَمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ
فَعَنْهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ
فَحَيُّوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي
وَحَيُّوا (سَعِيدًا) وَزِيرَ الْأَمِيرِ
تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ
فَسَاسَ الْبِلَادِ وَأَرْضَى الْعِبَادِ

(٨) إلى حفني ناصف بك (نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢م)

قالها في حفل أقامه أعضاء نادي طنطا لتكريم حفني بك؛ لانتقاله من القضاء إلى التفتيش بنظارة المعارف

أَرْهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذَهْنِي
وَيَا بَيَانُ أَعْنِي
إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنِّ

يَا يَوْمَ تَكْرِيمِ (حَفْنِي)
فَيَا قَرِيضُ أَجْبُنِي
عَلَيَّ أَفِي بَعْضَ دَيْنِي
يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمِ

بَنَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا
وَمَا خُلِقْتَ لَعَمْرِي
فَكُلُّ رَبِّ يَرَا
إِنْ قَالَ شَعْرًا فَرَا
أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرَوْحُ
فَإِنْ بَدَأَتْ بِقَوْلٍ
وَطَرُ إِلَى اللَّهْوِ وَارْغَبْ
فَالْعَيْشُ فِي بِنْتٍ فِكْرٍ
وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا
لَقُمْتُ فِي يَوْمٍ (حَفْنِي)
وَلَا أَقُولُ (لِحَفْنِي)
لَا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى
وَلَى شَبَابُكَ فِيهِ
وَذُقْتَ مِنْ «جَاءَ زَيْدٌ»
وَمِنْ حَوَاشِي الْحَوَاشِي
مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي
أَيَّامَ (سُلْطَانٍ) يَلْهُو
يَبِيتُ يَقْصَعُ مَا لَمْ
يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو
أَيَّامَ يَدْعُوكَ (حَفْنِي):
هَاتِ الْمُسَدَّسَ إِنِّي
مَنْ لِي بِدِرْهِمٍ لَحْمٍ
قَرِمْتُ وَاللَّهِ حَتَّى
أَيَّامَ عَيْدِكَ يَوْمٌ
أَيَّامَ (مَهْيَا) أَشْهَى
أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي

وَالنَّثْرَ أَغْظَمَ رُكْنَ
فِي الشَّرْقِ إِلَّا لَتَبْنِي
فِي مِصْرَ خَرِيحٍ (حَفْنِي)
تُدَارُ فِي يَوْمٍ دَجِنِ
يَجْتَازُنَا غِبٌّ مُزْنِ
مِنْهُ فَبِالْكَأْسِ ثَنِّ
عَنْ حِكْمَةِ الْمُتَأَنِّي
تُجْلَى وَفِي بِنْتٍ دَنْ
فَفِي مُنَاجَاةٍ خِذْنِ
دِينِي وَعَقْلِي وَسَنِّي
أَدْعُو لِسَكْرَةٍ «يَنِّي»
مَا قِيلَ قَدِّمًا (لَمَعْنِ)
مَا بَيْنَ شَرْحٍ وَمَثْنِ
مَا بَيْنَ مَدٍّ وَغَنْ
وَمِنْ شُرُوحِ (الشُّمْنِي)
عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جَنِّي)
قَلْبَنْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ
(بِمَشْهُ) وَيُغْنِي
أُسْمُهُ أَوْ أَكْنِي
إِلَيْهِ عَيْشَةُ غَبْنِ
مَنْ الْحَيَاةِ أَجْرَنِي
سَمِئْتُ (مَشِّي) وَ(جَبْنِي)
عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنِ
صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي
تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنِ
إِلَيْكَ مِنْ (سَنْ جُونِ)
لَمْحَسْنُ فَيْكَ ظَنِّي

فإنَّ عَدَوْتَ وَزِيرًا	يَوْمًا وَجِئْنَا نُهْنِي
فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ	وَلَا تُطَلِّ فِي التَّجَنِّي
وَلَا تَقُلْ مِنْ غُرُورٍ	يَأْبُهَا النَّاسُ إِنِّي
أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا	حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
إِذَا شَكُوتَ صُدَاعَا	أَطَلْتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
وَإِنْ عَرَاكَ هُزَالٌ	هَيَّاتُ لَحْدِي وَقُطْنِي
وَإِنْ دَعَوْتُ لَحْيِي	يَوْمًا فَلْيَاكَ أَغْنِي
عُمْرِي بِعُمْرِكَ رَهْنٌ	فَعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نَبَقَى وَابْلِيسَ فِيهَا	نُبْلِي اللَّيَالِي وَنُفْنِي
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَحْ	يَا سَيِّدِي وَاعْفُ عَنِّي
فَالذَّنْبُ ذَنْبٌ (شُدُودِي)	فَالْعَنُ (شُدُودِي) وَدَعْنِي
قَدْ سَنَ فِينَا مُزَاخَا	عَلَى الْحَقِيقَةِ يَجْنِي
ذُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ	فَسَلْ (سَلِيمًا) وَسَلْنِي
وَاسْمَعْ مَدِيحَ مُجِبِّ	يُطْرِي بِحَقٍّ وَيُثْنِي
لَقَدْ جَمَعْتَ خِلَالَ	تَضَمَّنْتَ كُلَّ حُسْنٍ
مُفْتَشًّا وَفَقِيهًا	وَقَاضِيًا وَابْنَ فَنٍّ
إِنَّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ	بِمُنْيَةِ الْمُتَمَنِّي
(بِحِشْمَتِي) وَ(عَلَيَّ)	أَبِي الْفُتُوحِ) وَ(حَفْنِي)

(٩) اعتذار إلى أحمد شوقي بك (نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٣م)

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيِّدة أمينة هانم بحامد العلايلي بك
في كرمة ابن هانئ ولم يحضره حافظ لمرض ألمَّ به

يَا سَيِّدِي وَإِمَامِي	وَيَا أَدِيبَ الزَّمَانِ
قَدْ عَاقَنِي سُوءُ حَظِّي	عَنْ حَفَلَةِ الْمِهْرَجَانِ
وَكُنْتُ أَوَّلَ سَاعٍ	إِلَى رِحَابِ (ابْنِ هَانِي)
لَكِنْ مَرَضْتُ لِنَحْسِي	فِي يَوْمِ ذَاكَ الْقِرَانِ

وقد كفاني عقاباً
حرمتُ رؤيَّةَ (شوقي)
فاصفحْ فأنتَ خَلِيقُ
وعشْ لعرشِ المعاني
إنْ فاتني أنْ أوفِّي
فاقبلْهُ مِنِّي قضاءً
واللهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصُّ
ما كانَ منْ حِرماني
ولثُمَ تِلْكَ البَنانِ
بالصَّفْحِ عن كلِّ جاني
ودُمَ لتاجِ البَيانِ
بالأمسِ حقَّ التَّهاني
وكنْ كَريمَ الجَنانِ
سَلاةً بَعْدَ الأوانِ

(١٠) دُعابة (نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣م)

رُزقَ الشيخ أمين تقيِّ الدين الأديب السوريِّ بمولود سَمَاهُ حافظاً، وقال فيه:

لي وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ حَافِظًا تَيَمَّنَا بِحَافِظِ الشَّاعِرِ

فقال حافظ:

كحَافِظِ إبراهيمَ لكنَّه
فلَعَنَةُ اللهِ على (حَافِظِ)
لَعَلَّ أَرْضَ الشَّامِ تُزْهِى به
على بِلَادِ النِّيلِ تِلْكَ الَّتِي
(شوقي) و(مطران) و(صبري) ومَنْ
أَجْمَلُ خَلْقًا مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّاعِرِ المَاهِرِ
على بِلَادِ الأَدَبِ الزَّاهِرِ
تَاهَتْ بِأَصْحَابِ الذِّكَا النَّادِرِ
سَمَّيْتُهُ فِي مَطْلَعِي البَاهِرِ

فقال الشيخ أمين:

واخْجَلْتِي إِنْ لَمْ يَجِئْ شَاعِرًا
شِعْرُ نَظْمِنَاهُ وَلَوْ لَا الَّذِي
يُنْسِي أَبَاهُ جُحْمَةَ النَّاثِرِ
رُزِقْتُهُ مَا مَرَّ بِالْخَاطِرِ

فقال حافظ:

فيا وَلِيدِي كُنْ غَدًا شَاعِرًا وابدأْ بِهَجْوِ الوَالِدِ الأَمْرِ

فَالذَّنْبُ ذَنْبِي وَأَنَا الْمُعْنَدِي هَلْ يَسْلَمُ الشَّاعِرُ مِنْ شَاعِرٍ

(١١) بين شوقي وحافظ (نشرت في سنة ١٩١٧م)

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس إلى حافظ، وهي:

يا ساكني مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ — وَإِنْ غَبْنَا — مُقِيمِينَ
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئًا نَبْلُ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينََا
كُلِّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ آسِنَةً مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا

(١٢) فأجابه حافظ بهذه الأبيات (نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧م)

عَجِبْتُ لِلَّيْلِ يَذْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ صَادٍ وَيَسْقِي رُبَا مِصْرٍ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مَنْ عَيْشَهُمْ لِينَا
لَمْ تَنَأْ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينََا

(١٣) بين حافظ والهراوي

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨م فذهب صديقه محمد الهراوي الشاعر المعروف ليزوره، ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعاني في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يا رَيْسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي مَا الَّذِي يَقْضِي الرَّئِيسُ
أَنْتَ فِي الْجِيزَةِ خَافِ مِثْلَمَا تَخْفَى الشُّمُوسُ
قَابِغُ فِي كِسْرِ بَيْتٍ قَدْ أَظْلَمَتْهُ الْغُرُوسُ
زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مُطَرِّقُ سَاهٍ عَبُوسُ
أَيْنَ شَعْرُكَ مِنْكَ نَضْرُ فَلَنَا فِيهِ مَسِيسُ
وَحَدِيثُكَ مِنْكَ حُلُو يَتَشَهَّاهُ الْجُلُوسُ

الإخوانيات

وَفُكَاهَاتُ عِذَابٍ تَتَمَنَّاها النُّفُوسُ
قد جَفَوْتَ الشَّعْرَ حَتَّى حَدَّثْتُ عَنْكَ الطُّرُوسُ
وَهَجَرْتَ النَّاسَ حَتَّى سَاءَلُوا أَيْنَ الْأُنَيْسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضًا:

أنا في الجِيزَةِ ثاوٍ لَيْسَ لي فيها أَنْيْسُ
أُنْكَرُ الْأُنْسَ مَكَانِي وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيْسُ
لَيْسَ يَذْري مَنْ رَأَنِي أَطْلِقُ أَمْ حَبِيْسُ

(١٤) دعابة كتب بها إلى السيّد محمّد الببلوي نقيب الأشراف

(لما ولي نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠م)

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتَهُ فَذَاذَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَحُجَّابُ
قد كان بَابُكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
هَلَّا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) صُحْبَتَنَا إِذْ نَحْنُ رَغَمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ
لو أَتَنِي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لِأَكْرَمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لو جِئْتَهُ (الْبَابُ)
لا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
فَاهِنًا بما ثَلْتُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

(١٥) استئذان الرئيس (نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤م)

بيتان ارتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ بَأَنَّ شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُنْتَظَرُ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجْلَى بِهَا الْفِكْرُ

(١٦) دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧م، وكان كلاهما في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف، وكان الدكتور — فيما قالوا — مشغولاً بأمرين إذ

ذاك: وزارة يتولاها، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها وإلى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة:

يُرْغِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا
مَنْ كُلِّ قَافٍ كَانَ اللَّهُ صَوْرَهَا
قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْلِكُهَا
يَغِيْبُ عَنْهُ الْحِجَابُ حِينَ وَيَخْضُرُهُ
لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينَ وَثَبَّتَهُ
بَيْنَا تَرَاهُ يُبَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ)
وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَبَلٍ
يَبِيْتُ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُذْهَبَةً
طَوْرًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ
وَتَارَةً زَوْجَ عُطْبُولٍ خَدَلَجَةٍ
يُعْفَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيَّةِ

قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ
مَنْ مَارَجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ
وَاخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ
حِينَ فَيَخْلُطُ مُخْتَلًا بِمَوْزُونِ
مَنْ (كَرْدَفَانِ) إِلَى أَعْلَى (فَلَسْطِينِ)
إِذَا بِهِ يَتَحَدَّى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
لَكِنَّهَا عَبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
تُغْنِي تَقَاسِيرُهَا عَنْ (ابْنِ سِيرِينِ)
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَابِينِ
حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْفَدَادِينِ
وَمَا أَظْلَمَتْهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

(١٧) دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمْ بَدَمْعِي
لَأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفْنِي
وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
— عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

(١٨) دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جوابًا عن قصيدة دعابية أيضًا بعث بها إليه هذا الصديق

وَأَفَى كِتَابُكَ يَزْدَرِي
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً
أَجْرَيْتُ فِي أَثْنَائِهَا
وَفَرَطْتُ بَيْنَ سَطُورِهَا
بِالْدُّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
مُزَجَّتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
نَهَرَ انْسِجَامِ الْكُوْثَرِ
مَنْظُومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ

وَحَبَّاتٌ فِي الْفَاضِلِهَا
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّ
كَالْغَانِيَاتِ تَقَنَّعَتْ
مَعْنَى أَلَذُّ مِنَ الشَّمَاءِ
أَوْ مِنْ عِتَابِ بَيْنَ مَخٍ
أَوْ فَتْرَةِ أَضَاعَهَا الـ
أَوْ مَجْلِسِ الْخَمْرِ مَعِ
تَسْعُونَ بَيْتًا شَذَتْهَا
وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ
أَفْتَى الْقَوَافِي كَيْفَ أَنْ
أُتْرَى أَرَاكَ أَمْ اللَّقَا
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِي
وَلَقَدْ قُذِفَتْ إِلَى الْجَحِي
تَاللهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْ
وَعْدَا) (أَبْقِرَاطُ) بَبَا
وَبَرَعَتْ (جَالِينُوسَ) أَوْ
مَا كُنْتَ إِلَّا تَافَهُ الـ
غُفْرَانُكَ اللَّهُمَّ إِذْ
سَوَّيْتَهُ كَالْكَرْكَدَ
وَجْهٌ وَلَا وَجْهَ الْخَطَا
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِنْ
كَمْ بَاتَ يَلْتَحِمُ الْعُرُو
فَافْعَلْ بِهِ اللَّهُمَّ كَالنَّ
وَأَنْزِلْ عَلَيْهِ السُّخْطَ إِنَّ
فَهُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الرَّبَا
وَأَقَامَ دِينَ عِبَادَةِ الد
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِبُخْلِهِ

مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسْكِرِ
يَةِ فِي مَغَانِي الْأُسْطُرِ
خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي
تَةِ بِالْعَدُوِّ الْمُذْبِرِ
بُوبٍ وَحِبِّ مُعْذِرِ
مِقَامِرٍ عِنْدَ الْمَيْسِرِ
قُودٍ بِيَوْمٍ مُمْطِرِ
فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ
فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورِ
تَ؟ فَقَدْ أَطْلَتْ تَحْسُرِي؟
ءٌ يَكُونُ يَوْمَ الْمَحْشَرِ
شَ أَيْ لَيْثِ الْمَكْسِرِ
مِ وَبَنَسَ عُقْبَى الْمُتَكْرِرِ
لَاطُونِ) تِلْكَ الْأَعْصِرِ
بِكَ كَالْعَدِيمِ الْمُعْسِرِ
(لُقْمَانِ) بَيْنَ الْحُضِرِ
أَدَابِ عِنْدَ الْمَعْشَرِ
نِي مِنْ ظِلَامَتِهِ بَرِي
نِ وَجَاءَنَا كَالْأَخْذَرِي
بِ وَقَامَةً لَمْ تُشْبِرِ
لَ لِسَانِهِ لَمْ يُبْتَرِ
ضَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ الْقَرِي
مَرُودٍ فَهُوَ بِهَا حَرِي
أَمْسَى وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ
وَأَقَامَ رُكْنَ الْفَجْرِ
يَنَارِ بَيْنَ الْأَظْهَرِ
وَلَكَفِهِ الْمُسْتَحْجَرِ

لا يَصْرِفُ السُّحُوتَ إلَـ
لو أَنَّ فِي إِمكَانِهِ
لاخْتَارَ سَدَّ الْفَتْحَتَيْنِ
نِ وَقَالَ: يَا جَيْبُ احْذَرِ
لَا وَهُوَ غَيْرُ مُخَيَّرِ
عَيْشًا بَغَيْرِ تَضَوُّرِ

(١٩) عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك

طالَ الْحَدِيثُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا السَّمَرُ
وذلكَ اللَّيْلُ قد ضَاعَتْ رَوَاجِلُهُ
هذي مَضَاجِعُكُمْ يا قَوْمُ فَالتَّقَطُوا
هل يُنْكِرُ النَّوْمَ جَفْنٌ — لو أُتِيحَ لَهُ —
أَبَيْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي كيفَ قَاطَعَنِي
فما مُطَوَّقَةٌ قد نَالَها شَرَكُ
بَاتَتْ تُجَاهِدُ هَمًّا وهي آيسَةٌ
وبَاتَ زُعْلُولُها فِي وَكْرِها فَزَعًا
يُحَفِّزُ الْخَوْفُ أَحْشَاهُ وَتُزَعِّجُهُ
مَنِّي بِأَسْوَأَ حَالًا حينَ قَاطَعَنِي
يابْنَ الْكِرامِ أَتَنْسَى أَنَّني رَجُلٌ
إِنِّي فَتاكُ فلا تَقْطَعُ مُواصَلَتِي

ولاحَ لِلنَّوْمِ فِي أَجْفَانِكُمْ أَثَرُ
فليسَ يُرْجَى لَهُ مَنْ بَعْدَها سَفَرُ
طيبَ الْكَرَى بَعْيُونَ شَابَها السَّهَرُ
إِلَّا أَنَا وَنَجْوَمُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ؟
هذا الصَّدِيقُ ومالي عَنْهُ مُصْطَبَرُ
عندَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ ساقَها الْقَدَرُ
منَ النِّجاةِ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
مُرُوعًا لِرَجُوعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ
إِذا سَرَتْ نَسَمَةٌ أَوْ وَسَّوسَ الشَّجَرُ
هذا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كانَ يَدَّكِرُ
لِظِلِّ جَاهِكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
هَبْنِي جَنَيْتُ فَقُلْ لي كَيْفَ أُعْتَذِرُ؟

(٢٠) استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بَتُّ مَحْسُودًا عَلَيْكَ لِأَنَّني
فلا تُبْلِغِ الْحُسَادَ مِنِّي شِمَاتَهُ
فَتاكُ، وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ يُحْسَدُ
فَفِعْلُكَ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ

(٢١) وداع محمد المويلحي بك حين سفره إلى معرض باريس

الإخوانيات

يا كاتبَ الشَّرْقِ ويا خَيْرَ مَنْ تَتْلُو بَنُو الشَّرْقِ مَقَامَاتِهِ
سَافِرٌ وَعُدٌ يَحْفَظُكَ رَبُّ الْوَرَى وابْعَثْ لَنَا عَيْسَى بِآيَاتِهِ

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر:

مَنْ لَمْ يَرَ الْمَعْرِضَ فِي اتِّسَاعِ وفَاتَهُ مَا فِيهِ مِنْ إِبْدَاعِ
فَمَعْرِضُ الْقَوْمِ بِلَا نِزَاعِ فِي نَفْثَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْيِرَاعِ

(٢٢) عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَنَاءَيْتُ عَنْكُمْ فَحُلَّتْ عُرَا وضَاعَتْ عُهودٌ عَلَى مَا أَرَى
وَأَصْبَحَ حَبْلُ اتِّصَالِي بِكُمْ كَخَيْطِ الْغَزَالَةِ بَعْدَ النَّوَى
وَقَدْ زَالَ مَا كَانَ مِنَ الْفَقَةِ وَوُدُّ زَوَالِ شَهَابِ الدُّجَى
كَأَنَّ بَقَاءَ الْوَفَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي بَقَاءُ حَبَابِ الْحَيَا
سَكَنْتُ إِلَيْكُمْ وَلَمْ تَسْكُنُوا إِلَيَّ وَقَدْ كُنْتُ نِعَمَ الْفَتَى
وَنَفْسِي فَرِيقَانِ: هَذَا بِهِ مَزَجْتُ الْوَفَاءَ، وَذَلِكَ النَّدَى
أَصْبَبْتُمْ تَرَاتُّبًا وَالْهَاجُمُ التَّ كَاثُرٌ عَنَّا فَسَّرَ الْعُدَا
وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِثْرَاؤُهُ صَدِيقَ الْخَصَاصَةِ لَا يُصْطَفَى

(٢٣) ذِكْرِي

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

مَنْ وَاجِدٍ مُنْفَرٍ الْمَنَامِ طَرِيدٍ دَهْرٍ جَائِرِ الْأَحْكَامِ
مُسْتَنَتِ الشَّمْلِ عَلَى الدَّوَامِ مُلَازِمٍ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ
إِلَيْكُمْ يَا نُزْهَةَ الْأَنَامِ وَفَتْيَةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ

مَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّزْمِ الْأَقْسَامِ
 بِأَنْ يُقَضُّوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ
 مَا بَيَّنَّ بِنْتِ الْحَانِ وَالْأَنْغَامِ
 وَمُطَرِبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ
 أَرْقَ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامٍ)
 وَمَجْلِسٍ فِي غَفْلَةِ الْآيَامِ
 قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْأَثَامِ
 تَحِيَّةُ كَالْوَرْدِ فِي الْكِمَامِ
 أَزْهَى مِنْ الصَّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ
 يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَامِي
 تَقْصُرُ عَنْهُ هَمَّةُ الْأَقْلَامِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ
 إِلَيْكُمْ تَرْمِي بِي الْمَرَامِي
 أَمْ يَنْتَوِينِي رَائِدُ الْحِمَامِ
 فَأَنْطَوِي فِي هَذِهِ الْأَكَامِ
 وَتَوْلُمُ الضُّبُعَ عَلَى عِظَامِي
 وَلَائِمًا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ
 فَإِنْ أَتَى يَوْمِي وَأُودِيَ لَامِي
 وَبَاتَ زَادَ الدُّودِ وَالرَّغَامِ
 بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ
 أَنْ تَذْكُرُوا نَاظِمَ ذَا الْكَلَامِ
 إِذَا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا لِلْجَامِ
 وَكَانَ سَاقِيكُمْ مِنَ الْآرَامِ
 فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ

(٢٤) وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز
للتعلم

سيرا أيا بَدَرِي سَمَاءِ الْعُلا	وَاسْتَقْبِلَا التَّمَّ وَلَا تَأْفِلَا
سيرا إِلَى مَهْدِ الْعُلُومِ الَّتِي	كَانَتْ لَنَا نُمُّ ازْدَهَاها الْبَلَى
سيرا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَبَتْ	عِزًّا وَأَصَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلًا
يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَخْذِيًا	وَتَجَزَعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا
شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا	أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَا
فَزَيْنَا الْمَجْدَ بِنُورِ النُّهَى	وَجَمَّلَا الْجَاهَ بِأَنْ تَكْمُلَا
وَاسْتَبَقَا الْعُلِيَاءَ وَاسْتَمْسَكَا	بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ وَلَا تَعْجَلَا
وَحَبَّرَا الْغَرْبَ وَأَبْنَاءَهُ	بَأَنَّا نَحْنُ الرَّجَالُ الْأَلَى
لَنْ غَدَا الدَّهْرُ بَنَا مُدِيرًا	لَا بُدَّ لِلْمُدِيرِ أَنْ يُقْبِلَا
لَا زَلْتُمَا فَرْعَيْنِ فِي دَوْحَةٍ	تُظِلُّ مَنْ رَجَى وَمَنْ أَمَّلَا
نَمَتَكُمَا مِصْرُ وَرَبَّاكُمَا	أَبُ كَرِيمُ جَدِّ حَتَّى عَلَا
مَضَى وَقَدْ أَوْلَاكُمَا نِعْمَةً	لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَغْلُلَا
فَرَحَمَهُ اللَّهُ عَلَى وَالِدِ	كَسَاكُمَا الْإِعْزَازَ بَيْنَ الْمَلَا

(٢٥) إِلَى أَحْمَدِ شَوْقِي بِكَ يُودِّعُهُ حِينَ سَفَرِهِ إِلَى مُؤْتَمَرِ الْمُسْتَشْرِقِينَ

يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ اتَّيَدُ	مَاذَا تُحَاوِلُ بَعْدَ ذَاكَ
هَذِي النُّجُومُ نَظَّمْتُهَا	دُرَّرَ الْقَرِيضُ وَمَا كَفَاكَ
وَالْبَدْرُ قَدْ عَلِمْتَهُ	أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَكَ
وَسَمَوْتَ فِي أَفْقِ السُّعُو	بِ فَكِدْتَ تَعْتَرُّ بِالسَّمَاءِ
وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْمَحَا	مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَاصْطَفَاكَ
وَدَعَتْكَ مِصْرُ رَسُولِهَا	لِلْغَرْبِ مُدُّ عَرَفَتْ عِلَاكَ
فَارْحَلْ وَعُدْ بِوَدِيعَةِ الرُّ	رَحْمَنِ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ

(٢٦) إِلَى صَدِيقِهِ مُحَمَّدَ عَبْدِهِ الْبَابِلِيِّ بِكَ يِعَاتِبُهُ

كُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ السُّودَانِ

إِنَّ عَضِيكَ يَا أَخِي بِالْمَلَامِ
 لَا يُؤَدِّي لِمِثْلِ هَذَا الْخِصَامِ
 أَنْتَ وَالشَّمْسُ (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالِي أَلْ
 عَشْرِ (وَالْفَجْرِ) غَيْرُ رَاعِي الذُّمَامِ
 مَا عَهْدُكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا
 تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكِرَامِ
 لَيْسَ فِي كُتُبِنَا سُؤَالُ نَوَالِ
 مِنْكَ حَتَّى حَشَيْتَ رَدَّ السَّلَامِ
 نَحْنُ نَرْضَى بِالْقُوتِ مِنْ هَذِهِ الدَّنِ
 يَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوْتِ النُّعَامِ
 وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكُونَا
 لِسِوَى اللَّهِ أَعْدَلَ الْقُسَامِ
 كَيْفَ تَنْسَى يَا (بَابِلِي) غَرِيبًا
 بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
 وَحَزِينًا إِذَا تَنَفَّسَ عَادَتْ
 فَحْمَةُ اللَّيْلِ جَمْرَةً مِنْ ضِرَامِ
 وَإِذَا أَنْ كَادَ يَنْصَدِعُ الْأَفْ
 قُ وَتَعَتَّلُ دَوْرَةُ الْأَجْرَامِ
 بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمَنَّى
 لَوْ يَكُونُ الْمَبِيتُ تَحْتَ الرِّغَامِ

وكتب إليه أيضًا يعاتبه ويداعبه:

أَمْ تَنْاسِ مِنْكَ أَمْ مَلَلُ	أَذِلَّالُ ذَاكَ أَمْ كَسَلُ
أَمْ بِكَاسَاتِ الْهَنَا ثَمَلُ	أَمْ غَرِيقُ أَنْتَ فِي جَذَلُ
أَمْ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَّكِلُ	أَمْ - وَقَاكَ اللَّهُ - فِي كَدَرُ
شَفَّهُ التَّشْبِيبُ وَالْغَزَلُ	أَمْ مَشُوقُ مُغْرَمٍ وَلَهُ
مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ	أَمْ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْغَلُهُ

أَمْ وَشَىٰ وَاشَّ إِلَيْكَ بِنَا
 قَدْ مَضَىٰ شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ
 لَا كِتَابَ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا
 لَا وَلَا رُدُّ يُعَلِّلُنِي
 يَا صَدِيقِي لَا مُؤَاخَذَةً
 فَاحْتَوَاكَ الشُّكُّ (يَا بَطْلُ)
 ضَعُفَهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَغِلُ
 فِي فَوَادِي بَاتَ يَشْتَغِلُ
 أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَشْتَمِلُ
 أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ.....

وكتب إليه أيضًا يتشوق:

نَمَى يَا بَابِلِيَّ إِلَيْكَ شَوْقِي
 وَلَوْ أَنِّي تَرَكْتُ سَرَاخَ قَلْبِي
 وَعَيْنِي لَزِمْتُ سَكَبَ الدُّمُوعِ
 لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

(٢٧) شُكْرُ وَزِيرٍ زَارَ حَافِظًا فِي مَنْزِلِهِ

لَا غَرَوْا إِنْ أَشْرَقَ فِي مَنْزِلِي
 فَالْبَدْرُ فِي أَعْلَى مَدَارَاتِهِ
 فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُحِيًّا الْوَزِيرُ
 لِلْعَيْنِ يَبْدُو وَجْهُهُ فِي الْغَدِيرِ

(٢٨) دُعَابَةٌ كَتَبَهَا إِلَى الْأُسْتَاذِ حَامِدٍ سَرِي

في يوم زفافه (٢ نوفمبر ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيابًا يلبسها، وكانا
 إذ ذاك متجاورين بالجيزة:

أَحَامِدُ كَيْفَ تَنْسَانِي وَبَيْنِي
 سَأَشْكُو لِلْوَزِيرِ فَإِنْ تَوَانَى
 أَشْبَعُ مُصْطَفَى الْخَوْلِيِّ وَأُمْسِي
 وَبَيْتِي فَارِغٌ لَا شَيْءَ فِيهِ
 وَمَالِي جَزْمَةٌ سَوْدَاءَ حَتَّى
 وَعِنْدِي مِنْ صِحَابِي الْآنَ رَهْطُ
 فَإِنْ لَمْ تَبْعَثْنِي إِلَيَّ حَالًا
 تُغَطِّيَهَا مِنَ الْحُلُوى صُنُوفُ
 وَبَيْنَكَ يَا أَخِي صَلََّةُ الْجَوَارِ
 شَكْوَتُكَ بَعْدَهُ لِلْمُسْتَشَارِ
 أَعَالِجُ جَوْعَتِي فِي كِسْرِ دَارِي
 سِوَايَ وَإِنِّي فِي الْبَيْتِ عَارِي
 أَوْافِيكُمْ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
 إِذَا أَكَلُوا فَاسَادَ ضَوَارِي
 بِمَائِدَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ
 وَمِنْ حَمَلٍ تَتَبَّلُ بِالْبَهَارِ

فإنِّي شاعرٌ يُخشى لسانِي وسَوْفَ أُرِيكَ عاقِبَةَ احتِقاري

الوصف

(١) وصف كساء له (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

قالها ارتجالاً في مجلس من إخوانه

أنا فيه أتية مثل الكسائي
وسقاه النعيم ماء الصفاء
ليل مصقولة بحسن الطلاء
أوجروا سمها خيوط الهناء
في لباس من العلا والبهاء
في صفوف الولاء والأمراء
ألفه المغممين شمس الشتاء
أرتجيه لزينه وازدهاء
وتعدت ناسجات الجواء
وتخطت إبرة الرقاء
بدلة في تلون الحزباء
نسبة لم تكن بذات افتراء
أنكروني كطارق من وباء
لون وجه الغنوب عند اللقاء
فوق ما أشتهي وفوق الرجاء
ب ولا يعشقون غير الرؤاء

لي كساء أنعم به من كساء
حاكه العز من خيوط المعالي
وتبدى في صبغة من أديم الـ
خاطه ربه بإبرة يمين
فكأنني - وقد أحاط بجسمي -
تكبر العين رؤيتي وتراني
ألف الناس - حيث كنت - مكاني
يا ردائي وأنت خير ردائي
لا أحالت لك الحوادث لوناً
غفلت عنك لليلي نظرات
صحبتي قبل اصطحابك دهرًا
نسبوا لطيلسان (ابن حرب)
كنت فيها إذا طرقت أناسا
كسف الدهر لونها واستعارت
يا ردائي جعلتني عند قومي
إن قومي تروقهم جدّة الثو

قيمة المَرءِ عندهم بين ثوبٍ باهرٍ لونه وبين حذاءٍ
قعد الفضل بي وقمت بعزي بين صحبي، جُزيت خير الجزاءِ

(٢) الحاكي (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَاقِقُ
لَا تَجْعَلِي الْوَاشِينَ رُسْلَكَ فِي الْهَوَى فَلَأَصْدُقَ الرُّسْلَ الْجَمَادُ النَّاطِقُ

(٣) الشمس (نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

لَاخَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ فَانْسُوا بِاللَّيْلِ وَصَاحَ الْجَبِينُ
وَمَحَتْ آيَتُهَا آيَتَهُ وَتَبَدَّتْ فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ
نَظَرَ إِبْرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينُ
قَالَ: ذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَتْ (قَالَ: إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
رَبِّ إِنْ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الْأَنْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينَ
نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرَاتَهَا تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
ثُمَّ قَالُوا: كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينُ؟
هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينُ
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينُ
هِيَ طَلَعُ الرُّوْضِ نَوْرًا وَجَنَى هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ، طِيبُ الْيَاسْمِينِ
هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلْوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
صَدَقُوا لَكِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقَ سَيِّئَلَى بِالسَّنِينِ
إِلَهُ لَمْ يُنَزَّرْ ذَاتَهُ عَنْ كُسُوفٍ، بِئْسَ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ
إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ

حِكْمَةٌ بِالْغَةِ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(٤) دولة السيف ودولة المدفع (نشرت في ٢٣ نوفمبر في ١٩٠٠م)

يَا دَوْلَةَ الْقَوَاضِي الصَّقَالِ
وَصَوْلَةَ الذَّوَابِلِ الطُّوَالِ
كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصَرِ الْخَوَالِ
مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ
قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ
وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ
رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِ
وَحَلَّفَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ
مَمْلَكَةُ الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ
قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ
فَأَرْهَبَتْ أَفْتَدَةَ الْأَبْطَالِ
أَرْهَبَهَا مُزْعَزَعُ الْجِبَالِ
وَمُفْزَعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ
وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ
وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أُمِّيَالِ
يَتَوَرُّ كَالْبَرْكَانِ فِي النَّزَالِ
فَيُتَّبَعُ الْأَهْوَالِ بِالْأَهْوَالِ
وَيُرْسَلُ النَّارُ عَلَى التَّوَالِ
فَيَخْطِمُ الْهَامَ وَلَا يُبَالِي
مَا كَوَّكَبُ الرَّجْمِ هَوَى مِنْ عَالِي
فَمَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ
عَلَى عَنِيدِ مَارِدٍ مُحْتَالِ
مُسْتَرِيقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ

مِنْ عَالَمِ التَّسْبِيحِ وَالْإِهْلَالِ
أَمْضَى وَأَنْكَى مِنْهُ فِي الْقِتَالِ
إِذَا سَرَتْ قُنْبُلَةُ الْوَبَالِ
مِنْ فَمِهِ الْمَحْشُوءُ بِالنَّكَالِ
يُنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ
بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْأَجَالِ
وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخَتَّالِ
يَحْزُ فِي الْهَامِ وَفِي الْأَوْصَالِ
صَامَتَ قَوْلٍ نَاطِقِ الْفِعَالِ
رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ
مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ
فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِي

(٥) ليلة عيد جلوس الخديوي

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

عَلَى حُمَاةِ الْقَوَافِي أَيْنَمَا تَاهُوا
الدَّهْرُ أَضْمَرَهِ وَالْعِيدُ أَفْشَاهُ
رَوْضٌ وَخُورٌ وَوِلْدَانٌ وَأَمْوَاهُ
فِي مَنْظَرٍ يَسْتَعِيدُ الطَّرْفُ مَرَاهُ
كَأَنَّهَا النُّورُ وَالْوَسْمِيُّ حَيَاهُ
وَكُلُّ لَفْظٍ تَجَلَّى فِيهِ مَعْنَاهُ
كَالطَّيْرِ لَاحَ لَهُ وَرْدٌ فَوَافَاهُ
إِلَى سَعُودٍ بِهِ ضَاحٍ مُحْيَاهُ
حَلَّى السَّمَاءِ وَحُسْنًا لَسْتُ أَنْسَاهُ
وَقَايَةُ اللَّهِ وَالْإِقْبَالُ وَالْجَاهُ
بِالْعَدْلِ وَالْبَذْلِ يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ

يَا لَيْلَةَ أَلْهَمْتَنِي مَا أَتَيْهِ بِهِ
إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ
هَلْ ذَاكَ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ صَفْوَتَهُ
أَمْ الْحَدِيقَةُ ذَاتُ الْوَشْيِ قَدْ حَلِيَتْ
أَرَى الْمَصَابِيحَ فِيهَا وَهِيَ مُشْرِقَةٌ
أَوْ إِنَّمَا هِيَ الْفَاطُ مُدَبَّجَةٌ
أَرَى عَلَيْهَا قُلُوبَ الْقَوْمِ حَائِمَةٌ
أَرَى بَنِي مِصْرَ تَحْتَ اللَّيْلِ قَدْ نَسَلُوا
أَرَى عَلَى الْأَرْضِ حَلِيًّا قَدْ نَسِيَتْ بِهِ
أَرَى أَرْيَكَةَ (عَبَّاسٍ) تَحْفُ بِهَا
أَرَى سُمُوَّ خَدْيُونَا وَقَدْ بَسِطَتْ

قُلْ لِلآلِي جَعَلُوا لِلشَّعْرِ جَائِزَةً
 إِنِّي فَتَحْتُ لَهَا صَدْرًا تَلِيْقُ بِهِ
 لَمْ أَحْشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشَّعْرِ يَسْبِقُنِي
 ذَاكَ الَّذِي حَكَمْتَ فِينَا يِرَاعَتَهُ
 فِيمَ الْخِلَافُ! أَلَمْ يُرْشِدْكُمْ اللَّهُ!
 إِنَّ لَمْ تُحَلُّوهُ فَالرَّحْمَنُ حَلَّاهُ
 إِلَّا فَتَى مَا لَهُ فِي السَّبْقِ إِلَاهُ
 وَأَكْرَمَ اللَّهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ

(٦) البورصة (نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤)

ببَابِكِ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ
 وَفِيكَ قَدْ حَارَتِ الْيَهُودُ
 وَوَجْهُكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ
 كَمْ سَطَرْتُ عِنْدَهُ طُرُوسُ
 وَطُوطِطْتُ دُونَهُ رُءُوسُ
 وَكَمْ أَطَافْتُ بِهِ وَفُودُ
 فَرَابِجُ نَجْمُهُ سَعِيدُ
 لَمَّا عَلَتْ صَيْحَةُ الْمُنَادِي
 وَشَمَّرَتْ ثُرُوءُ الْبِلَادِ
 قَنَعْتُ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ
 وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ
 بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا
 مُضَارِبَاتُ هِيَ الْمَنَايَا
 صَبُوحُ أَصْحَابِهَا الرِّزَايَا
 قَدْ أَتْلَفْتُ أَنْفُسَ الْبَرَايَا
 هُبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ
 وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهْدُ
 كَمْ «بَالَةَ» سَبَبْتُ وَبَالَا
 وَبَذَرْتُ أَنْبَتَتْ خَبَالَا
 وَكَمْ غَنِيَّ أَضَاعَ مَالَا
 فَلْيَتَّعِظْ مِنْكُمْ الْبَعِيدُ
 فَذَلِكَ التَّاجِرُ الشَّهِيدُ
 وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
 يَا مَطْلَعُ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ
 قَدْ ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
 بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانُ
 يَهْتَزُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ
 وَأَكْثَرُوا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
 وَطَامَعُ بِالْخَسَارِ بَاءُ
 وَأَضْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءُ
 وَضَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
 وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالْغِطَاءُ
 مَنْ سَارَ فِي مَنْهَجِ النِّجَاءِ
 فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ
 وَرُسُلُهَا أَحْرُفُ الْبُرُوقِ
 وَمَا لَهُمْ دُونَهَا غَبُوقُ
 بِأَسْهُمِ الْغَدْرِ وَالْعُقُوقِ
 صَرَبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
 إِلَّا كَمَا تَعْهَدُ النِّسَاءُ
 وَأَشْبَهَتْ لَامَعَ السَّرَابِ
 وَأَثْمَرَتْ عَاجِلَ الْخَرَابِ
 وَشَابَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ
 وَلِيَتَّقِ اللَّهُ ذُو الثَّرَاءِ
 قَدْ عَافَ مِنْ أَجْلِهَا الْبَقَاءُ

(٧) زلزال مَسِينَا سنة ١٩٠٨م

مَا دَهَى الْكَوْنُ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ
ضُ فَأَنْحَتَ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟
كَ وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
تُورَانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
رُ عَلَى الْكَيْدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
رَاصِدُ غَفْلَةٍ مِنَ الرُّبَانِ
حَائِمْ حَوْلَنَا، مُنَاءٍ مُدَانِي
فِي خَلَقٍ كِلَاهُمَا غَايِرَانِ
وَدَعَاها مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ
حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا - آيَتَانِ
فُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةُ الْبُلْدَانِ
مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ
وَطَغَى الْبَحْرُ أَيُّمَا طُغْيَانِ
قُ أَنْشَقَا مِنْ كَثْرَةِ الْغَلْيَانِ
بَشُوَاطٍ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانِ
جَيْشٍ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحَيْنِ دَانِي
وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
خَلَقَ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
هُ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي
سُ وَخَارَتْ عَزَائِمُ الشُّجْعَانِ
لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
مِنْ مَغَانٍ مَأْهُولَةٍ وَغَوَانِي
مَا دَهَاها مِنْ ذَلِكَ الثُّورَانِ

نَبَّأَنِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ
غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ
لَيْسَ هَذَا - سُبْحَانَ رَبِّي - وَلَا ذَا
غَلْيَانٍ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ عَنْهُ
رَبِّ، أَيْنَ الْمَقَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرْزُ
كَنتُ أَخْشَى الْبِحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا
سَابِحٌ تَحْتَنَا، مُطِلٌّ عَلَيْنَا
فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ
مَا (لِمَسِينٍ) عَوِجَلَتْ فِي صِبَاها
وَمَحَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا
خُسِفَتْ، ثُمَّ أَغْرَقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ
وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَضْحَتْ كَأَنَّ لَمْ
لَيْتَهَا أُمِّهَلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا
لِمَحَّةٍ يَسْعَدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا
بَغَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا
تِلْكَ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُ
فَتُجِيبُ الْجِبَالَ رَجْمًا وَقَذْفًا
وَتَسْوَقُ الْبَحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا
فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنُ
جَنَدِ الْمَاءِ وَالثَّرَى لَهْلَآكِ الْـ
وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْ
فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْيَأُ
وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّةً مِنْ نَفُوسِ
أَيْنَ (رَدُّجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا
عَوِجَلَتْ مِثْلَ أَخْتِهَا وَدَهَاها

رُبَّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ
وَفَتَاةٍ هَيْفَاءَ تُشَوِّى عَلَى الْجَمَفِ
وَأَبٍ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي
بَاجِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ
تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ
غَصَّتِ الْأَرْضُ.. أَتَخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا
وَشَكَ الْحَوْتُ لِلنُّسُورِ شَكَاةً
أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا
لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشَّمَفِ
قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكْفٍ بَرَاهَا
كَيْفَ لَمْ يَرْحَمَا أَنْامِلَهَا الْغُرُ
لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا
مُولَعَاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَمِيلٍ
حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ
مُنْطِقَاتٍ لِسَانَ كُلِّ جَمَادٍ
مُلْهِمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصُّنْعِ مَا لَا
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي
عَجَبٌ صُنْعُهَا وَأَعْجَبُ مِنْهُ
إِيَّاهُ «مَسِينٌ» أَنْسَى الْيَوْمَ «بُْمْبِي»
أَنْسَى الدَّرَّةَ الَّتِي كَانَتْ الْجِلْدِ
غَالَهَا قَبْلَكَ الزَّمَانُ اغْتِيَالًا
جَاءَهَا الْأَمْرُ وَالسَّرَاةُ عُكُوفُ
بَيْنَ صَبٍّ مُدْلِهِ وَطَرُوبٍ
فَانْطَوَوْا كَانُطَوَاءِ أَهْلِكَ بِالْأَمْرِ
أَنْتِ (مَسِينٌ) لَنْ تَزُولِي كَمَا زَا
إِنَّ إِيْطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً
فَسَلَامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَوَلَّيْ

ضِ يُنَادِي: أُمِّي، أَبِي، أَذْرِكَانِي
رِ تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
مُسْتَمِيئًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْيَدَانِ
مُسْرَعِ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي
طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
رَدَدْتُهَا النَّسُورُ لِلْحَيَاتَانِ
ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوانِ
سَمٍ وَلَا حَاطٍ سَاكِنِ الْقِيَعَانِ
بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ
رَ وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ الْبَنَانِ
مِنْ أَكْفٍ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ
نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَقْنَانِ
يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوانِ
صُنْعُهُ، تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
يَ» فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ الْمَكَانِ
يَةَ فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
فِي الْمَلَاهِي عَلَى غِنَاءِ الْقِيَانِ
وَحَلِيعِ فِي اللَّهْوِ مُرْخَى الْعِنَانِ
سِ وَزَالَتْ بِشَاشَةِ الْعُمُرَانِ
لَتْ وَلَكِنْ أُمْسِيَتْ رَهْنُ الْأَوَانِ
فَاطْمَئِنِّي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِي
تِ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانِ

وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي — وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ
وَسَلَامٌ عَلَى الْأَلَى أَكَلِ الذُّبِّ — وَسَلَامٌ عَلَى امْرِئٍ جَادَ بِالذَّمِّ
ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنِّ — فَاكْتُبُوا فِي سَمَاءِ (رَدْجُو) وَ(مَسِيد)
هَاهُنَا مَصْرَعُ الصَّنَاعَةِ وَالتَّصْ — نَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلِيَانِ
ضِ عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فِيكَ فَانِي — بٌ وَنَاشَتْ جَوَارِحُ الْعِقْبَانِ
عِ وَثَنِي بِالْأَصْفَرِ الرَّنَّانِ — سَانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ
نَا) وَ(كَالْبَرِيَا) بِكُلِّ لِسَانِ — سَوِيرِ وَالْحَذَقِ وَالْحِجَا وَالْأَغَانِي

(٨) براعة غناء (نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨م)

قالها في جاك رومانو المغني الإسرائيلي المعروف

ارْحَمُونَا — بَنِي الْيَهُودِ — كَفَاكُمُ — وَاصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخُلَّ
لَا تَزِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِخَاخًا — وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أَسْرَفَ حَتَّى
أُسْكِنُوهُ لَا أَسْكَنَ اللَّهُ ذَاكَ الصُّ — أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنْ تَغْنَى
مَا جَمَعْتُمْ بِحَذَقِكُمْ مِنْ نُقُودٍ — قَ بِسَرِّ التَّوَرَةِ وَالتَّلْمُودِ
مِنْ غِنَاءٍ مَا بَيْنَ دُفٍّ وَعُودٍ — زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدَ)
وَوُتَ صَوْتُ الْمُتَيَّمِ الْغَرِيدِ — كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضًا:

يَا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ — إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَفَانَهُمْ
قَدْ جَاءَ (مُوسَى) بِالْعَصَا وَأَتَيْتُنَا — فَإِذَا ارْتَجَلَتْ لَنَا الْغِنَاءَ فَكُلْنَا
فَمُطَالِبٌ بِإِعَادَةِ وَمُطَالِبٌ — تَتَسَابَقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كُلَّمَا
وَتَوَدُّ أَفِيدَةُ هَتَكَتْ شَغَافَهَا — خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيمَةُ
وَلِكُلِّ عَصْرٍ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ — أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا
بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ — مُهْجٌ تَسِيلُ وَأَنْفُسٌ تَتَحَرَّقُ
بِزِيَادَةِ وَمُهَلَّلٌ وَمُصَفَّقٌ — غَنِيَّتُهَا شَوْقًا إِلَيْكَ وَتُغْنِي
لَوْ أَنَّهَا بِذُيُولِهَا تَتَعَلَّقُ — يَذْكُو بِهَا صَدْرُ النَّدِيِّ وَيَعْبِقُ

ومُروءةٌ لو أنَّها قد قُسمَت بينَ اليهودِ لأَحسنوا وتصدَّقوا

(٩) نادي الألعاب الرياضيَّة (ليلة السبت ٨ أبريل ١٩١٦م)

أنشدھا في ليلة أحيائها نادي الألعاب الرياضيَّة بالأوبرا السلطانيَّة

بنادي الجزيرة قف ساعة
ترى جنة من جنان الربيع
جمال الطبيعة في أفقها
فقل للحزين وقل للعليل
وقل للأديب: ابتدر ساحتها
وقل للمكب على درسه
تنسم صباحها تجدد قواك
ففيها شفاء لمرضى الهموم
وفيه وفي نيلها سلوة
وفيه غذاء لأهل العقول
ويا رب يوم شديد اللظى
به الريح لفاحة للوجوه
قصدت الجزيرة أبغي النجاة
فألقيت نايدها زاهراً
فأنزلني منزلاً طيباً
وأطفاً وارفاً تلك الظلال
وحل الأصيل عقال الشمال
فأحييت بنفسي ذكرى الشباب
وعاود قلبي ذاك الخفق
فما بال قومي لا يأخذون
وما بال قومي لا ينزلون
تراهم على نزيهم عكفاً

وشاهد بربك ما قد حوى
تبدت مع الخلد في مستوى
تجلّى على عرشه واستوى
وقل للملول: هناك الدوا
إذا ما البيان عليك التوى
إذا نهك الدرس منه القوى:
فأرض الجزيرة لا تجتوى
وملهى كريم لمرضى الهوى
لكل غريب رمته النوى
إذا الرأس إنثر كلال حوى
روى عن جهنم ما قد روى
به الشمس نزاعة للشوى
وجسمي شواه اللظى فاشتوى
وألقيت ثم نعيماً ثوى
وروى فؤادي حتى ارتوى
سعير الهجير وحرّ الجوى
فهبت بنشر إليها انضوى
وما كان منها ومنه انطوى
وقد كان بعد المشيب ازعوى
لتلك الجنان طريقاً سوا
بغير (جربى) و(بار اللوا)
يبادر كل إلى ما غوى

ولو أنصَفُوا الجِسْمَ لاسْتَظْهَرُوا
 فِيا نَادِيًا ضَمَّ أَنْسَ النَّدِيمِ
 لِيَالِيكَ أَنْسَ جَلَاها الصِّفا
 فَكَمْ لَيْلَةٍ طابَ فِيكَ الحَدِيثُ
 فَمِنْ مُشْجِياتٍ إِلَى مُطْرِبَاتِ
 وَقَدْ زَانَ لَهْوِكَ ثَوْبُ الوَقَارِ
 تَخَفَ إِلَيْهِ رِزَانُ الحِجَابِ
 فَقُلْ لِلَّذِي بَاتَ تَحْتَ العُقُودِ
 أَتِلْكَ الْأَمَاكِنُ لَا تُسْتَرَادِ
 أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبِذْرِ السَّمَاءِ
 يُمَلُّ الجُلُوسُ وَيَفْنَى الحَدِيثُ
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الحَيَاةَ
 مَكَانَ لَعْمُوكَ مَا حَلَّ فِي
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطْرُ
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَشْتَهِي
 لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُغْبَةٌ
 وَلِغْبٍ هُوَ الْجِدُّ لَوْ أَنَّنا
 لَدَى غَيْرِ (مِصْرَ) لَهُ حُظُوءٌ
 وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهَدْتُهُ
 وَشَاهَدْتُ مَوْسِمَهُ قَدْ حَوَتْ
 وَمَا جَ بَزْوَارِهِ الْمُؤَلَعِينَ
 وَقَدْ زَادَ أَلْعَابَهُ بِهَجَةٍ
 صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ بَعِيدُ المَدَى
 وَشَاهَدْتُ عِدَاءَهُمْ قَدْ عَدَا
 وَقَامَتْ مُلَاكِمَةُ اللَّاعِبِينَ
 بِأَوْحَى مَنْ اللَّمَحَ كَانَ النَّزَالُ
 وَلَوْ رُحْتُ أَنْعَتُ تِلْكَ الضُّرُوبَ

له بِالْمِرَانِ وَطِيبِ الهَوَا
 وَلَهُوَ الْكَرِيمِ وَقِيَّتِ الْبَلَى
 فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودَ الْمَلَا
 فَكَانَ الْكُثُوسَ وَكَانَ الطُّلَا
 إِلَى مُضْحِكَاتٍ تُسَلِّي، إِلَى ...
 فَلَهْوِكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
 وَتَمَشَّى إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى
 بِحَرْبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى:
 أَتِلْكَ الْمَنَاظِرُ لَا تُجْتَلَى؟
 وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
 فَهَذَا النُّعِيمُ وَإِلَّا فَلَا؟
 أَلَمْ تَفْتَتِنْكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى
 نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
 إِلَيْهِ فَتَشْهَدُ تِلْكَ الْحُلَى
 مُجِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 ثَلَاثُمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا
 نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النُّهَى
 فَكَمْ رَاحَ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
 فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ انْتَهَى
 نَوَاحِيهِ غَايَةً مَا يُشْتَهَى
 وَأَضْحَى بَعْرَشَ الْمُلوِكِ ارْزَهَى
 مَكَانٌ فَسِيحٌ مُعَدُّ لَهَا
 وَوُثِبَ يَكَادُ يَنَالُ السُّهَى
 ثَلَاثِينَ مِيلًا وَمَا إِنْ وَهَى
 فَأَنْسَتْ تَنَاطُحَ وَحْشِ الْمَهَا
 فِيا وَئِيلَ مَنْ مِنْهُمَا قَدْ سَهَا
 لَضَاقَ الْقَرِيضُ وَأَعْيَا بِهَا

على أن في أفقنا نهضة
وإن لم تكن بلغت أوجها
ونادي الرياضة أولى بأن
أظلت جلائل أعماله
ملك رعاه بإقباله
ففي عهده فليجد المجد
ستبلغ رغم القعود المدى
كذا كل شيء إذا ما ابتدأ
يكون عليها منار الهدى
ظلال (حسين) حليف الندى
وحسن عنايته والجدا
فإن السعود به قد بدا

(١٠) رحلته إلى إيطاليا (نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣م)

عاصف يرتمي وبحر يغير
وكأن الأمواج، وهي توالى
أزبدت، ثم جرجرت، ثم ثارت
ثم أوفت مثل الجبال على الفل
تترامى بجوجو لا يبالي
أزعج البحر جانبها من الشد
وهو أنا ينحط من عل كالسي
وهي تزور كالجوار إذا ما
وعليها نفوسنا خائرات
في ثنانيا الأمواج والزبد المن
مر يوم وبغض يوم علينا
ثم طافت عناية الله بالفل
ملك دقة النجاة يد الله
أمر البحر فاستكان وأمسى
أيها البحر لا يغرنك حول
إنما أنت ذرة قد حوتها
إنما أنت قطرة في إناء
إيه (إسبيريا) فدتك الجواري
أنا بالله منهما مستجير
محنقات، أشجان نفس تنور
ثم فازت كما تفور القدور
ك وللفك عزمة لا تخور
أمية تحوطه أم صخور؟
ر فجنب يعلو وجنب يغور
ل وأنا يحوطها منه سور
ساقه للطعان ندب جسور
جازعات كادت شعاعا تطير
دوف لاحت أكفائنا والقبور
والمنايا إلى النفوس تشير
ك فزالت عمن ثقل الشرور
ه فسبحان من إليه المصير
منه ذاك العباب وهو حصير
واتساع وأنت خلق كبير
ذرة في فضاء ربّي تدور
ليس يدري مداه إلا القدير
منشآت كأنهن القصور

يا عَروسَ البحارِ إِنَّكَ أَهْلٌ
فالبَسي اليَومَ مِنْ ثَنائِي عَقْدًا
إِيهِ إيطالِيا عَدَتِكَ العَوادي
فيكَ يا مَهِيْطَ الجَمالِ فُنونٌ
وَدُمِي جَمَعَ المَحاسِنَ فيها
قد أَقِيَمْتُ مِنَ الجَمادِ ولكنْ
فَهَي تَبْدو مِنَ المَلائِكِ يَكسو
أَمَرْتُ بالسُّكوتِ مِنْ جانِبِ الحَدِّ
أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحورٌ ووِلْداءُ
تَحْتَهَا - والعيادُ باللهِ - نارٌ
إِنَّ يَومًا كَيَومِ (رَدْجُو) و(مَسِي) -
ساعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الحَرثَ والنَّسبَ
ذاكَ (فِيزُوف) قائِما يَتَلَطَّي
يُنْذِرُ القَومَ بالرَّحيلِ ولكنْ
وكذاكَ الأوطانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ
شَمْسُهُمْ غادَةً عَلَياها جِبابُ
شَمْسُنا غادَةً أَبَتْ أَنْ تَوارى
جَوُّهُمْ في تَقَلُّبٍ واخْتِلافٍ
جَوْنًا أَثَبَّتَ الجِواءَ ولكنْ
ولَدِيَهُمْ مِنَ الفُنونِ لُبابُ
أُنْكَرَ الوقفَ شَرْعُهُمْ فلَهِذا
ليسَ فيها مُسْتَنقَعٌ أو جِدارٌ
كُلُّ شَبْرٍ فيها عَلَيهِ بِناءٌ
قَسَمُوا الوَقْتَ بَينَ لَهوٍ وَجَدٍّ
كُلُّهُمْ كادِحٌ بَكورٌ إلى الرِّزِّ
لا تَرى في الصَّباحِ لَاعِبَ نَزْدٍ
لا ولا باهِلاً سَليمَ النِّواحِي

أَنْ تُحَلِّيكِ بِالْجُمانِ البُحورُ
تَشْتَهيه مِنَ الحِسانِ النُّحورُ
وَتَنحَى عَنِ ساكِنيكَ التُّبورُ
ليسَ فيها عَنِ الكَمالِ قُصورُ
صَنعُ الكَفِّ عِبْقَرِي شَهِيرُ
مِنْ مَعاني الحِياةِ فيها سُطورُ
ها جَمالٌ عَلى حِفافِئِهِ نورُ
قِي بَدُنِيا فيها الأحاديثُ زورُ
نُ كَما تَشْتَهِي ومُلْكُ كَبيْرُ
وعَذابُ ومُنْكَرُ وَنَكِيْرُ
نَا) و(كالْبَرِيا) لَيَومٌ عَسيْرُ
لَ وَتَمَحُو ما سَطَّرْتَهُ الدُّهورُ
قد تَعالَى شَهِيقُهُ والرَّفِيرُ
ليسَ يُغْني مَعَ القَضائِ النَّذيرُ
ليسَ لِلْحُرِّ عَنِ جَماها مَسيْرُ
فَهي شَرْقِيَّةٌ حَوَّتْها الخُدورُ
فَهي غَرْبِيَّةٌ جَلَّاهَا السُّفورُ
غَيرَ أَنَّ الثَّباتَ فيهِمْ وَفِيرُ
ليسَ فِينا عَلى الثَّباتِ صَبورُ
ولَدِينا مِنَ الفُنونِ قُشورُ
كُلُّ رَبْعٍ بأَرْضِهِمْ مَعْمورُ
قد تَداعى أو مَسْكَنٌ مَهْجورُ
مُشْمَخِرٌ أو رَوْضَةٌ أو غَديرُ
في مَدى اليَومِ قِسْمَةٌ لا تَجورُ
قِي وَلاهِ إِذا دَعاهُ السُّرورُ
حَوْلُهُ لِلرَّهانِ جَمٌّ غَفيرُ
لِلقَهاوي رَواحِهِ والبُكورُ

أَوْ شَتُونَ الْحَيَاةِ جَوْ مَطِيرُ
أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ اخْتَوَاهَا النُّعُورُ
أَمْ أَجَارَتْ بِهِمْ صَبَا أَمْ دَبُورُ
عُدَّةٌ لَا يَحُورُهَا التَّقْدِيرُ
وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخُصْبِ بُورُ
حَيْثُ تَسْرِي إِلَى الْكَمَالِ الْبُذُورُ
لَمْ يَقْدَرْ لَصْنَعِهَا تَغْيِيرُ
جُنَّ فِيهَا غَزِيَّتُهُمْ وَالْفَقِيرُ
خَلَّتْ أُنِّي عَلَى الْمَرَايَا أُسِيرُ
أَنْ فَرَطَ النُّظَامِ أَسْرُ وَنِيرُ
لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرُ أَوْ أَمِيرُ
أَمَّةٌ حُرَّةٌ وَقَرْدُ أُسِيرُ
إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ
فَ نَعِيمٍ وَإِنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ
طَارِقِي أَمْسَى اخْتَوَاهُ (شَلِيرُ):
ضَ وَحَلَّتْ عَلَيْهَا الْخُمُورُ
مِنْ (شَلِيرُ) وَأَيْنَ مَنَا السَّعِيرُ
بَ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرُ يَسِيرُ
أَوْ رَحِيلُ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ

لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي
لَا يُبَالُونَ بِالطَّبِيعَةِ حَنَّتْ
عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَاخُ عَوَاتِ
قَدْ أَعْدُوا الْحَادِثَاتِ اللَّيَالِي
نَضُّرُوا الصَّخَرَ فِي رُءُوسِ الرُّوَاسِي
قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا
وَالْجَوَارِي فِي النِّيلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحِ)
وَلِعَ الْقَوْمُ بِالنَّظَافَةِ حَتَّى
فَإِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا
أَفْرَطَ الْقَوْمُ فِي النُّظَامِ وَعِنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى
فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
ذَاكَ رَأْيِي وَهَلْ أَشَارَكَ فِيهِ
فِي جِبَالِ التِّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّيْدُ
أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ
حَلَّ تَرَكُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرْ
إِنَّ صَدْرَ السَّعِيرِ أَحْنَى عَلَيْنَا
قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامُ

(١١) حريق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباطه بك

نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبَا
ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكَو لَهْيَا
ظَلٌّ لِلْمُرْتَجِي الْوُرُودَ قَرِيبَا
رِ وَالْقَى هَذَا الْفَنَاءَ رَحِيبَا

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمَا
أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا
وَنَسُوا أَنَّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثُ
وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْ

فَأَتَى يُبْرِدُ الْغَلِيلَ بِقَطْرِ مَنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَاسِي الْغَرِيبَا

(١٢) خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرًا تخيله حينما همّ باغتيال ابن عمّه (دانكان) الملك ليخلفه في ملكه؛ ويصف تردده أولاً ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد:

يَطِيرُ بِكِلْتَا صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
فَفِيهِ خُفُوقُ تَارَةٍ وَقَرَارُ
وَيَحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنُقٌ وَغِرَارُ
فَيَنُأَى وَفِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
فَيُذِرْكُهُ عِنْدَ الدُّنُوِّ نِفَارُ
بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَخُمَارُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟
وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ
هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْخِيَانَةُ عَارُ
وَفِي طَيِّ نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَثَارُ
وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَاتِكَ نَارُ؟
وَذَاكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ؟
فإِنِّي وَحِيدٌ وَالْخُطُوبُ كَثَارُ
فَلَيْلِي بِهِيمٌ وَالطَّرِيقُ عِثَارُ
وإنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَارُ
فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
وَيَا شَرُّ مَالِي مَنْ يَدِيكَ فِرَارُ
يَضِلُّ بِهِ سَرَبُ الْقَطَا وَيَحَارُ
عَلَى سَرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ

كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَضْلًا مَجْرَدًا
تُقَلِّبُهُ لِلْعَيْنِ كَفُّ خَفِيَّةٍ
يُمَاطِلُ نَصْلِي فِي صَفَاءِ فِرْنِدِهِ
أَرَاهُ فَتُدْنِينِي إِلَيْهِ شِرَاسْتِي
وَأَهْوِي بِزُنْدِي طَامِعًا فِي التِّقَاطِهِ
تَخَبَّطْنِي مَسٌّ مِنَ الْجَنِّ أَمْ سَرَتْ
أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ
سَاقَتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي
وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ
فِيأُيِّهَا النَّضْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدُّجَى
تُرَى خَدَعْتَنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا
وَهَلْ أَنْتَ تِمْتَالُ لَكَيْدٍ نَوَيْتُهُ
فإنْ لَمْ تَكُنْ وَهَمًا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ
وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظُّلَامِ وَهَادِيًا
عَلَى الْفَتَكِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي
فإنْ يَكُ حُبُّ التَّاجِ أَعْمَى بَصِيرَتِي
أَعِزَّنِي فَوَادًا مِنْكَ يَا دَهْرُ قَاسِيَا
وَيَا جِلْمُ قَاطِعُنِي وَيَا رُشْدُ لَا تَتُبْ
وَيَا لَيْلُ أَنْزِلْنِي بِجَوْفِكَ مَنَزَلًا
وإنْ كُنْتُ لَيْلَ (الْمَانُويَّةِ) فَلْيَكُنْ

ويا قَدَمي سيري حِذارًا وخافتي
وقَفْتُ بِجَوْفِ اللَّيْلِ وَقَفَّةً ساجِرِ
إذا اشْتَمَلَ اللَّيْلُ البَهِيمُ على الوَرَى
فمالي كَأَنِّي فَاتِكُ ذُو عَشِيرَةٍ
إذا ما عوى ذِئْبُ الفِلا هَبَّ جَمْعُهُمْ
إلى الشَّرِّ واستَلَّتْ ظُبًّا وشَفارُ

(١٣) طول اللَّيْلِ

يا ساهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَبَرٍ
أَظُنُّ لَيْلَكَ مَذً طالَ المُقامُ به

وقال في هذا المعنى أيضًا:

أَقْضِيهِ في الْأَشْواقِ إِلَّا أَقْلَهُ
وليسَ اشْتِياقي عَنْ غَرامٍ بِشائِنٍ
فيا لَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعَزَّتْ نَجْوَمَهُ
ومَلَّ كِلانا مِنْ أَخِيهِ وهكذا

(١٤) الشَّعْر

ضِغْتَ بَيْنَ النُّهَى وَبَيْنَ الْخَيالِ
ضِغْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمِ هُجُودٍ
قَدْ أَذْأَلُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ
وَنَسِيبٍ وَمِدْحَةٍ وَهَجاءٍ
وَجَماسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتَ ما بَيْنَهُمْ مَذالًا مُضاعًا
حَمَلُوكَ العِناءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى)
وَبُكاءٍ على عَزِيزٍ تَوَلَّى

يا حَكِيمَ النُّفُوسِ يابْنَ المَعالي
لَمْ يُفَيِّقُوا وَأُمَّةً مَكْسالٍ
وَعَرامٍ بِظُبْيَةٍ أَوْ غَزالٍ
وَرِثاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضلالٍ
وَصِغارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اخْتِيالٍ
وكذا كُنْتَ فِي العُصُورِ الْخوالي
و(سُلَيْمى) وَوَقَفَةَ الْأَطْلالِ
وَرُسُومٍ رَاحَتْ بِهِنَّ اللَّيالي

وَإِذَا مَا سَمَوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
أَنْ يَا شِعْرُ أَنْ نَفَكَ قُيُودًا قَيَّدَتْنَا بِهَا دُعَاةَ الْمُحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكُمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

(١٥) خَزَّانُ أُسْوَانَ

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان ونقص فيه الفيضان:

أُنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَّانِ فَانْتَنَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ رَصَدًا مِنْ مَكَايِدِ الْإِنْسَانِ

(١٦) مَعُونَةُ الدَّمْعِ

يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمَعَ لَطْفًا فَمَا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْحَزِينِ
بَارِكْ لِعَبْدِكَ فِي الدُّمُوعِ عَ فَإِنَّهَا نِعَمَ الْمُعِينِ

الْخَمْرِيَّات

(نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٠٠م)

قال:

يا ساقِيَّ عليَّ بالصَّهْبَاءِ
أَوْ بِالذَّنَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي
تَحْرِيمُهَا وَالذَّنْبُ لِلْقَدَمَاءِ
نَزَلَ الْكِتَابُ بِحُكْمَةٍ وَجَلَاءِ
يَا ضَرَّةَ الْأُحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ
مَالِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ
ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهِجَةِ الظُّلُمَاءِ
وَتَدَاوَلْتُكَ أَنْامِلُ الْأَنْهَاءِ
بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ
وَلَقَدْ بُلِيْتُ مِنَ الْهُمُومِ بَدَاءِ
وَكَذَا الْبَنُونَ عَلَى هَوَى الْآبَاءِ
فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي):

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي
بِالْكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بِاثْنَيْهِمَا
مَشْمُولَةٌ لَوْلَا التُّقَى لَعَجِبْتُ مَنْ
قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا
يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمُزْنِ يَا أُخْتَ الْهَنَا
يَا طِبَّ (جَالِينُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ
عَصْرُوكَ مِنْ حَدِّي سَهِيلُ خُلْسَةٍ
فَلَبِثْتُ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حَقْبَةً
حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي
يَا صَاحِبِي كَيْفَ الزُّرُوعُ عَنِ الطَّلَا
وَاللَّيْلُ أَرْشَدَهُ أَبُوهُ لِشَقَوَتِي
أَلْفَتْ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا

(صَعِبَتْ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّئَ خُلُقِهَا فَتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ)

(١) وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف (نُشرت في سنة ١٩٠٠م)

أَوْشَكَ الدَّيْكَ أَنْ يَصِيحَ وَنَفْسِي
يا غلامُ، المُدَامُ وَالْكَاسُ، وَالطَّا
أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاهِبِ هَذَا الدِّ
وَأَذِنِ الصُّبْحُ أَنْ يَلُوحَ لِعَيْنِي
وَأَذْعُ نَدْمَانِ خَلُوتِي وَائْتِنَاسِي
وَاسْقِنَا يَا غُلامُ حَتَّى تَرَانَا
خَمْرَةً قِيلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا
مُذْ رَأَاهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا
أَعْقَبَتْهُ الْخَلَاصُ مِنْ بَعْدِ ضَيْقِ
يَا نَدِيمِي بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَاذَا
هِيَ نَفْسُ زَكِيَّةٍ وَأَبُوها
هِيَ نَفْسُ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا
خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْدِ

بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسِ
سَ، وَهَيَّئْ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسِ
نَّ وَامْلَأْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَسِي
مِنْ سَنَاها فَذَاكَ وَقْتُ التَّحْسِّي
وَتَعَجَّلْ وَاسْبِلْ سُتُورَ الدَّمَقْسِ
لَا نَطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسِ
مِنْ خُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ غَرْسِ
وَهُوَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسِ
وَحَبَّتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسِ
هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجْسِ؟
غَرْسُهُ فِي الْجِنَانِ أَكْرَمَ غَرْسِ
قِ (الْمَوْلِحِي) فِي صَفَاءِ وَأَنْسِ
بَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يُمْسِي

(٢) مجلس شراب

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا
فَهَبُوا إِلَى خَمَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا
وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمًا
فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى

جُيُوشِ الدُّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحِ
قَعِيدَةُ خَمَرٍ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
نُحَاوِلُ وَرْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
وَفِي رِدْفِهَا وَاسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْدَاحِ

وقال أيضًا:

إِصْبَاحَهَا إِذْ أَدْنَتْ بِرَوَاحٍ
فِي الشَّارِبِينَ بِوَاجِبِ الْأَقْدَاحِ
وَيَشْوِبُهَا بِأَرِيحَةِ الْفِيَّاحِ
وَأَجِيدُ مِدْحَتِهَا مَعَ الْمُدَّاحِ
فَاعْجَبْ لَنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَفْسَدْتُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ صَلَاحِي

مَرَّتْ كَعُمُرِ الْوَرْدِ بَيْنَا أَجْتَلِي
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمِ
وَالزَّهْرُ يَحْتَثُّ الْكُئُوسَ بِلَحْظِهِ
أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْبِطُ شَرْبَهَا
وَأَمِيلُ مَنْ طَرَبَ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنَّنِي

وقال:

هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودِ
وَلَدَيْهِ بَشَّرُوها بِالْخُلُودِ
وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْعُهودِ؟
مَنْ بَنَى مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودُ
مَوْلَعُ الشَّرْبِ وَالنَّاسُ هُجُودُ
وَأَبُوهُ هَمُّهُ جَمْعُ النُّقُودِ

حَمْرَةٌ فِي (بَابِل) قَدْ صُهِرَجَتْ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنْ مُظْلِمٍ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا
فَأَجَابُوهُمْ: فَتَى ذُو مِرَّةٍ
مُغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا
هَمُّهُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى

(٣) ذِكْرِي مَجْلِسِ شَرَابِ

بَعَثَ بِهَا مِنَ السُّودَانِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ بِمِصْرَ

جَدُّوهُ بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ
إِنَّنِي كُنْتُ إِمَامَ الْمُذْمِنِينَ
دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينَ
مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ
سَطَّرْتُ أَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَرِيَّاحِينَ وَوُلْدَانِ وَعَيْنِ
بَعْضُهَا الْبُلُورُ وَالْبَعْضُ لُجَيْنُ
صَادَقْتُ وَرَدًّا بِهِ مَاءٌ مَعِينُ
مَشِيَّةُ الْأَفْرَاحِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ

فَتَيَّةُ الصَّهْبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ
وَإِذْ كُنْتُ عِنْدَ كَاسَاتِ الطَّلَا
وَإِذَا مَا اسْتَنْهَضْتُكُمْ لَيْلَةً
رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى
فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَحْفَلْ بِمَا
بَيْنَ أَقْدَاحِ وَرَاحِ عُنْتُقَتْ
وَسُقَاةٌ صَفَّقَتْ أَكْوَابَهَا
آنَسْتُ مِنَّا عِطَاشًا كَالْقَطَا
فَمَشَتْ بِالْكَاسِ وَالطَّاسِ لَنَا

وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ	ذَاتِ أُلْوَانٍ تَسْرُّ النَّاضِرِينَ
عَمَدِ السَّاقِي لِأَنْ يَقْتُلَهَا	وَهِيَ بِكُرٍّ أَحْصَنْتَ مِنْذُ سِنِينَ
ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عَفَّتَهَا	خَافَ فِيهَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا	وَعَلَى الصُّهْبَاءِ بَيْنَنَا عَاكِفِينَ
وَشَفَيْنَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا	نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسَّحْرِ الْمُبِينِ
وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْهَنَا	وَانْشَرَّاحِ الصَّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينَ
هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصِّفَا	نَنْهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى	مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَا أَمْ لَا تَ حِينَ

الغزل

(نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

قال ترجمة عن جان جاك روسو:

يَأْيُهَا الْحُبُّ امْتَزَجَ بِالْحَشَى
وَأَسْلُلُ حَيَاةً مِنْ يَمِينِ الرَّدَى
فَإِنَّ فِي الْحُبِّ حَيَاةَ النُّفُوسِ
أَوْشَكَ يَدْعُوهَا ظِلَامُ الرُّمُوسِ

وقال ترجمة عنه أيضاً

تَمَثَّلِي إِنْ شِئْتِ فِي مَنْظَرٍ
أَوْ فَابَعَثِي قَلْبًا إِلَى أَضْلَعِ
(يَا جُولِيَا) أَنْكَرُ فِيهِ الْغَرَامُ
رَاحَ بِهِ الْوَجْدُ وَأَوْدَى السَّقَامُ

وقال ترجمة عنه أيضاً:

غُضِّي جُفُونَ السَّحَرِ أَوْ فَارْحَمِي
وَلَا تَصُولِي بِالْقَوَامِ الَّذِي
مُتَيَّمًا يَخْشَى نِزَالَ الْجُفُونِ
إِنِّي لِأَذْري مِنْكَ مَعْنَى الْهَوَى
تَمِيسُ فِيهِ يَا مُنَايَ الْمَنُونُ
(يَا جُولِيَا) وَالنَّاسُ لَا يَعْرِفُونُ

(١) في جُنْدِيٍّ مليح (نشرت في سنة ١٩٠٦م)

وَمِنْ عَجَبٍ قَدْ قَلْدُوكَ مُهَنْدًا وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ
إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَّدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ

وقال:

أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي أَعِيذُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلَغَلَ فِي صَدْرِي
خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيَّهِ أَتَى فَقُمْ نَلْتَمِسْ لِلْسُّهْدِ دِرْعًا مِنَ الصَّبْرِ
وهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْجَمَى يَسْتَفْزِنَا فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرْكَبٍ وَعَرِ
خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذُّكْرِ
فَهَاتِ لَنَا أَدْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتُهُ أَلَدُّ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالْخَمْرِ

وقال:

قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهَرِ
مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلِهِ أَتَرَاهُ يَعْشَقُ الْقَمَرَا

وقال يتغزل في مليح ويعرض باحتلال الإنجليز:

ظَنِّيَ الْجِمَى بِاللَّهِ مَا ضَرَّكَ إِذَا رَأَيْنَا فِي الْكَرَى طَيْفَكَ
وَمَا الَّذِي تَخْشَاهُ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا فَلَانٌ قَدْ غَدَا عَبْدُكَ؟
قَدْ حَرَّمُوا الرِّقَّ وَلَكِنَّهُمْ مَا حَرَّمُوا رِقَّ الْهَوَى عِنْدَكَ
وَأُصْبَحْتَ مِصْرُ مَرَاحًا لَهُمْ وَأَنْتَ فِي الْأَحْشَاءِ مَرَاخٌ لَكَ
مَا كَانَ سَهْلًا أَنْ يَرَوْا نِيلَهَا لَوْ أَنَّ فِي أَسْيَافِنَا لَحْظَكَ

(٢) يقين الحب

أَذْنُكَ تَرْتَابِينَ فِي الشَّمْسِ وَالضُّحَى وَفِي النُّورِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

ولا تَسْمَحِي لِلشَّكِّ يَخْطِرُ خَطَرَهُ بِنَفْسِكَ يَوْمًا أَنَّنِي لَسْتُ مُغْرَمًا

(٣) الخال

قالهما في مليح رأى خالاً على غُرَّتِه

سأَلْتُهُ ما لهذا الخالِ مُنْفَرِداً واختارَ غُرَّتَكَ الغرّاً له سَكَنًا
أجابني: خافَ مَنْ سَهُمِ الجُفُونِ وَمَنْ نارِ الخُدودِ، لهذا هاجَرَ الوَطَنَا

(٤) رسائل الشوق

سُورٌ عِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ وَدَّ لو يَسْرِي بها الرُّوحُ الأَمِينُ
إِنَّنِي لا أَمَنُ الرُّسُلَ ولا أَمَّنُ الكُتُبَ على ما تَحْتَوِينُ
مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ وَهُوَ لا يَدْرِي بماذا يَسْتَهِينُ
أنا في هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى حاضِرُ اللُّوْعَةِ مَوْصُولُ الأَنِينِ

الاجتماعيات

(١) حريق ميت غمر (نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢م)

كيف باتت نساؤُهُم والعذارى
مَ وكيف اصطلى مع القوم نارا
يتداعى وأسقف تتجارى
فاكشف الكرب واحجب الأقدارا
ومر الغيث أن يسيل أنهما
هذه النار؟ فهي تشكو الأورا
تملا الأرض والسما شارا
ورمتهم والبؤس يجري يسارا
ثم غارت وقد كستهن قارا
لم تغادر صغارهم والكبارا
حذر الموت يطلبون الفارا
أقبل الصبح يلبسون النهارا
ولا عنهم ترد الغبارا
سي يجرون للذيول افتخارا
يتوارون ذلة وانكسارا
ن كريما من أن يقيلا العثارا
وأجزهم كما أجزت النصارى

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف أمسى رضيهم فقد الأم
كيف طاح العجوز تحت جدار
رب إن القضاء أنحي عليهم
ومر النار أن تكف أذاها
أين طوفان صاحب الفلك يزوي
أشعلت فحمة الدياجي فباتت
غشيتهم والنحس يجري يمينا
فأغارت وأوجه القوم بيض
أكلت دورهم فلما استقللت
أخرجتهم من الديار عراة
يلبسون الظلام حتى إذا ما
حلة لا تقيهم البرد والحر
أيها الرافلون في حلل الوش
إن فوق العراء قوما جياعا
أيهذا السجين لا يمنع السج
مر بألف لهم وإن شئت زدها

قد شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا
سَالَ فِيهِ النُّضَارُ حَتَّى حَسَبْنَا
بَاتَ فِيهِ الْمَنَعْمُونَ بَلِيلٍ
يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا
وَسَمِعْنَا فِي (مِيتَ غَمْرٍ) صِيَاحًا
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَهَذَا
رَبُّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا
مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارًا
أَنَّ ذَاكَ الْفِنَاءَ يَجْرِي نُضَارًا
أَخْجَلَ الصُّبْحَ حُسْنُهُ فَتَوَارَى
فِي يَدِ الْكَأَسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
مَلَأَ الْبَرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا
يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
وَسُعُودًا وَغُسْرَةً وَيَسَارَا

(٢) إِلَى الْأَرْضِ (بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢م)

أَلْبَسوكِ الدِّمَاءَ فَوْقَ الدِّمَاءِ
فَلَبِستِ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدِ قَابِيبِ
فَلَكَ الْعُذْرُ إِنْ قَسَوْتَ وَإِنْ خُنْتُ
غَلِطَ النَّاسُ، مَا طَغَى جَبَلُ النَّأِ
أُحْرَجُوا صَدَرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ
أَسْخَطُوهَا فَصَابَرْتَهُمْ زَمَانًا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سَخَطُ الْـ
إِنْ فِي عُلُوِّ مَسْرَحًا لِلْمَقَادِيبِ
فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً
وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
لَ وَشَاهَدْتَ مَصْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ
تِ وَإِنْ كُنْتَ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
رِ بِإِزْسَالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ
بَعْضُ مَا أَضْمَرْتَ مِنَ الْبُرْحَاءِ
ثُمَّ أَنْحَتَ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ
أَرْضُ، مَاذَا يَكُونُ سَخَطُ السَّمَاءِ؟
رِ وَفِي الْأَرْضِ مَكْمَنًا لِلْقَضَاءِ
وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْفَضَاءِ

(٣) اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَنْعِي حَظُّهَا بَيْنَ أَهْلِهَا (نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٠٣م)

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلِيَنُنِي
وَلَكْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي
وَسَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَمَا ضُفِّتُ عَنْ آيِ بِهِ وَعِظَاتِ
وَتَنَسَّقِ أَسْمَاءَ لِمُخْتَرَعَاتِ

فهل سألوا الغَوَاصَ عن صَدَفَاتِي
ومنكم وإن عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي
أخافُ عليكم أنْ تَحِينْ وَفَاتِي
وكم عَزَّ أَقْوَامُ بَعِزُّ لُغَاتِي
فيا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بَوَادِي فِي ربيعِ حَيَاتِي
بما تَحْتَهُ من عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
بما تَحْتَهُ من عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أنْ تَلِينْ قَنَاتِي
لَهَنَ بِقَلْبٍ دَائِمِ الحَسَرَاتِ
حَيَاءً بِتِلْكَ الأَعْظَمِ النِّخْرَاتِ
مِنَ القَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةٍ
فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ
لُعَابُ الأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ
مُشْكَلَةُ الأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

أَنَا البَحْرُ فِي أَحْشَاءِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي
فلا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي
أرى لِرَجَالِ الغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
أَتُوا أَهْلَهُمُ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا
أَيُطَرِّبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ نَاعِبٌ
ولو تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عِلْمُكُمْ
سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي البَلَى وَحَفِظْتُهُ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقُ
أرى كُلَّ يَوْمٍ بِالجَرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً
أَيُهْجِرُنِي قَوْمِي — عفا الله عَنْهُمْ —
سَرَتْ لَوْثَةُ الإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
إِلَى مَعْشَرِ الكُتَابِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ
فِيمَا حَيَاةٌ تَبْعَثُ المَيِّتَ فِي البَلَى
وَأَمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

(٤) زواج الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد) نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤م

قالها ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

وعَفْتُ البَيَانَ فلا تَعْتَبِي
ولا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

حَطَمْتُ الْيَرَاعَ فلا تَعْجَبِي
فما أَنْتِ يا مِصْرُ دَارَ الأَدِيبِ

أَقَالَ الْيَرَاعَ وَلَمْ يَكْتَبِ
فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْكَ مَا ضَاقَ بِي
سُكُوتُ الْجَمَادِ وَلَعْبُ الصَّبِيِّ؟
لَسَلَبِ الْحَقِيقِ وَلَمْ نَغْضَبِ
مُجِدُّ بِمَضْرٍ فَلَا تَلْعَبِي
وَلَلنَّشْءُ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْأَبِ؟
كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)
وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِوِ فِي مَلْعَبِ
فِرَارِ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
وَأُخْرَى تَشُنُّ عَلَى الْأَقْرَبِ
وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْبِ
عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَارِبِ
وَنِعْمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي
فَشَمَّرَ لِلسَّعْيِ وَالْمَكْسَبِ
وَنَحْنُ عَلَى الْعَيْشِ لَمْ نَذَابِ
أَلْفَنَا الْخُمُولَ وَلَمْ نَكْذِبِ
رَمَاهُ بِهَا الطَّمَعُ الْأَشْعَبِي
فَجُنَّ جُنُونًا بَبْنَتِ النَّبِيِّ
وَضَجَّ لَهَا الْقَبْرُ فِي يَثْرِبِ
وَقَالُوا: تَلَوَّنَ فِي الْمَشْرِبِ
أَلَوْفًا تَدُورُ مَعَ الْأَحْقَبِ
أَغَارَ عَلَى النَّسَبِ الْأَنْجَبِ
بِحُكْمِ أَحَدٍ مِنَ الْمَضْرِبِ
تَسَاقَطُ كَالْمَطَرِ الصَّبِيِّ؟
تَزُفُّ الْبِشَائِرَ فِي مَوْكِبِ؟

وَكَمْ فِيكَ يَا مِصْرُ مِنْ كَاتِبِ
فَلَا تَعْذُلِينِي لِهَذَا السُّكُوتِ
أَيُعْجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوَفَاقِ
وَكَمْ غَضِبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِنَا
أَنَابَتَةَ الْعَصْرِ إِنَّ الْغَرِيبِ
يَقُولُونَ: فِي النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا
أَفِي (الْأَزْبَكِيَّةِ) مَثْوَى الْبَنِينِ
(وَكَمْ ذَا بِمَضْرٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ)
أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يُمَرُّ
وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَصُحْفٌ تَطُنُّ طَنِينَ الدُّبَابِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ
وَهَذَا يَصِيحُ مَعَ الصَّائِحِينَ
وَقَالُوا: دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ
رَأْنَا نِيَامًا وَلَمَّا نَفِقُ
وَمَاذَا عَلَيْهِ إِذَا فَاتَنَا
أَلْفَنَا الْخُمُولَ وَيَا لَيْتَنَا
وَقَالُوا: (الْمُؤَيَّدُ) فِي غَمْرَةِ
دَعَاهُ الْغَرَامُ بِسِنَّ الْكُھُولِ
فَضَجَّ لَهَا الْعَرْشُ وَالْحَامِلُوهُ
وَنَادَى رَجَالٌ بِإِسْقَاطِهِ
وَعَدُّوا عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ
وَقَالُوا لَصِيقُ بَبْنَتِ الرَّسُولِ
وَزَكَّى (أَبُو خَطْوَةَ) قَوْلُهُمْ
فَمَا لِلتَّهَانِي عَلَى دَارِهِ
وَمَا لِلْوَفُودِ عَلَى بَابِهِ

وما للخليفة أسمى إليه
فيا أمة ضاق عن وصفها
تضيق الحقيقة ما بيننا
ويهضم فينا الإمام الحكيم
على الشرق مني سلام الودود
لقد كان خصباً بجذب الزمان
وساماً يليق بصدر الأبى؟
جنان المفوه والأخطب
ويصلى البريء مع المذنب
ويكرم فينا الجهول الغبي
وإن طأطأ الشرق للمغرب
فأجذب في الزمن المخصب

(٥) إلى رجال الدنيا الجديدة (في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦م)

أنشدها في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا
وأفيضوا عليهم من أيادي
كل يوم لكم روائع آثا
كم خلبتكم عقولنا بعجيب
وبذرتكم في أرضنا وزرعتم
ولمحننا من نوركم في نواصي
وشهدنا من فضلكم أثرا في
ليتنا نقتدي بكم أو نجاري
إن فينا - لولا التخاضل - أبطا
وعقولا لولا الخمول تولا
ودعاة للخير لو أنصفوهم
كاشف الكهرباء ليتك تغنى
آلة تسحق التواكل في الشر
قد مللنا وقوفنا فيه نبكي
وسمنا مقالهم: كان زيد
ليت شعري متى تنازع مصر

لرجال الدنيا القديمة باعا
كم علوماً وحكمة واخترعا
ر توالون بينهن تباعا
وأمرتم زمانكم فاطاعا
فرائنا ما يعجب الزراعا
حفلة اليوم لمعة وشعاعا
ها يروق العيون والأسماعا
كم عسى نسترد ما كان ضاعا
لا إذا ما هم استقلوا اليراعا
ها لفاضت غرابة وابتدعا
ملئوا الشرق عزة وامتناعا
باختراع يروض منا الطباعا
ق وتلقي عن الرياء القناعا
حسبا زائلا ومجدا مضاعا
عبقريا وكان عمرو شجاعا
غيرها المجد في الحياة نزاعا

ونراها تُفاجِرُ الناسَ بالأخـ
(أرض كُولُمْب) أَي نَبَتِكَ أَغلى
أرجالَ بهم مَلَكَتِ المَعالي
لا عداكَ السَّماءُ والخِصْبُ والأَمـ
طالعي الكَوْنُ وانظري ما دَهاهُ

يأ فخرًا في الخافِقينِ مُذاعا
قيمةً في المَلأ وأبقى مَتاعا
أَمْ نُضارُ بِهِ مَلَكَتِ البِقاعا
نُ ولا زِلْتُ للسَّلامِ رِباعا
إِنَّ رُكْنَ السَّلامِ فيه تَداعى

(٦) مدرسة مصطفى كامل

أنشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين من تلاميذها
في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦م

سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدَى
فأَضْحَى لآمالِنَا مُنْعِشًا
فَدَيْنَاكَ يَا شَرْقُ لا تَجَزَعَنَّ
فكَمْ مَحَنَةً أَعْقَبَتْ مِحْنَةً
فلا يُيَسِّسَنَّ قِيلُ العُدَّةِ
أَتودَعُ فيكَ كُنُوزَ العُلُومِ
وتُبْعَثُ في أرضِكَ الأنبياءِ
وتَقْضِي عَلَيْكَ قُضَاةَ الضَّلَالِ
أَتَشْفَى بَعْهَدِ سَمَا بالعلومِ
إذا شاءَ بَرَّ السُّها سِرَّهُ
وإن شاءَ أَدْنَى إليه النُّجومِ
وإن شاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الجِبالِ
وإن شاءَ شَاهَدَ في ذَرَّةٍ
زَمانٌ تُسَخَّرُ فيه الرِّياحِ
وتَعْنُو الطَّبِيعَةُ للعارفينِ
إذا ما أَهَابُوا أَجابَ الحديدِ
وطارتْ إليهم مِّنَ الكَهْرَبِ

فَجَدَّدَ في النَّفْسِ ما جَدَّدَا
وأَمْسَى لآمالِنَا مُرْقِدَا
إذا اليَوْمُ وَلَّى فراقِبْ غَدَا
وولَّتْ سِراعًا كَرَجْعِ الصِّدى؟!
وإن كانَ قِيلًا كَحَزِّ المَدَى
وَيَمْشِي لَكَ الغَرْبُ مُسْتَرْفِدَا؟
ويأتي لَكَ الغَرْبُ مُسْتَرْشِدَا؟
طِوالَ اللَّيالي بَأَنَّ تَرْقُدَا؟
فأَضْحَى الضَّعِيفُ بها أَيِّدا؟
وأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ المَقْصِدَا
فناجَى المَجَرَّةَ والْفَرْقِدَا
فَخَرَّتْ لأقدامِهِ سَجْدَا
عوالمَ لَمْ تَحْيَ فيها سُدَى
ويَغْدُو الجَمادُ بِهِ مُنْشِدَا
بِمَعْنَى الوُجُودِ وَسِرِّ الهُدَى
وقامَ البُخارُ لَهُ مُسْعِدَا
بُرُوقٌ على السَّلكِ تَطْوي المَدَى

أَجْمَلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ
وَهَا أُمَّهُ (الصُّفْرُ) قَدْ مَهَّدَتْ
فِيأَيُّهَا النَّاشِئُونَ اْعْمَلُوا
سَتُظْهِرُ فَيْكُمْ ذَوَاتُ الْغُيُوبِ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ مِنْكُمْ
لَكَ اللَّهُ يَا (مُصْطَفَى) مِنْ فَتَى
إِذَا مَا حِمْدُكَ بَيْنَ الرَّجَالِ
سَيُخْصِي عَلَيْكَ سِجْلُ الزَّمَانِ
وَيَهْتِفُ بِاسْمِكَ أَبْنَاؤُنَا
بَأَنْ نَسْتَكِينَ وَأَنْ نَجْمِدَا
لَنَا النَّهْجَ فَاسْتَبَقُوا الْمَوْرِدَا
عَلَى خَيْرِ مَصْرٍ وَكُونُوا يَدَا
رِجَالَا تَكُونُ لِمَصْرَ الْفِدَا
إِذَا هِيَ نَادَتْ يُلَبِّي النَّدَا
كَثِيرَ الْأَيْدِي، كَثِيرَ الْعِدَا
فَأَنْتَ الْخَلِيقُ بِأَنْ تُحْمَدَا
ثَنَاءً يُخْلَدُ مَا خُلِدَا
إِذَا أَنْ لِلزَّرْعِ أَنْ يُحْصَدَا

(٧) إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا (نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦م)

مَالِي أَرَى بَحَرَ السَّيَا
وَأَرَى الصَّحَائِفَ أَيْبَسَتْ
هَذَا يَرَى رَأْيَ الْعَمِي
وَأَرَى الْوَزَارَةَ تَجَبَّنِي
نَامَتْ بِمَصْرَ وَأَيَّقَظَتْ
فَطَرَحَتْهَا وَسَأَلْتُ عَنْ
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا)
يَا (سَعْدُ) إِنَّ (بِمَصْرَ) أَيْدٍ
قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيَدٍ
مَا زِلْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَا
حَتَّى غَدَوْتُ أَبَا لَهُ
فَارِدُ لَنَا عَهْدَ (الإِمَا
أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا
فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبْدُ
هِيَ سُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي

سَةِ لَا يَنِي جَزْرًا وَمَدًّا
مَا بَيْنَنَا أَخْذَا وَرَدًّا
وَذَا يَعُدُّ عَلَيْهِ عَدًّا
مَنْ مَرَّ هَذَا الْعَيْشِ شُهَدَا
لِحَوَاثِثِ الْأَيَّامِ (سَعْدَا)
هُ فَقِيلَ لِي: لَمْ يَأَلْ جُهِدَا
فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
حَتَامًا تُؤَمِّلُ فَيْكَ سَعْدَا
نَ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدًّا
كَ أَبَا وَأَنْ أَلْقَاكَ جَدًّا
أَضَحَتْ عِيَالُ الْقُطْرِ وُلْدَا
(م) وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُقَدَّى
رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى
دَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِدَّا
كُلُّ الْعُصُورِ وَمَا تَعَدَّى

(٨) الحث على تعضيد مشروع الجامعة (نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧م)

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي، وخصص إيرادها لمشروع الجامعة المصريّة

فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَذْلِ عَنْ رَعْبِ
ذَرِّ الرَّمَادِ بَعَيْنِ الْحَاذِقِ الْأَرَبِ
أَنَّ الْمَصَابِيحَ لَا تُغْنِي عَنْ الشُّهُبِ
حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ
مَنْ الْمُدَافِعُ عَنْ عَرَضٍ وَعَنْ نَشَبِ
وَأَنْذَرْتُ مِصْرَ بِالْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبِ
بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كُتُبِ
سَرَائِرِ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْحُجُبِ
فِيهَا الطَّبِيعَةُ مِنْ بَذْعٍ وَمِنْ عَجَبِ
ضُنْتُ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحَقَبِ
مَعَالِمُ الْقَصْدِ بَيْنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
إِلَّا بِجَامِعَةٍ مَوْصُولَةِ السَّبَبِ
إِلَى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُحْجَمْ وَلَمْ يَهَبِ
فِيهِ الْفَخَارُ وَمَا تَرْجُونَ مِنْ أَرَبِ
إِذَا طَلَبْتُمْ بَلَّغْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ
وَتَّابَةٌ لَا تُبَالِي هِمَّةَ النُّوَبِ
فِي النَّفْسِ يُرْخِي عِنَانَ السَّعْيِ وَالذَّأَبِ
لَا تَصْحَبُوا فَهْلَاكَ الشَّعْبِ فِي الصَّحْبِ
قَالَ: اسْتَكَينُوا وَخَلُّوا سَوْرَةَ الْغَضَبِ
إِلَّا هَبَطْنَا إِلَى غَوْرٍ مِنَ الْعَطَبِ
يَجْرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبِ
كَأَنَّنَا فِيكَ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَغِبِ

إِنْ كُنْتُمْ تَبْذُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهَبِ
ذَرِ الْكَتَاتِيبِ مُنْشِيهَا بِلَا عَدِ
فَأَنْشَتُوا أَلْفَ كُتَابٍ وَقَدْ عَلِمُوا
هَبُّوا الْأَجِيرَ أَوْ الْحَرَاثَ قَدْ بَلَّغَا
مَنْ الْمُدَاوِي إِذَا مَا عَلَّةٌ عَرَضَتْ
وَمَنْ يَرَوْضُ مِیَاةَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ
وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطَاسِ بَيْنَكُمْ
وَمَنْ يُطِلُّ عَلَى الْأَفْلَاكِ يَرُصُّهَا
يَبِيتُ يُنْبِئُنَا عَمَّا تَنِمُ بِهِ
وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَزَتْ
يَظَلُّ يَنْشُدُ مَنْ ذَرَاتِهَا نَبَأً
وَمَنْ يُمِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ
فَمَا لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةٌ
قَدْ قَامَ (سَعْدٌ) بِهَا حِينًا وَأَسْلَمَهَا
فَعَاوَنُوهُ يُعَاوَنُكُمْ عَلَى عَمَلِ
وَبَيَّنُوا لِرِجَالِ الْغَرْبِ أَنَّكُمْ
لَا تَلْجَأُوا فِي الْعُلَا إِلَّا إِلَى هِمَمِ
فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهَنْ
إِنْ قَامَ مِنَّا مُنَادٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
أَوْ نَابِنَا حَادِثٌ نَرْجُو إِزَالَتَهُ
فَمَا سَمَوْنَا إِلَى نَجْدٍ نَحَاوُلُهُ
يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَأْسِ مُتَّسِعُ
لَا نَحْنُ مَوْتَى وَلَا الْأَحْيَاءُ تُشْبِهُنَا

نَبْكِ عَلَى بَلَدٍ سَالَ النُّضَارُ بِهِ لِّلْوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَغَبٍ
مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ خَزَائِنُهُ كَنْزًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَنْزًا مِنَ الذَّهَبِ
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَاكْتَتَبُوا بِالْمَالِ إِنَّا اكْتَتَبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ

(٩) سورية ومصر (نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨م)

أنشدتها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا
خِدرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْتَكْ سُتُورُهُمَا
أَمْ اللُّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا
أَيَّرَغَبَانِ عَنِ الْحُسْنَى وَبَيْنَهُمَا
وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَبَيْنَهُمَا
إِذَا أَلَمَّتْ بَوَادِي النِّيلِ نَارِلَةٌ
وَأِنْ دَعَا فِي ثَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأَزْدُنُ وَدُهُمَا
بِالْوَادِيَيْنِ تَمْشَى الْفَخْرُ مَشِيَّتَهُ
فَسَالَ هَذَا سَخَاءٌ دُونَهُ دِيَمٌ
نَسِيمَ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعِرَةٌ
لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا
كَمْ غَاةٌ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيةٌ
يَمْضِي وَلَا حِيَلُهُ إِلَّا عَزِيمَتُهُ
يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُنْقَلِبًا
بَارِضٍ (كَوْلُمَبٍ) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ
لَمْ يَحْمِهِمْ عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَدٌ
أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلٌ

هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ
فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ
تِلْكَ الْقِرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ؟
بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأُمُوهُ وَالْعُشْبُ
يَحْفُ نَاحِيَتَيْهِ الْجُودُ وَالْأَدَبُ
وَسَالَ هَذَا مَضَاءٌ دُونَهُ الْقَضْبُ
مِنَ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ
تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُ بِهَا لَهَبُ
مِنَ طِيبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ
عَلَى أَلْفِ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ!
وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
وَعَزْمُهُ لَيْسَ يَذْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ
أَسْدُ جِيَاعٍ إِذَا مَا وُثِبُوا وَثَبُوا
سَوَى مَضَاءٍ تَحَامَى وَرَدَهُ النُّوبُ
وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُغْتَرِبُ

لَهُمْ بِكُلِّ خِصَمٍّ مَسْرُبٌ نَهَجٌ
 لَمْ تَبْدُ بَارِقَةً فِي أَفَقٍ مُنْتَجِعٍ
 مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نُنْزِلُوا
 وَلَمْ يَضُرَّهُمْ سُرَاءٌ فِي مَنَاكِبِهَا
 رَادُّوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا
 أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلرَّاجِينَ مُنْتَجِعٌ
 سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا فَتِنَتْ
 فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا
 هَذَا يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ
 فَمَا الْكِنَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلَى
 لَوْلَا رِجَالُ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ
 إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ
 وَفِي ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبٌ
 إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مُرْتَقِبٌ
 فَالشُّهُبُ مَنُورَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهُبِ
 فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكُونِ مُضْطَرَبٌ
 إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
 مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَانْتَدَبُوا
 أُمُّ اللُّغَاتِ بِذَاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
 عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ
 فَصَافِحُهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
 رُبُوعَهَا مِنْ بَنِيهَا سَادَةٌ نُجَبُ
 مَنَا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
 فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

(١٠) فِي الْحَثِّ عَلَى تَعْزِيدِ مَشْرُوعِ الْجَامِعَةِ

أَنشَدَهَا فِي الْحَفْلِ الَّذِي أَقِيمَ فِي «تِيَاترُو بَرْنَتَانِيَا» فِي ٨ مَآيُو سَنَةِ ١٩٠٨ م

حَيَّاكُمْ اللَّهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا
 إِنْ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا
 وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعَةٍ
 تَكُونُ أَمَّا لَطُلَابِ الْعُلَا وَأَبَا
 تَبْنِي الرِّجَالَ وَتَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ
 مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلْبَا
 ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ
 ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أُصْغِرُ الذَّهْبَا
 وَابْنُوا بِأَكْبَادِكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا
 قِيلَ الْعَدُوُّ؛ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا
 لَا تَقْنَطُوا إِنْ قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ
 ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَزْمِيكُمْ بِهِ غَضَبَا

وراقبوا يومَ لا تُغني حَصائِدُهُ
فكلُّ حَيٍّ سيجزى بالذي اكتسبها
بنى على الإفك أبراجاً مُشَيَّدةً
فابنوا على الحقِّ بُرجاً ينطحُ الشُّهُبا
وجاوبوه بفِعْلٍ لا يُقوِّضُه
قولُ المُفَنِّدِ أنى قال أو خطبا
لا تهجّعوا إنهم لن يهجعوا أبداً
وطالبوهم ولكن أجمِلوا الطَّلَبا
هل جاءكم نبأ القومِ الألى دَرَجوا
وخلَّفوا للورى من ذِكْرِهم عَجبا
عزت (بقرطاجة) الأُمَراسُ فارتِهنتُ
فيها السَّفينُ وأمسى حَبْلُها اضطرَّبا
والحَرْبُ في لَهَبٍ والقَوْمُ في حَرْبٍ
قد مَدَّ نَقْعُ المَنايا فوقَهُم طُنْبا
ودُّوا بها وجوارِيهِم مُعَطَّلَةٌ
لو أَنَّ أَهدابَهُم كانت لها سَبَبا
هُنالِكَ الغِيدُ جادتْ بالَّذي بَخِلَتْ
به دَلالاً فقامتْ بالَّذي وَجَبَا
جَزَتْ غَدائِرَ شَعْرِ سَرَّحتْ سُفُنًا
واستَنقَذَتْ وَطَنًا واستَرَجَعَتْ نَشَبا
رأت حُلَها على الأوطانِ فابتَهَجَتْ
ولم تَحَسَّرْ على الحَلِيِّ الَّذي ذَهبَا
وزادها ذاكَ حُسْنًا وهي عاطِلَةٌ
تُرْهِى على مَنْ مَشى للحَرْبِ أو رَكِبا
و(برثران) الَّذي حاكَ الإِباءَ له
تَوَبَّا من الفَخْرِ أبلَى الدَّهْرَ والحِقْبا

أقام في الأسر حيناً ثم قيل له:
 أَلَمْ يَنْ أَنْ تُفَدِّيَ الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
 قُلْ وَاحْتَكِمِ أَنْتَ مُحْتَارٌ، فقال لهم:
 إِنَّا رَجَالٌ نُهِنُ الْمَالَ وَالنَّسَبَا
 خُذُوا الْقَنَاظِيرَ مِنْ تَبْرِ مُقَنْطَرَةً
 يَخُورُ خَازِنُكُمْ فِي عَدِّهَا تَعْبَا
 قالوا: حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ
 حَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعِبَا
 فقال: وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَازِلَةٌ
 مِنَ الْحِسَانِ تَرَى فِي فِدَيْتِي نَصَبَا
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مَغْرَلِهَا
 لَأَثَرْتَنِي وَصَحَّتْ قُوَّتُهَا رَغَبَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقِفُوا
 عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ
 فَيْكُمْ وَفِي مِصْرَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبَا
 سَمِعْتُ أَنَّ امْرَأًا قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُ
 كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَاصْطَحَبَا
 فَمَرَّ يَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ
 نَهَبًا فَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الْجِلْدَ وَالْعَصَبَا
 فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ
 يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضِي نَحْبَهُ سَغَبَا
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يُمْنَاهُ أَرْغَفَةٌ
 لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرَسَخٍ وَثَبَا
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَقُّوا لَذِي أَلَمٍ
 يَبْكِي، وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقْبِلُ الْعَطْبَا
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ: الْجُوعُ يَخْطِفُهُ
 مِنِّي وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُغْتَصِبَا

قالوا وقد أبصروا الرُّغفانَ زَاهِيَةً:
 هذا الدَّواءُ فهل عالجته فأبى؟
 أجابَهُم ودواعي الشُّحِّ قد ضَرَبَتْ
 بين الصَّدِيقَيْنِ من فَرَطِ القَلَى حُجْبًا
 لذلك الحَدِّ لم تَبْلُغْ مَوَدَّتُنَا
 أما كَفَى أن يراني اليومَ مُنْتَحِبًا
 هذي دُموعي على الخَدَّيْنِ جَارِيَةً
 حُزْنًا وهذا فؤادي يَزْتَعِي لَهَبًا
 أَقْسَمْتُ باللهِ إنْ كانت مَوَدَّتُنَا
 كصاحبِ الكَلْبِ ساءَ الأمرُ مُنْقَلَبًا
 أعيدُكُمْ أن تكونوا مِثْلَه فَنَرَى
 منكم بُكَاءٌ ولا نُلْفِي لكم دَابًّا
 إن تُقْرِضُوا اللهَ في أوطانِكُمْ فَلَكُمْ
 أَجْرُ المُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي اكْتَتَبَا

(١١) رعاية الأطفال

أنشدتها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في ٨ أبريل سنة ١٩١٠م

شَبَحًا أرى أم ذاك طَيْفُ خَيَالٍ
 أُمِسْتُ بِمَدْرَجَةِ الخُطوبِ فما لها
 حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلِهَا
 ما خَطْبُهَا، عَجَبًا، وما خَطْبِي بها؟
 دَانِيَتْهَا وَلِصَوْتِهَا فِي مَسْمَعِي
 وَسَأَلْتُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ وهي كأنَّها
 فَتَمَلَّمَتْ جَزَعًا وَقَالَتْ: حَامِلٌ
 قد مات والدُّها، وماتت أمُّها
 وإلى هنا حَبَسَ الحياءُ لسانَهَا
 لا، بل فتاةٌ بالعِراءِ حِيَالِي
 راعُ هُناك وما لها مِنْ والي
 نَارًا بَأْنَاتٍ ذَكِيْنٌ طِوَالِ
 مالي أَشَاطِرُهَا الوجيعةُ مالي؟
 وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثَرِ نِبَالِ
 رَسْمٌ على طَلَلٍ من الأطلالِ
 لم تَدْرِ طَعَمَ الغَمِّ مُنْذُ لَيَالِي
 ومضى الجِمامُ بِعَمِّهَا والخالِ
 وَجَرَى البُكَاءُ بِدَمْعِهَا الهَطَّالِ

يَحْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي
 فِي هَيْكَلٍ يَزْنُو إِلَى تِمْتَالِ
 بَزْوَالِهنَّ فَوَادِحُ الْأَثْقَالِ
 هَيْفَاءَ رَوَّعَهَا الْأَسَى بِهِزَالِ
 شَمْسِ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْأَلِ
 مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَنْ بَالِي
 حُمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ
 بِاللَّيْلِ (دَارَ رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
 بَابُ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنُ بَزْوَالِ
 لَهُمَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ
 أَحَدًا وَلَا مُتَرْقِبًا لِسُؤَالِ
 أَوْ طَرَقَ رَبُّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
 نَقَاتُ مَرْضَى مُدْلَجِينَ عِجَالِ
 صُنْعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
 بَعْضًا لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِلْمَالِ
 كَلَامٌ تَكَلَّأَ طِفْلَهَا وَتَوَالِي
 فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
 بِسَرِيرٍ ضَيَّفَتْهُمْ كِبَعُضِ الْآلِ
 وَيَرُودُ مَكَمَّنَ دَائِهَا الْقَتَالِ
 نَقَاتِ قَلْبِ أُمِّ دَبِيبِ نِمَالِ
 وَخَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِيَّ الْبَالِ
 لِلْبَاقِيَّاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي
 تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
 مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَاكَ خَيْرُ نَوَالِ
 — وَهُوَ الْجَوَادُ — يُعَدُّ فِي الْبُخَالِ
 جَمُّ الْوَجِيعَةِ سَيِّئِ الْأَحْوَالِ

فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا
 وَوَقَفْتُ أَنْظَرُهَا كَأَنِّي عَابِدُ
 وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ
 لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي النُّفُوسِ كَقَامَةِ
 أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ
 قَلْتُ: انْهَضِي، قَالَتْ: أَيْنَهُضُ مَيِّتُ
 فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِهَا وَكَأَنِّي
 وَطَفِقْتُ أَنْتَهَبُ الْخُطَا مُتَيَمِّمًا
 أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِإِسْيَنْ: فَطَارِقُ
 أَبْكِيهِمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثُ
 وَطَرَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَهَيِّبًا
 طَرَقَ الْمُسَافِرِ أَبَ مِنْ أَسْفَارِهِ
 وَإِذَا بِأَصَوَاتٍ تَصِيحُ: أَلَا افْتَحُوا
 وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُودَتْ
 جَاءَتْ تُسَابِقُ فِي الْمَبَرَّةِ بَعْضُهَا
 فَتَنَاوَلَتْ بِالرُّفُقِ مَا أَنَا حَامِلُ
 وَإِذَا الطَّبِيبُ مُشَمَّرٌ وَإِذَا بِهَا
 جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا
 وَجَثَا الطَّبِيبُ يَجْسُ نَبْضًا خَافِتًا
 لَمْ يَذَرِ حِينَ دَنَا لِيَبْلُو قَلْبَهَا
 وَدَعْنَهَا وَتَرَكَتْهَا فِي أَهْلِهَا
 وَعَجَزْتُ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا
 لَمْ يُخْجِلُوهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ اسْمِهَا
 خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةُ
 وَإِذَا النُّوَالُ أَتَى وَلَمْ يُهَرِّقْ لَهُ
 مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ
 لِلَّهِ دَرُّهُمْ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ

تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى
عَيْنٍ مُسَهَّدَةٍ وَقَلْبٍ وَاجِفٍ
لَمْ يَدْرِ نَاضِرُهُ أُعْرِيَانَا يَرَى
فَكَأَنَّ نَاجِلَ جِسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ
يَا بَرْدُ، فَاحْمِلْ، قَدْ ظَفِرْتَ بِأَعْزَلٍ
يَا عَيْنُ سَحْيٍ، يَا قُلُوبُ تَفْطَرِي
لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ
لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًا عَلَى
لِلهِ دُرُ السَّاهِرِينَ عَلَى الْأَلَى
القَائِمِينَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ
أَهْلُ الْيَتِيمِ وَكَهْفِهِ وَحُمَاتِهِ
لَا تُهْمِلُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ
إِنِّي أَرَى فَقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ
فَتَسَابَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ
وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ
وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ

عُرْيٍ، إِلَى سُقْمٍ، إِلَى إِقْلَالٍ
نَفْسٍ مُرَوَّعةً وَجَبَبُ خَالِي
أَمْ كَاسِيًا فِي تَلْكُمُ الْأَسْمَالِ
خَلَفَ الْخُرُوقِ يُطْلُ مِنْ غَرْبَالٍ
يَا حَرُّ، تِلْكَ فَرِيَسَةُ الْمُغْتَالِ
يَا نَفْسُ رَقِّي يَا مُرَوَّعةً وَالِي
وَحَلَا الْمَجَالُ لَخَاطِفِ الْأَجَالِ
نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
سَهَرُوا مِنْ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ
مَدَنِيَّةُ الْأَذْيَانِ وَالْأَجْيَالِ
وَرَبِيعِ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِمْحَالِ
لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ
— لو تَعْلَمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالٍ
مَيْدَانُ سَبَقِ لِلْجَوَادِ النَّالِ
يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةَ الْأَمْثَالِ
عَدُّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مَكْيَالِ

(١٢) مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً
لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً
كَلِفُ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَيِّمٌ
إِنِّي لَتُطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
وَتَهْزُنِي ذِكْرِي الْمُرَوَّةِ وَالنَّدَى
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِزَاجِهَا

فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ الْعِشَاقِ
يَا مِصْرُ قَدْ خَرَجَتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ
يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِي
بَيْنَ الشَّمَائِلِ هَزَّةَ الْمُشْتَاكِ
وَالشَّرْبِ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ

والشمس تبدو في الكُتوس وتختفي
 بألذ من خُلق كريم طاهر
 فإذا رُزقت خليقة مَحْمودة
 فالنَّاسُ هذا حَظُّه مالٌ، وذا
 والمالُ إن لم تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا
 والعِلْمُ إن لم تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
 لا تَحْسَبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
 كم عالم مَدَّ العُلومَ حَبَائِلًا
 وفقيه قوم ظَلَّ يَرْصُدُ فِقْهَهُ
 يَمْشِي وقد نُصِبَتْ عليه عِمَامَةٌ
 يَدْعُونَهُ عند الشُّقَاقِ وما دَرَوْا
 وطبيب قوم قد أَحَلَّ لَطَبَّهُ
 قَتَلَ الأَجَنَّةَ فِي البُطُونِ وتَارَةً
 أَغْلَى وَأَثْمَنُ من تَجَارِبِ عِلْمِهِ
 ومُهَنْدِسٍ لِلنَّيْلِ بات بكفِّهِ
 تَنْدَى وتَيَبَّسُ لِلخَلَائِقِ كَفُّهُ
 لا شيء يَلْوِي من هَوَاهُ فَحَدُّهُ
 وأديب قوم تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ
 يَلْهُو وَيَلْعَبُ بالعُقُولِ بيَانُهُ
 فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْجُ لُعَابُهُ
 يَرُدُّ الحَقَائِقَ وهي بِيضٌ نُصْعُ
 فَيَرُدُّهَا سَوْدًا على جَنَابَاتِهَا
 عَرِيَتْ عن الحَقِّ المَطْهَرِ نَفْسُهُ
 لو كان ذا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ
 مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا
 الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا
 الأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الحَيَا

والبَدْرُ يُشْرِقُ من جَبِينِ السَّاقِي
 قد مَارَجَتْهُ سَلَامَةٌ الأَذْوَاقِ
 فقد اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ
 عِلْمٌ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ
 بِالْعِلْمِ كَانَ نَهَايَةَ الإِمْلَاقِ
 تُغْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الإِخْفَاقِ
 مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ
 لَوْقِيَعَةٍ وَقُطَيْعَةٍ وَفِرَاقِ
 لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلِّ طَلَاقِ
 كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلِّ نِفَاقِ
 أَنَّ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنَ شِقَاقِ
 مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الخَلْقِ
 جَمَعَ الدَّوَانِقَ من دَمٍ مُهْرَاقِ
 يَوْمَ الفَخَارِ تَجَارِبُ الخَلْقِ
 مِفْتَاحُ رِزْقِ العَامِلِ المِطْرَاقِ
 بِالمَاءِ طَوْعَ الأَصْفَرِ البَرَّاقِ
 فِي السَّلْبِ حَدُّ الخَائِنِ السَّرَّاقِ
 قَطَعَ الأَنَامِلِ أَوْ لَطَى الإِخْرَاقِ
 فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةٌ رَاقِي
 سُمًّا وَيَنْفُقُهُ عَلَى الأَوْرَاقِ
 قُدْسِيَّةٌ عُلوِيَّةٌ الإِشْرَاقِ
 من ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ
 فحَيَاتُهُ ثِقْلٌ عَلَى الأعْنََاقِ
 بِبَيَانِهِ وَيَرَاعِهِ السَّبَّاقِ
 فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الإِخْفَاقِ
 أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأعْرَاقِ
 بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّامِ إِيْرَاقِ

الأمُّ أَسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى
أَنَا لَا أَقُولُ دَعَا النِّسَاءِ سَوَافِرًا
يَذْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ
يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا
فِي دُورِهِنَّ شُئُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ
كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلَى وَجَوَاهِرًا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَاثًا يُقْتَتَنَى
تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا
فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا
رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا
وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ

شَغَلَتْ مَأْتِرُهُمْ مَدَى الْآفَاقِ
بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ
يَحْذَرْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقي
عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
كَشْتُونَ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِزْهَاقِ
خَوْفُ الضِّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ
فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ
دَوْلًا وَهْنٌ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِي
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ
نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

(١٣) ملجأ رعاية الأطفال (نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١م)

أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا، وقد استهلها بوصف القطار

صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي الْغَمَامِ
أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْرِ
مَرَّ كَاللَّمْحِ لَمْ تَكَدْ تَقِفُ الْعَيْدِ
أَوْ كَشْرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدِرْ كَاسِيْدِ
لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْدِ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيدَا
لَيْسَ يَتَنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضِّدِ
لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّا
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْعَجَهُ الصَّيْدِ
فَهُوَ يَشْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي
يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدِ

أَمْ شِهَابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
دِ فَاعْيَا سَوَابِقِ الْأَوْهَامِ
نُ عَلَى ظِلِّ جِرْمِهِ الْمُتْرَامِي
هِ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
لَمْ تُضْعِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
بَّ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
بِحَ فِي الرِّمَهِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
حَيْثُ تُرْمَى بِجَانِبَيْهِ الْمَرَامِي
كَانْسِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ

بِذِرَاعِي مُشَمِّرٍ مِقْدَامٍ
 مَا بَجَنْبِي مُسْتَدِيمُ الضَّرَامِ
 تَ تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
 فِ فما هذه الدُّمُوعُ الْهُوَامِي
 مِنْ شَدِيدِ الْقَوَى شَدِيدُ الْغُرَامِ
 بَا وَأَسْرَفَتْ فِي أَدَى الْمُسْتَهَامِ
 وَخَلَطْتُ الْأَسْوَدَ بِالْأَرَامِ
 ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ
 رَ قِيَامٌ وَاللَّيْلُ لَيْلُ التَّمَامِ
 بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ مَمَاتِ زُؤَامِ
 قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَامِي
 يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَامِي
 انْقِضَاضُ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ
 لَمْ يَعُودَ مَوَاقِفَ الْإِحْجَامِ
 سَلَّهَ مِنْ يَدِ الْهَلَاكِ اللَّزَامِ
 كَبَلَاءُ الْمُهَنْدِ الصَّنُصَامِ
 رَ رُجُوعَ الْكَمِيِّ غَبَّ اغْتِنَامِ
 تِلْكَ إِحْدَى عَجَائِبِ الْأَيَّامِ
 رَ، مِنَ النَّهْرِ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
 بَرَزْتُ مِنْ صُفُوفِ ذَاكَ الرَّحَامِ
 تِلْكَ عُقْبَى رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ
 هُ وَحَاطَتْهُ رَغَمٌ أَنْفِ الْحِمَامِ
 يَذْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ
 يَ وَسَيْفٌ عَلَى رِقَابِ اللَّثَامِ
 وَحِمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السُّقَامِ
 بِكِسَاءٍ وَبَذَرَةٍ وَطَعَامِ
 سِ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا
 بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بَجَنْبِي لَكُنْ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ وَإِنْ كُنْ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلْ
 أَنْتَ قَاسِي الْفَوَادِ جَلْدٌ عَلَى الْأَيْ
 لَا تُبَالِي أَرْغَعْتَ بِالْبَيْنِ أَحْبَا
 أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدِ
 إِنَّنِي قَدْ شَهِدْتُ فِيكَ عَجِيبًا
 جَزَتْ يَوْمًا بَنَّا وَنَحْنُ عَلَى الْجِسْرِ
 وَإِذَا رَاكِبٌ إِلَى الْجِسْرِ يَهْوِي
 مَرَّ كَالسَّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَايَا
 فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ
 وَإِذَا سَابِحٌ قَدْ انْقَضَّ فِي الْمَا
 غَاصَ فِي لُجَّةِ الْحُتُوفِ بَعْرَمِ
 غَابَ فِيهَا وَعَادَ يَحْمِلُ جِسْمًا
 كَافَحَ الْمَوْجَ، صَارَعَ الْهَوْلَ، أَبْلَى
 وَأَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ
 وَقَفَ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا
 أَنْجَاةً مِنَ الْقِطَارِ، مِنَ الْجِسْرِ
 وَإِذَا صَيْحَةٌ عَلَتْ مِنْ فَتَاةٍ
 وَقَفَتْ مَوْقِفَ الْخُطِيبِ وَنَادَتْ
 بَسَطْتُ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّيْتُ
 دَعْوَةَ الْبَائِسِ الْمَعْدَبِ سَوْرُ
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذِي الْبَغِ
 إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي
 عَالَ طِفْلِي وَعَالَني وَحَبَانِي
 وَهُوَ مِنْ مَعْشَرِ أَغَاثُوا ذَوِي الْجُوِّ

خَيْرَ وَرِدٍ يَوْمُهُ كُلُّ ظَامِي
فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِي أَمَامِي
سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنِ الْآمِي
هِ بِأَحْلَى مِنْ مُنْعِشَاتِ الْمُدَامِ
قَدْ نَجَا صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ
تِ بِفَضْلِ الزُّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
فَسْ مِنْهَا جَلَالُ ذَاكَ الْمَقَامِ
إِذْ تَجَلَّى فِي ثَغْرِهَا الْبَسَامِ
رِ تَبَدَّى فِي شَخْصِ ذَاكَ الْهُمَامِ
هُ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصِّيَامِ
فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ
لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرَ قَوَامِ
يَا وَأَهْوَى عَلَيَّ اقْتِنَاءَ الْحُطَامِ
لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ
لَا يُبَالِي بِشِرْعَةٍ أَوْ زِمَامِ
أَخَذًا قُوَّتَهُ بَحْدَ الْحُسَامِ
صَبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النُّظَامِ
مِنْ كُتُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَامِي
دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شَرِبُ الْحِمَامِ
وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْحُزْنُ نَاجِرًا فِي عِظَامِي
سَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ

وَأَقَامُوا لِلْبَرِّ دَارًا فَكَانَتْ
مُلِئَتْ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا
زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يَجْرِي وَرَائِي
لَمْ يَقُولُوا: مِنَ الْفِتَاةِ؟ وَلَكِنْ
ثُمَّ أَهْوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تُوَاسِي—
قَبْلَتْ رَاحَتِيهِ شُكْرًا وَصَاحَتْ
قَدْ نَجَا الْمُنْعِمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوِ
فَأَطَفْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْفَ
وَشَهِدْنَا ثَغَرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى
وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ
وَعَلِمْنَا أَنَّ الزُّكَاةَ سَبِيلُ اللَّهِ
خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ
بَدَأَتْ مَبْدَأُ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ
لَوْ وَفَى بِالزُّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْ
مَا شَكَا الْجُوعَ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى
رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا
سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ
لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأُنْشِدَ شِعْرًا
إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشَوَى
نُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا
فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فَوَادِي
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعْطِفُ النَّاسَ

(١٤) إِلَى الْخَدْيَوِيِّ عَبَّاسٍ

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرض ليها لِمَا كَانَ فِي مِصْرَ مِنَ الْخِلَافِ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَقْبَاطِ فِي سَنَةِ ١٩١١ م

دامي الفؤاد وليله لا يعلم
 راميه لا يحنو ولا يترحم
 كم فيك ساعات تسيب وتهرم
 اتعبتني وتعبت، هل من يحكم؟
 بعظيم ما يخفي الفؤاد ويكتم
 عني، ومن هذا الذي يتظلم؟
 هو ذلك المتوجع المتألم
 — لولا عيونك — حجة لا تفحم
 مما يجشمها الهوى لا تسلم
 متحرماً بفنائكم لا يحرم
 تلك العيون وما جناه المعصم
 يبغي عليه ولا الصبابة ترحم
 متمللاً من هول ما يتجشم
 وجلاً يؤخر رجله ويقدم
 جزعاً ويقدم بعد ذاك ويحجم
 للقتل فوق فراشه يتقدم
 وانساب فيه بكل ركن أرقم
 وإد قد أطلعت عليه جهنم
 من ناظرينك، وما كتمتك أعظم
 حتام تنجد في الغرام وتتهم؟
 (هاروت) في أثنائها يتكلم
 وأطال فيك وفي هواك اللوم
 فيما تزين للحسان وتوهم
 في هجرها وجنت علي وأجرموا
 أني تلفت تندمت وتندموا
 مني تسيح راجلاً لو تعلم
 فمريهم بجلاله أن يقسموا

كم تحت أذيال الظلام متيم
 ما أنت في دنياك أول عاشق
 أهرمتني يا ليل في شرخ الصبا
 لا أنت تقصر لي ولا أنا مقصر
 لله مؤقفنا وقد ناجيتها
 قالت: من الشاكي؟ تسائل سربها
 فأجبتها وعجبني كيف تجاهلت:
 أنا من عرفت ومن جهلت ومن له
 أسلمت نفسي للهوى وأظنها
 وأنت تحدو بي الرجاء ومن أتى
 أشكو لذات الخال ما صنعت بنا
 لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى
 لو تنظرين إليه في جوف الدجى
 يمشي إلى كنف الفراش محاذراً
 يرمي الفراش بناظره وينثني
 فكأنه — والياس ينشف نفسه —
 رشت به في كل جنب مديته
 فكأنه في هوله وسعيره
 هذا وحقق بعض ما كابذته
 قالوا: أهذا أنت! ويحك فانتد
 كم نفقة لك تستثير بها الهوى
 إنا سمعنا عنك ما قد رابنا
 فانهب بسحرك قد عرفتك واقتصد
 أضغت إلى قول الوشاة فأسرفت
 حتى إذا يئس الطبيب وجاءها
 وأنت تعود مريضها لا بل أتت
 أقسمت (بالعباس)، إنني صادق

تِلْكَ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمانِ بِحَوْلِهِ
النَّجْمُ مِنْ حُرَّاسِهِ، وَالذَّهْرُ مِنْ
هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَكْبَكَ سَالِمًا
وَحَمِدْتُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِينَهُ
خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ
وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَنْتَ
وَدَوَى بِمَضْرٍ لَكَ الدُّعَاءُ فَنِيلُهَا
وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا
حَتَّى اطْمَأَنَّتْ بِالشِّفَاءِ نُفُوسُهُمْ
مَوْلَايَ أَمَّتْكَ الْوَدِيعَةُ أَضْبَحَتْ
نَادَى بِهَا الْقَبِطِيُّ مِلءَ لَهَاتِهِ
وَهُمْ أَغَارَ عَلَى النِّهْيِ وَأَضَلَّهَا
فَهَمُّوا مِنَ الْأَدْيَانِ مَا لَا يَرْتَضِي
مَاذَا دَهَا قَبِطِيَّ مَضْرٍ فَصَدَّه
وَعَلَامَ يَخْشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ
قَدْ ضَمَمْنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكَلْنَا
إِنِّي ضَمِينُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ
رَبِّ الْأَرِيكَةِ، إِنَّنَا فِي حَاجَةٍ
فَأَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً
وَأَجْمَعُ شَتَاتَ الْعُنْصُرِينَ بِعِزِّهِ
فَكِلَاهُمَا لِعَزِيزٍ عَزَّ شَكَّ مُخْلِصُ

وَعَدَوْتُ فِي آلِهِ أَتَنَعَمُ
خُدَامِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعَمُ
وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ
مُتَجَدِّدَ الْعِزِّمَاتِ ذَاكَ الضَّيِّعُ
دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكُ الْأَعْظَمُ
بَطْحَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ
وُسْهُولُهَا وَقَصِيحُهَا وَالْأَعْجَمُ
يَتَسَقَطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمُ
وَطَلَعْتُ بِالسَّعْدِ الْعَمِيمِ عَلَيْهِمْ
وَعُرَا الْمَوَدَّةَ بَيْنَهَا تَتَقَصَّمُ
أَنْ لَا سَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ
فَجَرَى الْغَيْبِيُّ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلَّمُ
دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
عَنْ وَدِّ مُسْلِمِهَا وَمَاذَا يَنْقَمُ؟
وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَايِدِ نَوْمُ
يَشْكُو، فَنَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
أَنْ يُخْلِصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ
لَجَمِيلِ رَأْيِكَ وَالْحَوَاثِ حَوْمُ
تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ
تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْسَمُ
وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبُّ مُغْرَمُ

(١٥) محاوره بين حافظ و خليل مطران في حفل أقامته جمعيه رعايه
الطفل بالأوبرا (نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م)

حافظ:

هذا صبي هائم تحت الظلام هيام حائر

أَبْلَى الشَّقَاءُ جَدِيدَهُ
فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ
هُوَ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا
لَكِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْهُ
إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ
أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظْمِهِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ
قَدْ كَانَ يَهْدِيهِ النَّسِيءُ
وَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ الْهُزَا
عَجَبًا أَيْفَرُسُهُ الطَّوَى
وَتَغُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرُ
كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى
حَزِيانَ، يَخْرُجُ فِي الظُّلَا
مُتَلَقِّعًا جِلْبَابَهُ
يَقْدَى بَرُؤِيَّتَهُ فَلَا

وَتَقَلَّمْتُ مِنْهُ الْأَطْفَارُ
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهَرُ
خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْهَوَاجِرُ
لَهُ فِرَاقٌ مَعْذُورٌ وَعَازِرُ
مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِزُ
فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرُ
أَحْيَاهُ (عِيسَى) بَعْدَ (عَازِرُ)
سُمْ وَكَادَ تَذُرُّهُ الْأَعَاصِرُ
لِ تَكَادُ تَثْقُبُهُ الْمَوَاطِرُ
فِي قَلْبٍ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِرُ
فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرُ!
أُسْوَانُ بَادِي الضَّرِّ طَائِرُ
مُ خُرُوجَ خَفَافِ الْمَغَاوِرُ
مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَابِرُ
تَلْوِي عَلَيْهِ عَيْنُ نَاضِرُ

ومنها:

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ
فَوَنَتْ وَفِي شَرْعِ التَّنَا
تَمْشِي الشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا
كَمْ فِي الْكِنَانَةِ مِنْ فَتَى
لَكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزَقُوا
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا
جَهَلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا
يَجْتَابُ أَجْوَاةَ الْقِفَا
لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِي
يَرْمِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا

كَسِبِ الْمَحَامِدِ وَالْمَفَاخِرُ
حُرٌّ مَنْ وَنَى لَا شَكَّ خَاسِرُ
قُدِّمًا وَشُعْبُ النَّيْلِ آخِرُ
نَذْبٌ وَكَمْ فِي الشَّامِ قَادِرُ
رَأْيَا وَلَمْ يَرِدُوا الْمَخَاطِرُ
لِ وَذَاكَ يَزْتَجِلُ النَّوَادِرُ
هُ لَغَيْرِ كِدَاحِ مُغَامِرُ
رِ وَيَمْتَطِي مَتْنِ الزَّوَاخِرُ
سَمَةٍ فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرُ
تِ بِنَفْسِهِ رَمَى الْمُقَامِرُ

ما هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِي
كَمْ ذَا نُحِيلُ عَلَى غَدٍ
خَوَتِ الدِّيَارُ فَلَا اخْتِرَا
دَعُ مَا يُجَشِّمُهَا الْجُمُو
فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتُنَا
تَرْبُو بِهِ فِينَا الْمَصَا
سَلْ (حِشْمَتًا) عَنْهُ فَهـ
أَحْيَا الصَّنَاعَةَ وَالتَّجَا
سَنَ بِمَضَرَ إِلَّا قَوْلُ: (بَاكِزُ)
وَعَدُ مَصِيرِ الْيَوْمِ صَائِرُ
عَ وَلَا اقْتِصَادَ وَلَا نَخَائِرُ
دُ وَمَا يَجُرُّ مِنَ الْجَرَائِرُ
وَبِقَاؤُنَا رَغَمَ الْمُكَابِرُ
نِعُ وَالْمَزَارِعُ وَالْمَتَاجِرُ
ذَا (حِشْمَتُ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ
رَةَ مِنْلَمَا أَحْيَا الضَّمَائِرُ

مطران:

عَجَبًا تُعَرِّفُنِي بِهِ
لِي فِيهِ مَا لَكَ فِيهِ مِنْ
أَنْسِيَتْ (مُوجَزَ الْأَقْتِصَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيـ
أَنْسِيَتْ مَا عَانَيْتَهُ
وَأَنَا بِهِمَّتِهِ أَفَاخِرُ!
أَمَلٍ عَلَى الْآيَامِ كَابِرُ
دِ) وَفَضْلُهُ أَمْ أَنْتَ ذَاكِزُ
رُ بِذَلِكَ التَّعْزِيبِ آمُرُ
وَاللَّفْظُ مُسْتَعْصٍ وَنَافِرُ

حافظ:

لَمْ أَنْسَ مَا سَأَلْتَ بِهِ
مَنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرُ

مطران:

لَمْ أَنْسَ إِذْ لَالَ الْكَلَا
مِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْمَكَابِرِ

حافظ:

لَمْ أَنْسَ نَحْتِي لِاصْطِلَا
حِ دُونَهُ نَحْتُ الْمَحَاجِرُ

مطران:

لم أنس تشذيب الفُصُولِ ومقرض التثقيف دائر

(١٦) دعوة إلى الإحسان (نشرت في سنة ١٩١٥م)

أَجَادَ (مَطْرَانُ) كَعَادَاتِهِ
فَإِنْ أَقِفْ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا
وإنْ رَأَيْتُمْ فِي يَدِي زَهْرَةً
رَأَى (حَبِيبًا) وَرَأَى بَعْدَهُ
كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا
فَأُضْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى
لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ
لِلَّهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ
يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِذًا
تَلْقَاهُ فِي الْجِدِّ كَمَا تَبْتَغِي
(سَرْكِيْسُ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتَهُ
أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَالْآلَةِ
بِالْخُنْسِ الْكُنْسِ فِي سَبْحِهَا
بِأَنَّ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ
ذَكَرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ
بِالْوَجِبِ الْأَقْدَسِ فِي حَقِّ مَنْ
هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه
كَانَتْ لَهُ فِي حَلْقِهِ ثَرَوَةٌ
فَعَالِهَا الدَّهْرُ كَمَا غَالَهُ
فَاكْتَسَبُوا الْأَجَرَ وَلَا تَبْتَغُوا
إِنِّي أَرَى التَّمَثِيلَ فِي غَمْرَةٍ
لَمْ يَزِمِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَمَى
أَكْلَمَا خَفَّتْ بِهِ صَحْوَةٌ
إِنْ تُغْفِلُوا دَارِسَ آثَارِهِ
أَعْجَزَهَا النُّطْقُ فَجَاءَتْ بِنَا

وهكذا يُؤثَرُ عَنْ (قُسٍ)
فَإِنَّمَا مِنْ طَرِسِهِ طَرْسِي
فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَرَسِ
لِذَلِكَ الْمُوفِي عَلَى الرَّمْسِ
حَلًّا مَنْ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ
وَذَاكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ
نُو مِرَّةٍ فِينَا وَدُو بَأْسِ
كَأَنَّهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِي)
وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْهَلْسِ)
فِي مَعْرِضِ الْهَزْلِ فَقُلْ «مَرْسِي»
بَعْرُشُهُ بِاللُّوْحِ بِالْكَرْسِي
بِالْبَدْرِ فِي مَرَّاهُ بِالشَّمْسِ
قَامَ بِهِ هَذَا الْفَتَى الْقُدْسِي
وَعَيْشُهُ فِي شَاغِلٍ يُنْسِي
بَاعْتَهُ مَصْرٌ بَيْعَةَ الْوُكْسِ
حَيًّا فَمَا خَالَ سِوَى الْعُكْسِ
مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرَسِ
حَتَّى غَدَا كَالطَّلَلِ الدَّرْسِ
شِرَاءَهُ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ
غَامِرَةً تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
لَوْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسِّ
مِنْ دَائِهِ غُوجَلٌ بِالنَّكْسِ
عَفَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطَّمْسِ
تَنُوبُ عَنْ أَلْسِنِهَا الْخُرْسِ

(١٧) العدو والصديق ترجمة عن قولتير (نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦م)

لا أبا لي أذى العدو فحطني أنت يا رب من ولاء الصديق

(١٨) جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيرى أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦م

أيها الوسْمِيُّ زُرْ نَبْتَ الرُّبَا
حَيَّهْ وَانْثُرْ عَلَى أَكْمَامِهِ
أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفُقْ مِنْ سِنَةِ
مِنْ رَحِيقِ أُمِّهِ غَدِيَّةً
وَانْفَحِ الرُّوْضَ بِنَشْرِ طَيِّبٍ
إِنَّ بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غُنَّةٍ
إِيَّاهُ يَا طَيْرُ أَلَا مِنْ مُسْعِدٍ؟
قُمْ وَصَفِّقْ وَاسْتَحِرْ وَاسْجَعْ وَنَحْ
ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدْتَنِي
غَنَّنِي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ
إِخْرَقَ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَاٍ
كُلَّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا
أُمِّمْ تَفْنَى وَأَرْكَانُ تَهِي
وَجُيُوشُ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِي
وَرِجَالُ تَتَبَارَى لِلرَّدى
مَنْ رَأَاهُ فِي وَغَاهَا خَالَهَا
وَحُرُوبُ طَاجِنَاتُ كُلَّمَا
ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أَهْوَالِهَا

وَاسْبِقِ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهَ الدَّرَرْ
وَاصْطَبِخْ مِنْ حَمْرَةٍ لَمْ تُغْتَصَرْ
سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ
عَلَّهْ يَوْقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ
يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرْ
إِنَّنِي قَدْ شَفَّنِي طَوْلُ السَّهَرِ
وَارَوْ عَنْ إِسْحَاقٍ مَأْثُورَ الْخَبَرِ
أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ
سَرَّتِ الْأَشْجَانَ عَنِّي وَالْفِكْرُ
خَرَقَ السَّمْعَ فَأَذْمَى فَوْقَرْ
بِعَجِيبٍ مِنْ أَعَاجِيبِ الْعِبَرِ
وَعُرُوشُ تَتَهَاوَى وَسُرَرْ
كَسُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرْ
لَا تُبَالِي غَابَ عَنْهَا أَمْ حَضَرْ
صَبِيَّةٌ خَفَّتْ إِلَى لِعْبِ الْأَكْرَرْ
أَطْفَأَتْ شَبَّ لَهَاها وَاسْتَعَرْ
وَاسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرْ

في الثَّرَى، في الجَوِّ، في شَمِّ الذُّرَا
أُسْرِفَتْ فِي الخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا
فَاضْمِدُوا ثُمَّ احْمَدُوا اللَّهَ عَلَى
نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا
نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ
تَتَمَنَّى هَجْعَةً فِي غِبْطَةٍ
إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُمْ
أَصْبَحُوا - لَا قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا -
نُزْلًا بَيْنَنَا إِنْ يُزْهَقُوا
فَأَعِينُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ
أَقْرِضُوا اللَّهَ يَضَاعِفْ أَجْرَكُمْ

فِي عُبابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ
نِعْمَةُ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ اكْفَهَرَ
صَاحِبِ الدَّوْلَةِ مَحْمُودِ الْأَثَرِ
أَمَّمْ فِي الْغَرْبِ أَشْقَاهَا الْقَدَرِ
لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدَرِ
مَنْ لَطَى نِيرَانَهَا بَعْضُ الشَّرَرِ
فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَضَجَرِ
أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكَبَرِ
مَسَّهُمْ ضُرٌّ وَنَابَتْهُمْ غَيْرُ
إِنْ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرٌ مُدَّخَرِ

(١٩) الجمعية الخيرية الإسلامية (نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦م)

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحياتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية. وقد قالها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتيمًا بائسًا، فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمًا.

قَضَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشَى
صَفَرْتُ يَدِي فَخَوَى لَهَا
وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ لَيْسَ فِي
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى
أَمْشِي يُرْنَحْنِي الْأَسَى
فَلَكُمْ ظَلِلْتُ عَلَى طَوَى
وَالْجُوعُ فَرَّاسٌ لَهُ
فَكَأَنَّهُ فِي مُهْجَتِي

مَا بَيْنَ ذُلٍّ وَأَغْتِرَابٍ
رَقِهَا وَمَغْرِبَهَا اضْطِرَابٍ
رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ
طَوَّقِي مُكَافَحَةَ الصَّعَابِ
ذَكَرَ تَنَاسَاهُ الصَّحَابِ
وَالْبُؤْسُ تَرْنِيحَ الشَّرَابِ
يَوْمِي وَبِتُّ عَلَى تَبَاتٍ
ظَفُرٌ يَصُولُ بِهِ وَنَابِ
نَضَلْتُ تَغْلَغَلَ لِلنَّصَابِ

وَلَكُمْ صَحْبَةُ الْبَيْضِ
فَإِذَا ظَفَرْتُ بِكَسْرَةٍ
وَعَلَيَّ طَمْرٌ لَوْ هَفْتُ
فَخُرُوقَهُ وَمَصَائِبِي
مَا زِلْتُ أَوْسَعُ مَحْنَتِي
حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ إِقْدِ
وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُضَلَّتِ
وَالْعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ
فَتَلَقَّفْتَنِي فِتْيَةً
مَهْدُواً لَأَنْفُسِهِمْ بِمَا
وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا
كَمْ أُسْرَةٌ ضَاقَ الرَّجَا
نَقُّوا عَلَيْهَا بَابَهَا
وَتَعَاهَدُوهَا مِثْلَمَا
وَجَمَالُ صُنْعِ الْبِرِّ أَلْ
فَتَحُوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةً
فِيهَا تَبَيَّنْتُ الْهُدَى
وَبِهَا صَدَفْتُ عَنِ الضَّلَا
وَعَدَوْتُ إِنْسَانًا تَجَمَّ
مُتَبَصِّرًا ذَا فِطْنَةٍ
(جَمْعِيَّةٌ خَيْرِيَّةٌ)
قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ)
لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحًا إِلَى
مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً
(لِعَاصِمٍ) أَثَرٌ بِهَا
قَدْ كَانَ يَحْمِيهَا كَمَا
ثَبَّتَتْ وَكَانَ ثَبَاتُهَا

نِ فَأُبَلِّيا بُرْدَ الشَّبَابِ
فَإِدَامُهَا مِنِّي لُعَابِ
رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَذَابِ
فِي الْعَدِّ يُخْطِئُهَا الْحِسَابِ
صَبْرًا وَأَحْتَمِلُ الْعَذَابِ
جَالِي وَنَجْمُ النَّحْسِ غَابِ
لِحَوَارِثِ الدُّنْيَا قِرَابِ
شُهِدُ وَفِي الْإِدْبَارِ صَابِ
رُحْبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابِ
صَنَعُوهُ زُلْفَى وَاحْتِسَابِ
تَعْدُو الْمُطَهَّمَةَ الْعِرَابِ
ءُ بِهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابِ
وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النُّقَابِ
يَتَعَاهَدُ النَّبْتَ السَّحَابِ
لَا يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابِ
وَتَنْظُرُوا حُسْنَ الْمَآبِ
وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
لَهُ وَاهْتَدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ
مِلُّهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابِ
تَنْفِي الْقُشُورَ عَنِ اللَّبَابِ
قَامَتْ لَتَخْفِيفِ الْمُصَابِ
عَوْنًا يُلَبِّي مَنْ أَهَابِ
إِنْعَاشِهَا إِلَّا أَجَابِ
حَتَّى تَغِيَّبَ فِي التُّرَابِ
بَاقٍ وَذِكْرُ مُسْتَطَابِ
تَحْمِي مَجَائِمِهَا الْعُقَابِ
يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ

والشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ
فينا على كَرَمِ الطُّبَا
دَاءُ التَّوَكُّلِ وَهُوَ فِي الـ
ثَبَّتَتْ لَأَنَّ لَهَا إِلَى
لولا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمُ
اللَّهُ أَذْرَكَهَا بِهِ
يا واهِبَ الآلَافِ كَمْ
لَكَ سَاحَةُ عَلَوِيَّةٍ
مَهَّدَتْ لِلْأَخْيَارِ مَيْمٍ
لَا زِلْتَ فِي الْقُطْرَيْنِ مَحـ

حُبِّ التَّقَلُّبِ وَالْخِلَابِ
ع وَنُبْلِهَا طَبَعُ يُعَابِ
عُمُرَانِ دَاعِيَةُ الْخَرَابِ
أَعْتَابِ مَوْلَانَا انْتِسَابِ
إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابِ
بَحْرًا مَوَارِدُهُ عِذَابِ
طَوَّقَتْ بِالْمِنْنِ الرَّقَابِ
مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابِ
دَانِ السَّبَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
رُوسِ الْأَرِيكِةِ وَالرَّكَّابِ

(٢٠) جمعيَّةُ إعانة العميان

قالها في حفل أقامته الجمعيَّةُ لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأوبرا في ١٩ ديسمبر
سنة ١٩١٦م ونشرت في اليوم التالي

إِنَّ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا
فاقتِرَانُ اليَوْمَيْنِ رَمَزٌ إِلَى يُمـ
فكأنِّي أَشِيمُ عَاطِفَةَ الْبِرِّ
وأرى في الوُجُوهِ سِيَمَا ارْتِيَاكِ
إِنَّ حَقَّ الضَّرِيرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَبـ
لَمْ يَضِرْهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْـ
أَنَسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْنـ
وَجَّهْهُوَ إِلَى الْفَلَاحِ يُفِدُّكُمْ
أَكْمَلُوا نَقْصَهُ يَكُنْ عِبْقَرِيًّا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْمَهٍ لَا يُجَارَى
لَمْ تَقَفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَازًا
عَدِمَ الْحِسَّ قَائِدًا فَحَدَاهـ

وَجَلَالًا بِيَوْمِ عِيدِ الْجُلُوسِ
ن وَبُشْرَى تَسْرُّ رَهْنَ الْحُبُوسِ
ر عِيَانًا تَجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
وابتِهَاجِ لِسْعِي تِلْكَ الْعَرُوسِ
صَارَ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيسِ
ه إِذَا اعْتَاضَ عَنْهُمَا بِأُنَيْسِ
شْ بَعْلُمُ فَالْعِلْمُ أُنْسُ النُّفُوسِ
فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
مِثْلَ (طه) مَبْرَرًا فِي الطُّرُوسِ
وَضَرِيرِ يُرْجَى لِيَوْمِ عَبُوسِ
بَيْنَ وَثْبَاتِهِ وَبَيْنَ الشُّمُوسِ
هَذِي وَجْدَانِهِ إِلَى الْمَحْسُوسِ

مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
ذَاكَ أَنَّ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلًّا فِي جَوَارِ النَّهْيِ بَتْلَكَ الرُّعُوسِ
فَعَلَى كُلِّ أَكْمَهٍ وَبَصِيرٍ شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

(٢١) ملجأ الحرية (نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩م)

أَيُّهَا الطُّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَ
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةٍ وَأَبَى سُبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَ
لَا تَخَفْ جُوعًا وَعُزْيًا وَلَا تَبِكْ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبُ عَرَا
لَكَ عِنْدَ الْبَرِّ فِي مَلَجَيْهِ حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُ لَنْ يُكْسَرَ
حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَدْبًا وَتَرَى بَيْنَ أَثْرَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَ
لَا تُسَيِّ ظَنًّا بِمُثْرِينَا فَقَدْ تَابَ عَنْ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَ
كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ إِنَّ أَتَى عَارِفَةً أَنْ يَظْهَرَ
فَعِدَا الْيَوْمِ يُوَاسِي شَعْبَهُ وَهُوَ لَا يَزْغِبُ فِي أَنْ يُشْكَرَا
نَبَّهَتْ عَاطِفَةَ الْبَرِّ بِهِ وَمَحْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارُ جَرَى
جَمَعْتُنَا فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ وَأَرَادْتُنَا عَلَى أَنْ نُقْهَرَا
فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَرَا
وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنِنَا فَعَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى
أَنْشَرْتَ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكَّ الْعُرَا
كَمْ مُحِبٍّ هَائِمٍ فِي حُبِّهَا ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرْخَ الْكَرَى
وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا أَنْ يَشِيدُوا مَجْدَهَا فَوْقَ الذَّرَا
يَا رَجَالَ الْجِدِّ هَذَا وَقْتُهُ أَنْ يَكْفُلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا
مَلَجًا أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
أَنَا لَا أَعِزُّ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى بَاتَ مَحْرُومًا يَتِيمًا مُعْبِرَا
فَابْدَءُوا بِالْمَلَجِ الْحُرِّ الَّذِي جُنْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمْطِرَا
وَكَفَلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
أَيُّهَا الْمُثْرَى أَلَا تَكْفُلُ مَنْ

أَنْتَ مَا يُذْرِيكَ لَوْ أَنْبَتَهُ رَبِّمَا أَطْلَعْتَ (سَعْدًا) آخَرًا
رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ) رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرًا
رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ فَارِسًا كَمْ طَوَى الْبُؤْسُ نَفُوسًا لَوْ رَعَتْ
كَمْ قَضَى الْعُدْمُ عَلَى مُوَهِّبَةٍ كُلِّ مَنْ أَحْيَا يَتِيمًا ضَائِعًا
إِنَّمَا تَحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ رَبِّمَا أَطْلَعْتَ بَدْرًا نَيْرًا
يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيَرْقَى الْمُنْبَرَا مِنْ حَمَى الدِّينِ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)
مِثْلَ (شَوْقِي) نَابَهَا بَيْنَ الْوَرَى يَدْخُلُ الْغَيْلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى
مَنْبِتًا خَضِبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا فَتَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى
حَسْبُهُ مَنْ رَبَّهُ أَنْ يُؤْجَرَ مَنْ لِأَخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

(٢٢) جمعيّة الطفل

أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعيّة في يوم الثلاثاء أوّل مايو سنة ١٩٢٨م

أَيُّهَا الْطِفْلُ لَا تَخَفْ عَنَتِ الدَّهْرِ قَيَّضَ اللَّهُ لِلضَّعِيفِ نَفُوسًا
أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عِشْتُنَّ لِلْبِرِّ لَمْ يَكُونُوا لِيُذْرِكُوا الْمَجْدَ لَوْلَا
بَسْمَةٌ تَجْعَلُ الْجَبَانَ شُجَاعًا وَعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ
رَاعَنِي مِنْ نَفُوسِكُنَّ جَمَالٌ وَجَمَالُ النُّفُوسِ وَالشُّعْرِ وَالْأَخْ
قُمْنَ عَلَّمَنَّا الْمُرُوءَةَ وَالْعَطْفَ قُمْنَ عَلَّمَنَّا الْحَنَانَ عَلَى الطُّفْ
قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَكُنَّ وَجِئْنَا لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجَدْنَا
أَنْقِذُوا الطِّفْلَ إِنَّ فِي شِقْوَةِ الطُّفْ إِنَّ يَعْشَ بَائِسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْ
رَ وَلَا تَخَشَّ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي تَعَشَّقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
رَ وَدُمْتُنَّ قُدُوءَةً لِلرِّجَالِ كُنَّ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالٍ فِي رِضَاكُنَّ أَزْخَصُوا كُلَّ غَالِي
يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالٍ لَاقَ عِنْدِي أَسْمَى مَجَالِي الْجَمَالِ
فَ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ لَ شَرِيدًا فَرِيسَةَ الْمُغْتَالَ
نَسَّالُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ إِنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ حُسْنُ الْمَقَالِ
لَ شَقَاءٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ سَ يَعْشَ نَكْبَةً عَلَى الْأَجْيَالِ

رَبِّ بُؤْسٍ يُخَبِّتُ النَّفْسَ حَتَّى
أُنْقِذُوهُ فَرَبِّمَا كَانَ فِيهِ
رَبِّمَا كَانَ تَحْتَ طُمْرِيهِ عِزُّ
رَبِّ سِرٍّ قَدْ حَلَّ جِسْمٌ صَغِيرٌ
فَخَفَافُ الْأَفْيَالِ أَرْفَقَ وَقَعًا
شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ
أَيَّدُوا كُلَّ مَجْمَعٍ قَامَ لِلْبِرِّ
كَمْ يَتَنِيمُ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ
وَرَجَالُ الْإِسْعَافِ أَنْبَلُ - لَوْلَا
يَسْهَرُونَ الدُّجَى لَتَخْفِيفٍ وَيْلُ
كَمْ جَرِيحٍ لَوْلَاهُمْ مَاتَ نَزَقًا
كَمْ صَرِيحٍ مِنْ صَدْمَةٍ أَوْ صَرِيحٍ
كَمْ حَرِيقٍ قَدْ أَحْجَمَ النَّاسُ فِيهِ
يَتَرَامُونَ فِي اللَّهْيَبِ سِرَاعًا
لَا لَشَيْءٍ سِوَى الْمُرُوءَةِ يَخْلُو
فَاصْنَعُوا الْبِرَّ مُنْعِمِينَ وَجُودُوا
لِانْتِشَارِ الْعُلُومِ أَوْ لَانْطِوَاءِ الـ

يَطْرَحُ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ
مُضْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي
نَوَ مَضَاءَ يَدُكَ شَمَّ الْجِبَالِ
وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْمِحَالِ
لَوْ تَبَيَّنْتَ مِنْ دَبِيبِ النَّمَالِ
- لَوْ أَتَيْحَ الطَّيِّبُ - غَيْرُ غَضَالِ
رِ بِجَاهٍ يُظِلُّهُ أَوْ بِمَالِ
سَاءَ لَوْلَا (رِعَايَةُ الْأَطْفَالِ)
شَهْوَةُ الْحَرْبِ - مِنْ رَجَالِ الْقِتَالِ
أَوْ بَلَاءٍ مُصَوِّبٍ أَوْ نَكَالِ
فِي يَدِ الْجَهْلِ أَوْ يَدِ الْإِهْمَالِ
مِنْ سُمُومٍ مُخْذِرِ الْأَوْصَالِ
عَنْ ضَحَايَا تَتَنُّ تَحْتَ التَّلَالِ
كَتَرَامِي الْقَطَا لَوْرِدِ الزَّلَالِ
طَعْمُهَا فِي فَمِ الْمَرِيءِ الْمُوَالِي
أَيُّهَا الْقَادِرُونَ قَبْلَ السُّؤَالِ
بُؤْسٍ وَالشَّرُّ أَوْ لِتَرْفِيهِ حَالِ

(٢٣) كَلِّية البنات الأمريكية (نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨م)

قالها في الحفل الذي أقامته الكَلِّية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

أَيُّ رَجَالِ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ مَهْلًا
وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ فَأَرْصَدُ
وَحَرَضْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فَحَرَمُ
وَقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعُمُرِ جَرَضًا
كَمْ أَحَالُوا عَلَى غَدٍ كُلِّ أَمْرٍ
قَدْ تَحَدَّثْتُمْ الْمَنِيَّةَ حَتَّى

قَدْ شَأَوْتُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ الرَّجَالَا
تُمْ عَلَيْهَا لِكُلِّ نَقْصٍ كَمَالَا
تُمْ عَصِيرًا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالَا
وَسَوَاكُم لَا يَقْدُرُ الْأَجْيَالَا
وَمُحِيلُ الْأُمُورِ يَبْغِي الْمُحَالَا
هَمْ أَنْ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَا

وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ اخْتِيَالًا
حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا وَالشَّمَالًا
رَ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ الرَّحَالَ
حِينَ جَلْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ كُسَالِي
مَ فَحَمَلْتُمْ الشُّعَاعَ مَقَالًا
شَرَعَ النَّاسُ يَنْبِذُونَ النُّعَالَ
أَرْضٍ أَوْ بَطْنِهَا الْمُحَجَّبِ مَالًا
تَنْطَحُ السُّحُبُ شَامِخَاتٍ طَوَالًا
فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظَّلَالَ
كَيْفَ تُنْمُونَ بَيْنَنَا الْأَطْفَالَ
نَ بَعْلِمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالًا
فِي حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَ
مَّا وَوُثْبًا إِلَى الْعُلَا وَنِضَالًا
فُرَصَ الْعَيْشِ وَانْتَقَلْنَا انْتِقَالَ
تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعْيِهِ أَحْوَالًا
وَأَصَبْنَا عَلَى الزَّحَامِ مَجَالًا
وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمَثَالًا
سِ - وَإِنْ ضَاقتِ الوجوه - عِيَالًا

وَطَوَيْتُمْ فِرَاسِخَ الْأَرْضِ طَبًّا
ثُمَّ سَخَرْتُمْ الرِّيَّاحَ فَسَسْتُمْ
تُسْرِجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ رُمْتُمْ السَّيِّدَ
وَتَخَذْتُمْ مَوْجَ الْأَثِيرِ بَرِيدًا
ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النَّجْبِ
وَمَحَا (فُورِدُ) آيَةَ الْمَشْيِ حَتَّى
وَانْتَزَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَبْرٍ بَظْهَرِ الْ-
وَأَقَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا
وَعَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أُنَيْقًا
وَحَلَلْتُمْ بَأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا
وَرَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقَّفُ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ
وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارِزُونَكُمْ عِلْمًا
قَدْ نَفَضْنَا عَنَّا الْكِرَى وَابْتَدَرْنَا
وَعَلِمْنَا بِأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ
فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا
وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (فُؤَادِ)
قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّا

(٢٤) الأُزْبَكِيَّة

بَغْرَامِ رَاقِصَةٍ وَحَبِّ هَلُوكِ
تِيهِ الْغَنِيِّ وَذِلَّةِ الْمَفْلُوكِ

كَمْ وَارِثٍ غَضَّ الشَّبَابَ رَمَيْتِهِ
الْبَسْتِهِ الثُّوبَيْنِ فِي حَالِيهِمَا

(٢٥) نشيد الشَّبَّانِ الْمُسْلِمِينَ

وَذُودُوا عَنْ تَرَاثِ الْمُسْلِمِينَا

أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينَا

وَنَحْنُ بَنُو الْغَزَاةِ الْفَاتِحِينَ
وَحَلَدْنَا عَلَى الْآيَامِ ذِكْرَى
كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِينَ
وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ
وَكَانَ شِعَارُنَا رِفْقًا وَلِينًا
أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ
وَعِلْمُ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ
إِذَا لَمْ نَكْفِهِ عَنَتَ الزَّمَانِ
كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلْقَى الْمَنُونَا

فَمَنْ يَغْنُو لَغَيْرِ اللَّهِ فِيْنَا
مَلَكْنَا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا
أَتَى (عُمَرُ) فَأَنْسَى عَدَلَ (كَسْرَى)
جَبَيْنَا السُّحْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ
وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جِيدِ
سَلُّوا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينَ
رِجَالٌ لِلْحَوَادِثِ لَا تَلِينُ
فَلَسْنَا مِنْهُمْ وَالشَّرْقُ عَانِي
وَنَزَعُهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانِ

(٢٦) غلاء الأسعار

شُ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَا
بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْبًا جُسَامَا
قُوتٌ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
دُونَ رِيحِ الْقَتَارِ رِيحُ الْخِزَامَى
وَيَظُنُّ اللَّحُومَ صَيْدًا حَرَامَا
صَاح: مَنْ لِي بِأَنْ أُصِيبَ الْإِدَامَا؟
ضَ وَبِئْسَ عَنِ النَّفُوسِ نِيَامَا
رُ وَأَحْيَا بِمَوْتِهَا الْآثَامَا
دُ وَلَا أَنْ تُوَاصِلَ الْإِقْدَامَا
وَتَرَى الْعَارَ أَنْ تَعَافَ الْمُقَامَا
ضَ يُبَارُونَ فِي الْمَسِيرِ الْغَمَامَا
مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا
شَ وَيَبْرُونَ لِلنُّضَالِ السَّهَامَا
يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامَا
فِي بِلَادٍ رَوِيَتْ فِيهَا الْأَنَامَا

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْدُ
عَزَّتِ السَّلْعَةُ الذَّلِيلَةُ حَتَّى
وَعَدَا الْقَوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالْيَا
يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيًا وَلَدَيْهِ
وَيَخَالُ الرَّغِيفَ فِي الْبُعْدِ بَدْرًا
إِنْ أَصَابَ الرَّغِيفَ مِنْ بَعْدِ كَدٍّ
أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ أَضْلَحْتُمْ الْأَرْزَ
أَضْلَحُوا أَنْفُسًا أَضَرَّ بِهَا الْفَقْدُ
لَيْسَ فِي طَوْقِهَا الرَّحِيلُ وَلَا الْجِدُ
تُؤَثِّرُ الْمَوْتُ فِي رُبَا النَّيْلِ جَوْعًا
وَرِجَالُ الشَّامِ فِي كُرَّةِ الْأَرْزِ
رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَاتُوا
يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ
وَبَنُو مِصْرَ فِي جَمَى النَّيْلِ صَرَعَى
أَيُّهَا النَّيْلُ كَيْفَ نُمْسِي عِطَاشًا

وَبَنُوكَ الْكَرَامُ تَشْكُو الْأَوَامَا
لَ وَأَعْرَى بَنَا الْجُنَاةَ الطَّغَامَا
فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الزَّحَامَا
قَيِّدَ الْعَجْزِ شَيْخَهُمُ وَالْغُلَامَا
قَدْ تَمَنَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْجَمَامَا
رِ وَكَادَتْ تَذُودُ عَنْهُ النَّعَامَا
قَدْ رَأَيْنَا الْمُكُوسَ أَرْخَى زَمَامَا
إِنْ حَسَدْنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا
هُ — بَعَصِرٍ يُكْرِمُ الْأَنْعَامَا

يَرِدُ الْوَاعِلُ الْغَرِيبُ فَيَزُورِي
إِنَّ لَيْنَ الطَّبَاعِ أَوْرَثَنَا الذُّلَّ
إِنَّ طَيْبَ الْمُنَاخِ جَرَّ عَلَيْنَا
أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رِفْقًا بِقَوْمٍ
وَأَغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نَفُوسًا
أَوْشَكْتُ تَأْكُلُ الْهَبِيدَ مِنَ الْفَقْدِ
فَاعِيدُوا لَنَا الْمُكُوسَ فَإِنَّا
ضَاقَ فِي مِصْرَ قِسْمُنَا فَاغْزِرُونَا
قَدْ شَقِينَا — وَنَحْنُ كَرَّمْنَا اللَّهَ

(٢٧) أضرحة الأولياء

وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُزْرَقُ الْأَمْوَاتُ
قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
بَحْرُ النَّذُورِ، وَتَقْرَأُ الْآيَاتُ
وَوَسِيلَةُ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

أَحْيَاؤُنَا لَا يُزْرَقُونَ بِدِرْهِمٍ
مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا
وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى

وقال على لسان طفلة:

طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
طُولَ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
جَنِّ الظَّلَامِ وَأَجْزَعُ
ءَ وَأَعْيُنِي لَا تَهْجَعُ
تَمِعُ الْكَلَامَ وَأَخْضَعُ
وَابِي فَلَا تَتَقَطَّعُ
فَظَنَّتِي فَلَا تَتَوَزَّعُ
رَعُ فِي الْهِنَاءِ وَأَزْتَعُ

أَخْشَى مُرَبِّيتِي إِذَا
وَأَظَلُّ بَيْنَ صَوَاحِبِي
لَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي وَلَا
وَأَخَافُ وَالِدَتِي إِذَا
وَأَبَيْتُ أَرْتَقِبُ الْجَزَا
مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَسَدُ
مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَثَدُ
وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِمَحَدُ
فَاعِيشُ أَمْنَةً وَأُمَدُ

(٢٨) إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم، باني الهرم ومسخر الملايين.

من الشاعر في عهد الحرّية الشخصية وحكم الديمقراطية، إلى فرعون في عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد.

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد، إلى سيّد مصر في القرن العشرين قبل الميلاد.

(٢٩) البلاغ الأسبوعي

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آيَةً	فوق شطّ النيل تبدو كالعلم
هِيَ ذَكَرٌ خَالِدٌ لَكِنَّهُ	عابس الوجه إذا الذكر ابتسم
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا	أنها قبر لجبار حطم
لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ	من قوَى في غير تقديس الرّم
مَنْ فَنَوْنَ أَعْجَزَتْ أَطَوِّقُنَا	وعلوم عندها الفكر وجّم
وَبَنَانٍ مَبْدَعَاتٍ صَوَّرَتْ	أوجه العُذُرِ لِعُبَادِ الصنم
أُبْدَعَتْ مَا أُبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ	وعلى أسرارها الدهر حتم

(٣٠) من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قيلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قَدْ غَفَوْنَا وَانْتَبَهْنَا فَإِذَا	نحن غرقى، وإذا الموت أمم
ثُمَّ كَانَتْ فَتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ	غرّ فينا الدهر ضعف فهجم
فَتَمَاسَكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ	زلزلت ركن الليالي فانهدم
كَانَ فِي الْأَنْفَسِ جُرْحٌ مِنْ هَوَى	نظر الله إليه فالتأم
فَنَشَدْنَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا	تحت ظلّ الله لا ظلّ الأمم

وحقيق أن يُوفَى حَقُّهُ
 آفَةُ المرءِ إذا المرءُ ونَى
 ليس منّا مَنْ يَنِي أو يَنْنِي
 نشء مصر، نَبَّأوا مصرًا: بكم
 بنضال يُصْقَلُ العِزُّ به
 أنا لا أفخرُ بالماضي، ولا
 كلُّ هَمِّي أن أراكم في غدٍ
 فالفتى كلُّ الفتى مَنْ لو رأى
 لا تَطْنُوا العيشَ أحلامَ المنى
 هو حربٌ بين فقرٍ وغنى
 هو نارٌ ووقودٌ فإذا
 فانفضوا النومَ وجِدُوا للعُلا
 ليس يجني مَنْ تَمَنَّى وصلها
 والأمانى شرٌّ ما تُمَنَّى به
 تُحْمَدُ العِزُّ وتَنْنِي حَدَّهُ
 وانظروا اليابانَ في الشَّرْقِ وقد
 حاربوا الجهلَ وكانوا قبلنا
 فاسألوا عنها الثُّرَيَّا لا الثرى
 هَمٌّ يمشي بها العِلْمُ إلى
 فهي أنى حاولتُ أمرًا مَشَتْ
 لا تُبالي زُلْزِلْتُ من تحتها
 تَخِذْتُ شمسَ الضُّحى رَمْزًا لها
 فهي لا تَألو صُعودًا تَبْتَغِي

مَنْ بِحَبْلِ اللّهِ والصبرِ اعتصمَ
 آفَةُ الشعبِ إذا الشعبُ انقسمَ
 أو يَعُقُّ النِيلَ في رعي الذمِّ
 تشترون المقصدَ الأسمى، بكم؟
 وسُهادٍ في العُلا حلو الألمِ
 أَحَسَبَ الحاضرَ يُطَرَى أو يُذَمِّ
 مثلَ ما كنتم أُسودًا في أجَمِّ
 في اقتحامِ النارِ عزًّا لاقتحمَ
 ذاك عهدٌ قد تَوَلَّى وانصرمَ
 وصراعٌ بين بُرءٍ وسَقَمِ
 غَفَلَ الموقدُ فالنارُ حَمَمِ
 فالعُلا وقفٌ على مَنْ لم يَنَمِ
 وانيًا أو وادعًا غيرَ الندمِ
 همَّةُ المرءِ إذا المرءُ اعتزمَ
 فهي كالماء لإخمادِ الضَّرمِ
 رَكَّزَتْ أعلامها فوق القِمَمِ
 في دُجى عَمَيائِهِ حتَّى انهزمَ
 إنها تحتلُّ أبراجَ الهممِ
 أنبلِ الغاياتِ لا تدري السَّامِ
 خَلَفَهَا الأيَّامُ في صفِّ الخدمِ
 أم عليها النجمُ بالنجمِ اصطدمِ
 وكفى بالشمسِ رَمْزًا للعِظَمِ
 جانبَ الشمسِ مكانًا لم يُرَمِ

(٣١) التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلًا في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريمًا لمحسني المنوفية: حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبي حسين لتبرّعهم بسبعين فدانًا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم.

ودُعي حافظ للاشتراك في تكريمهم، فألقى هذه القصيدة:

على مدارسنا سبعةٍ فداناً
بُخِلُ الغنيَّ وجَهْلُ قد تَغَشَّانا
جَرَّتْ على العِلْمِ والآدابِ خُسْرانا
على القبور وإن لم تَحْوَ إنسانا
تَرى له في مناحي النيل «أطيانا»
يَشْري الجُبَّةُ به خوصاً وريحانا
والدَّيْنُ في خجلٍ ممَّا تَوْلَّانا
شَرُّواكُم، فَبَنَوْا للعِلْمِ أركاناً
في «الرمْلِ» حيناً، وفي «حِلْوَانٍ» أحياناً
ويَزْرَعُوا فِلواتِ اللّهِ أَقْطاناً
ولا تَرى لَهُمُ بَرًّا وإِحْساناً
يُجْنى عليه ويُمْسى فيكَ أَسْواناً
تَسيلُ أَرْجاءُهِ عِلْماً وعِرْفاناً

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النِّيلِ قَدْ حَبَسُوا
أَحْيَا بِهَا أَمْلًا قَدْ كَانَ يَخْنُقُهُ
وخالَفُوا سُنَّةً فِي مِصرَ شائِعَةً
فإن هَمَّ سَرَاةِ النِّيلِ أَنْ يَقِفُوا
فكم ضَرِيحٍ خِلاءَ لَا رُفَاتَ بِهِ
وكم حَبُوسٍ عَلَى المَوْتِ، وَغَلَّتْهَا
والعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ، وَالْعَقْلُ فِي أَسْفٍ
ما كان ضَرُّ سَرَاةِ النِّيلِ لو فَعَلُوا
تَقْذَى عِيونُ بَنِي مِصرٍ بِمَظْهَرِهِمْ
يَبْغُونَ أَنْ تَحْتَوِيَ الدُّنْيَا خَزَائِنَهُمْ
وليس فيهِمْ أَخُو نَفْعٍ وَصالِحَةٍ
يا مِصرُ حَتَّامٌ يَشْكُو الفُلَّ فِي زَمَنِ
قَدْ سَالَ وادِيكَ خِصْبًا مَمْتِعًا فَمَتَى

(٣٢) إلى الدكتور طه حسين

عندما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه «في الشعر الجاهلي» شَنَّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتغالى بعضهم فطالبوا بإهدار دمه، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذٍ فقال حافظ:

إِنْ صَحَّ ما قالوا، وما أَرْجَفُوا
أَحَبُّ مِنْ إِسلامِ عَبْدِ الحَميدِ
وَأَلْصَقُوا زوراً بِدينِ العَميدِ
فَكُفِّرْ «طه» عِنْدَ دَيَّانِهِ

(٣٣) من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعزيده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنياء البلاد.

فلما انتهى طبع الكتاب، أرسل إليه حافظ نسخة هدية، وكتب عليها إهداء:

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بَائِسٍ إِلَى الدمرداشي وَلِيِّ النِّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَشْتَرِكُ فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْبُ الْحَكْمِ

(٣٤) مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوًا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بحديقة الأزيكية. وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه، فطلب منه التذكرة، فقال له إنه حافظ إبراهيم، وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة، فزعم المشرف أنه لا يعرفه، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما.

فضحك حافظ وقال له: لم أرَ أبحث منك مشرفًا ... وارتجل هذين البيتين:

رِياضُ الأَزبِكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ بِأَنْجَابِ كَرَامٍ أَنْتَ مِنْهُمْ
فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لَخَيْرٍ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَغْفُوفِ عَنْهُمْ

وضحك المشرف وقال: تفضل يا حافظ بك ...

السياسيات

(١) العلمان المصري والإنجليزي في مدينة الخرطوم

رُؤَيْدَكَ حَتَّى يَخْفِقَ الْعِلْمَانِ وَتَنْظُرَ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَتْيَانِ
فَمَا مِصْرُ كَالسُّودَانِ لُقْمَةً جَائِعٍ وَلَكِنَّهَا مَرْهُونَةٌ لِأَوَانِ
دَعَانِي وَمَا أَرْجَفْتُمَا بِاحْتِمَالِهِ فَإِنِّي بِمَكْرِ الْقَوْمِ «شَقُّ» زَمَانِي
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاحِدًا بِهَا اللَّزْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ يَوْمَ جَلَائِهِمْ وَيَوْمَ نُشُورِ الْخَلْقِ مُقْتَرِنَانِ
إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَزِيدٍ وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ
وَعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ وَحُكْمَ فِي الْهَيْجَاءِ كُلِّ يَمَانِي
هُنَاكَ اذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَّهَا نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرَمَانِ

(٢) إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش (نشرت في ٤ أبريل سنة ١٩٠٤م)

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان
مراكش

(عبد العزيز) لقد ذَكَّرْتَنَا أُمَمًا

كانت جَوَارِكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ

ذَكَّرْتَنَا يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أُنْدَلُسٍ
الْحَرْبُ فِي الْبَابِ وَالسُّلْطَانُ فِي اللَّعِبِ
فاحذَرُ عَلَى التَّخْتِ أَنْ يَسْرِيَ الْخَرَابُ لَهُ
فَتَخْتُ (سُلْطَانَةٍ) أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

(٣) غادة اليابان (نشرت في ٦ أبريل سنة ١٩٠٤م)

صنّنها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب
بينها وبين روسيا

لا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَبْلُونِي إِذَا
عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي
إِيَّاهُ يَا دُنْيَا أَعْبَسِي أَوْ فَابِسِمِي
أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أُمْتِي
أُمَّةٌ قَدْ فَتَتْ فِي سَاعِدِهَا
تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا
وهي والأحداثُ تَسْتَهْدِفُهَا
لا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً
ذَاتَ وَجْهِ مَزَجَ الْحُسْنَ بِهِ
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتَى
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِثَغْرِ بِاسِمِ
نَبِّئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي

صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالِدَّهْرُ أَبِي
أَخْطَأُ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
كَانَتْ الْعُلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا
أَوْثَرُ الْحُسْنَى عَقَّقْتُ الْأَدْبَا
لا أَرَى بَرْقِكَ إِلَّا خُلْبَا
خَاذِلًا مَا بَتُّ أَشْكُو النُّوبَا
بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا
وَتَفَدِّي بِالنَّفُوسِ الرُّتْبَا
تَعَشَّقُ اللَّهْوُ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعِبَا
ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبَا
وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
صُفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذُّهْبَا
لا رِعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
وَهَلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا
نَظَمَ الدَّرُّ بِهِ وَالْحَبَبَا:
لا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
عَلَّنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا

نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ
 قَلْتُ وَالْأَلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي:
 مَا عِهْدُنَاهَا لظَّبِّي مَسْرَحًا
 لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوسًا تُشْتَرَى
 أَحَسِبْتَ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتْهَا
 فَسَلِينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا
 وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ
 قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا
 جَالٌ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا
 فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا
 فَأَجَابْتَنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِي
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذَّبُوا وَرَدَّ الرَّدَى
 أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْتَنِي
 أَنَا إِنَّ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمْيَ وَلَمْ
 أَخْذِمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ
 هَكَذَا (الْمِيكَادُ) قَدْ عَلَّمَنَا
 مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ
 وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ
 كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا
 فَعَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا
 بَعَثَ الْأَمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ

أَيْظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا
 وَيُك! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا؟
 يَبْتَغِي مَلْهُى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
 بِالتَّمْنِي أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى
 أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشُّبَا؟
 وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
 أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
 فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
 تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
 وَالزَّمِي يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ الْخَبَا
 وَأَرْتَنِي الظَّبِّيَ لَيْثًا أَعْلَبَا:
 كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَّا أَشْرَبَا؟
 عَنْ مُرَادِي أَوْ أَدُوقَ الْعَطْبَا
 تَسْتَطِيعُ كَفَايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا
 وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
 أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا
 أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلُوبَا
 وَجَلَالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
 وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كُوكَبَا
 وَدَعَاها لِلْعُلَا أَنْ تَدَابَا
 وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا

(٤) الحرب اليابانيّة الروسيّة (نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤م)

وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكُوْثَرُ؟
 أَرْبَابِهِمْ، أَمْ نَعَمْ تُنَحَرُ؟

أَسَاحَةُ لِلْحَرْبِ أَمْ مَحْشَرُ
 وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى

قاموا بأمر المُلْك واستأنروا!
فأَمَعْنُوا فِي الْأَرْضِ واستعمروا
لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا
لَا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا
حِينَ التَّقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ
لَعَلَّهَا مِنْ رَجْسِهَا تَطْهَرُ
وَعَصَّتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسَرُ
وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقَدَّرُ
وَذَلِكَ التَّنْيِينُ لَا يُفْهَرُ
وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ
عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
فَسَالَتْ الْبَطْحَاءُ وَالْأَنْهَرُ
يَغَارُ مِنْهَا الدُّرُّ وَالْجَوْهَرُ
بَأَنْفُسٍ كَالْقَطْرِ لَا تُحْصَرُ
حَيْرَانٌ لَا يَدْرِي بِمَا يُؤْمَرُ
— وَأَنْتَ ذَاكَ الْكَيْسُ الْأَمْهَرُ —
إِذَا تَعَالَى صَوْتُهُ الْمُنْكَرُ؟
لَا الدَّرْعُ يَتْنِيهِ وَلَا الْمِغْفَرُ
وَبَاتَ (أَوِيَامًا) لَهُ يَنْظُرُ
وَالْمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا فَاصْبِرُوا
حَتَّى عَرَاهُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ؟
تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبُ يَمْخُرُ
تَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبِرُ؟
أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفَرُ
مَا تُغْلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تَضْمِرُ؟

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأَلَى
وَعَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ
قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ
وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأُوثَانِهِمْ
فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأُوثَانِهَا
وَأَثْمَلَتْهَا خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ
وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أَخْتَهَا
وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا
أَشْبَعَتْ يَا حَرْبُ ذُنَابَ الْفَلَا
وَمِيرَتِ الْحَيَاتَانِ فِي بَحْرِهَا
إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَنِي
وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا
فَمَا لَتِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَّرَتْ
سَالَتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ الطُّبَا
وَأَصْبَحَتْ (مَكْدُنٌ) يَاقُوتَةٌ
يَاقُوتَةٌ قَدْ قُومَتْ بَيْنَهُمْ
أَضْحَى رَسُولُ الْمَوْتِ مَا بَيْنَهَا
عِزْرِيلُ، هَلْ أَبْصَرْتَ فِيمَا مَضَى
كَذَلِكَ الْمِدْفَعِ فِي بَطْشِهِ
تَرَاهُ إِنْ أَوْفَى عَلَى مُهْجَةٍ
أُمْسَى (كُرُوبَتَكِينَ) فِي عَمْرَةٍ
وَهَلَّتْ (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ
وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ
أَكَلَّمَا لَاحَ لَهُ سَابِحُ
ظَنَّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ
تَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَيِّقٍ
فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ

فكم قتيلٍ باتَ فوقَ الثُّرى
وكم جريحٍ باسِطٍ كفِّه
وكم غريقٍ راحَ في لُجَّةٍ
وكم أسيرٍ باتَ في أسره
إن لم تَرَوْا في الصُّلحِ خَيْرًا لَكُمْ
تَسوؤُنَا الحَرْبُ وإن أَصْبَحَتْ
أتى على الشَّرْقِيِّ حينٌ إذا
ومَرَّ بالشَّرْقِ زمانٌ وما
حتَّى أعادَ (الصُّفْرُ) أَيامه
فرحمةُ اللهِ على أُمَّةٍ

يَنْتَابُهُ الأَطْفُورُ والمِنْسَرُ
يَدْعُو أَخاهُ وهو لا يُبْصِرُ
يَهْوِي بها الطَّوْدُ فلا يَظْهَرُ
وَنَفْسُهُ من حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
فالدَّهْرُ من أطماعِكُمْ أَقْصَرُ
تَدْعُو رجالَ الشَّرْقِ أن يَفْخَرُوا
ما ذُكِرَ الأَحْيَاءُ لا يُذْكَرُ
يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطُرُ
فانتَصَفَ الأسودُ والأَسْمَرُ
يَروِي لها التاريخُ ما يُؤَثَّرُ

(٥) إلى الإمبراطورة أوجيني (نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥م)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الإمبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل في فندق سافواي ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوي إسماعيل إيّاها استقبالا فحما.

أَيْنَ يَوْمُ (القَنالِ) يا رَبَّةَ التَّاءِ
أَيْنَ مُجْرِي القَنالِ أَيْنَ مُمِيتُ الـ
أَيْنَ هَارُونَ مِصر؟ أَيْنَ أبو الأشـ
أَيْنَ لَيْثُ الجَزِيرَةِ (ابنُ عليّ)
أَيْنَ ذا القَصْرِ بالجزيرة تَجْرِي
فيه لِلنَّحْسِ كَوَكَبٌ مُسْرَعُ السَّيْدِ
قد جَرَى النِّيلُ تحته بِخُشُوعِ
كُنْتُ بِالْأَمْسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْدِ
خَطَرَ اللَّيْثُ في فِئائِكَ يا قَصْدِ
وَعَوَى الذُّئْبُ في نواحيكَ يا قَصْدِ

جِ ويا شَمْسَ ذَلِكَ المِهْرَجانِ؟
حَمالِ أَيْنَ العَزِيْزُ ذُو السُّلْطانِ؟
جِبالِ رَبِّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟
واهِبِ الألفِ مُكْرِمُ الضَّيْفانِ؟
فيه أَرْزاقُنا وَتَحَبُّو الأمانِ؟
رِ وللسَّعدِ كوكبٌ مُتَوانِي
وانكِسارِ وهابِهِ الفَتَيانِ
رُ فأصْبَحَتْ جَنَّةَ الحَيوانِ
رُ وقد كُنْتَ مَسْرَحًا لِلجِسانِ
رُ وقد كُنْتَ مَعْقِلًا لِللسانِ

وَحَبَاكَ الزُّوَارُ بِالْمَالِ يَا قَصَبُ
 كُنْتَ تُعْطِي، فَمَا لَكَ الْيَوْمَ تُعْطَى
 إِنَّ أَطَافَتْ بِكَ الْخُطُوبُ فَهَذَا
 رَبُّ بَانَ نَأَى، وَرَبُّ بِنَاءٍ
 تِلْكَ حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ التَّاءِ
 قَدْ طَوَاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا
 وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمُؤَكَّبِ الْأَسَدِ
 إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنْ جَبِينِكَ تَاجُ
 فَلَقَدْ زَانَكَ الْمَشِيبُ بِتَاجِ
 ذَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا
 كُنْتُ بِالْأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ
 وَاعْذُرِينَا عَلَى الْقُصُورِ، كِلَانَا
 رُوقَد كُنْتُ مَصْدَرُ الْإِحْسَانِ
 أَيْنَ بَانِيكَ؟ أَيْنَ رَبُّ الْمَكَانِ؟
 سُنَّةُ الْكُونِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ
 أَسْلَمَتْهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَانِي
 جِ فَمَا حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
 لَمْ يَمْشِ فِي رِكَابِكَ الثَّقْلَانِ
 حَتَّى نَجُومُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
 كَانَ بِالْغَرْبِ أَشْرَفَ التَّيْجَانِ
 لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
 مِنْ صَنِيعِ الْمُهَيِّمِ الدِّيَانِ
 فَانْزِلِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانِ
 غَيَّرَتْهُ طَوَارِيءُ الْحَدَثَانِ

(٦) عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكونتنتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦م

أُيْحِصِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضُ الْمُهْدَبُ
 عَلَى أَنَّ صَدَرَ الشُّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَّنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً
 لِعُثْمَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَتَشَعَّبُ
 بِنَاهَا فَظَنَنْتُهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا
 لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وَلِلْسَّعْدِ تُنْصَبُ
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ
 فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَنَّبُوا
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ
 وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يُرْجَى وَيُرْهَبُ

أَسُوْدُ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْمِي عَرِيْنَهَا
وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبُ يَرْقُبُ
لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا
كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا انْقَضَ كَوْكَبُ
إِذَا رَاعَهَا مَسُّ مِنَ الضَّيْمِ خِلَتَهَا
كَمَنْ رَاعَهُ بِالْمَسِّ سِلْكُ مُكْهَرَبُ
وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهَلَالُ لِحَادِثِ
رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ
إِذَا ضَاءَتْ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُعْرِقِ
فُعْثَمَانُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ لَهُمْ أَبُ
وَإِنْ تَاهَ بِالْأَبْنَاءِ وَالْبَأْسِ وَالِدُ
فَأُولَى الْوَرَى بِالنَّيِّهِ ذَاكَ الْمُعَصَّبُ
فَهَذَا سُلَيْمَانُ وَقَانُونُ عَذْلِهِ
عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ بِالنَّبْرِ يُكْتَبُ
وَذَاكَ الَّذِي أَجْرَى السَّفِينِ عَلَى الثَّرَى
وَسَارَ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَرْكَبُ
عَلَى بَابِهِ الْعَالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ
سُطُورٌ لِأَقْلَامِ الْجَلَالَةِ تُنْسَبُ
هُنَا - فَاخْفِضُوا الْأَبْصَارَ - عَرْشُ مُحَمَّدٍ
هُنَا الْفَاتِحُ الْغَازِي الْكَمِي الْمُدْرَبُ
وَمَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الْمَجِيدِ) إِذْ احْتَمَى
بِأَكْنَافِهِ (كُوشُوطُ) وَالْخَطْبُ غِيْهَبُ
يُنَادِيهِمْ: أَمَّا نَزِيلِي فَدُونَهُ
حَيَاتِي، وَأَمَّا صَارِمِي فَمُشْطَبُ
فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاوُهَا
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَشُدُّوا وَجَرُّبُوا
كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الذَّرَا
وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَشْقَى وَتُنْكَبُ

فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا
 وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرَى وَمَسْرَبُ
 فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ
 فَأَضْحَى امْتِيَاظَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
 يَقُولُونَ: فِي هَذَا الرُّبُوعِ تَعَصَّبُ
 وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصَّبُ؟!
 فَيَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنَّ لَانَ أَوْ قَسَا
 فَنَفِيهِ مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبَعُ مُذَوَّبُ
 فَخَفَ بِأَسْهَاهَا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي
 وَخَفَ ضَعْفَهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرِبُ
 وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ
 وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْفَضَاءِ فَيَرْزُبُ
 أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا
 عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

(٧) حادثة دنشواي (نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦م)

أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا
 خَفِّضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا
 وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طَوْقٍ
 إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءُ
 لَا تَظَنُّوا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ
 لَا تُقِيدُوا مِنْ أَمَّةٍ بِقَتِيلٍ
 جَاءَ جَهَالُنَا بِأَمْرٍ وَجَدْتُمْ
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَيَّنْتُمْ بَعْفُو
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَيَّنْتُمْ بَعْفُو
 لَيْتَ شِعْرِي أَلَيْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْ

هَلْ نَسَيْتُمْ وَلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
 وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
 بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فَصِيدُوا الْعِبَادَا
 لَمْ تُغَادِرْ أَطَوَاقُنَا الْأَجْيَادَا
 أُرْشِدُونَا إِذَا ضَلَلْنَا الرِّشَادَا
 صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
 ضَعْفَ ضَعْفِيهِ قَسْوَةً وَاشْتِدَادَا
 أَقْصَا صَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
 أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَادَا؟
 تَيْشِ) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عَادَا؟

من ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا؟
ظَ وَلسَنَا لَغَيْظِكُمْ أُنْدَادَا
إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا
عَلَّمْتَنَا السُّكُونُ مَهْمَا تَمَادَى
مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقْتَ أَنْ تُعَادَى
حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ تَتَهَادَى
بَعْضُ هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ الْمُرَادَا
وَضَمِنَا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
عَهْدَ (مَضْرُ) فَقَدْ شَفَيْتِ الْفُؤَادَا
رُ) فَأُضْحَى عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا
سِ فَأُدْمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
سَادَ فِي عَقْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
قَدْ لَبِسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْجِدَادَا

كَيْفَ يَخْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْقِي
إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تَشْفُ عَنْ الْغَيْ
أَكْرَمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ
إِنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمْسِ
أُمَّةِ النَّيْلِ أَكْبَرْتَ أَنْ تُعَادَى
لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا
أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِي مَهْلًا
قَدْ ضَمِنَا لَكَ الْقَضَاءَ بِمَضْرُ
فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ
لَا جَرَى النَّيْلِ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مَضْرُ)
أَنْتِ أَنْبَتَ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمْرِ
إِيهِ يَا مِذْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ
أَنْتِ جَلَانُنَا فَلَا تَنْسَ أَنَا

(٨) استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي
(نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦م)

فَالشَّرْقُ رِيحَ لَهُ وَضَجَ الْمَغْرِبُ
بَعْدَ التَّحِيَّةِ إِنَّنِي أَتَعَتَّبُ
بَاتَتْ لَهَا أَحْشَاؤُنَا تَتَلَهَّبُ
عَنَّا وَلَكِنَّ السِّيَاسَةَ تَكْذِبُ
لَا نَشْرِبُ لَهَا وَمَا لَكَ تَغْصِبُ
هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ وَتَنْدُبُ
فِيمَا تُقَرِّرُهُ لَدَيْكَ وَتَكْتُبُ
يَوْمَ الْحَمَامِ فَإِنَّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ
أُمِسْتَ إِلَى مَعْنَى التَّعْصَبِ تَنْسَبُ!
لَيْسَتْ بِغَيْرِ وَلَايَها تَتَعَدَّبُ

(قَصْرُ الدُّبَارَةِ) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا
أَهْلًا بِسَاكِنِكَ الْكَرِيمِ وَمَرْحَبًا
نَقَلَتْ لَنَا الْأَسْلَاكُ عَنْكَ رِسَالَةً
مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتَ أَصْدَقُ نَاقِلٍ
عَلَّمْتَنَا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَمَا لَنَا
أَنْقِمْتَ مِنَّا أَنْ نُحِسَّ؟ وَإِنَّمَا
أَنْتِ الَّذِي يُعْزَى إِلَيْهِ صَلَاحُنَا
إِنَّ ضَاقَ صَدْرُ النَّيْلِ عَمَّا هَالَهُ
أَوْ كُلَّمَا بَاخَ الْحَزِينُ بِأَنَّهُ
رَفَقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بِأُمَّةٍ

إِنْ أَرْهَقُوا صَيَادَكُمْ فَلَعَلَّهُمْ
ولربما ضَنَّ الْفَقِيرُ بِقُوَّتِهِ
فِي (دِنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ
حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بَدِيلَةً
نُكِبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ
خَلَّيْتَهُمْ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصَدٍ
جَلَدُوا وَلَوْ مَنَيْتَهُمْ لَتَعَلَّقُوا
شُنِقُوا وَلَوْ مُنِحُوا الْخِيَارَ لَأَهْلُوا
يَتَحَاسِدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأْسُهُ
مَوْتَانِ: هَذَا عَاجِلٌ مُتَنَمِّرٌ
وَالْمُسْتَشَارُ مُكَائِرٌ بَرَجَالِهِ
يَخْتَالُ فِي أَنْحَائِهَا مُتَبَسِّمًا
طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا
حُبٌّ يُحَالِلُ غَرْسَهُ فِي أَنْفُسِ
كَنْ كَيْفَ شَتَّتَ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا
وَأَفْضَ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلِيَ الْقَضَا
قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رَجَالِكَ نُخْبَةٌ
أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفَتْيَةٍ
فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً
وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْكِنَانَةِ قُلْ لَهُمْ
وَاسْتَبِقْ غَفْلَتَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَنَمَّ

لِلْقُوَّةِ لَا لِلْمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا
وَسَخَا بِمُهْجَتِهِ عَلَى مَنْ يَغْصِبُ
لِعَبِّ الْقَضَاءِ بَنَّا وَعَزَّ الْمَهْرَبُ
فَتَسَابَقُوا فِي صَيْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا
لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا
وَسَيَاطُهُمْ وَجِبَالُهُمْ تَتَاهَبُ
بِحِبَالٍ مِّنْ شُنِقُوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
بَلْظَى سِيَاطُ الْجَالِدِينَ وَرَحَّبُوا
بَيْنَ الشَّفَاهِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْذُبُ
يَرْنُو، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ
وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحَزَّبُ
وَالدَّمَعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ
هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
يُجْنَى بِمَغْرِسِهَا الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ
لِلْمُسْتَشَارِ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ
رَفْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرُبُ
سَاسُوا الْأُمُورَ فَدَرَّبُوا وَتَدَرَّبُوا
طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْسَبُ
هِيَ أُمَةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
فَالنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قُلُوبُ

(٩) شكوى مصر من الاحتلال (نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧م)

لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوُضِيَ فَهُذِبَتْ
تَمَنُّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى
أَعْدَ عَهْدَ (إِسْمَاعِيلَ) جَلْدًا وَسُخْرَةً
حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظَمًا
وَأَنْ أَصْبَحَ الْمِصْرِيُّ حُرًّا مُنْعَمًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنْ أَنْكَى وَالْمَا

عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلْنَا
إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا
نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى
فَلَا تَحْسَبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ — لَمْ تُفِدْ
فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ — وَالْخَفْضُ وَارِفٌ —
فَأَغْلَيْتُمْ طِينًا وَأَرْخَصْتُمْ دِمَا
فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
بِهِ رَبُّهُ لِّلسُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمًا
مَتَاعًا وَلَمْ تَعْصِمِ مِنَ الْفَقْرِ — مَغْنَمًا
قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَيْمًا

(١٠) وداع اللورد كرومر (نشر في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٧م)

قالها عند استقالة اللورد وضمّنها آراء الناس في سياسته

فَتَى الشُّعْرِ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدْقِ وَالْهُدَى
لَقَدْ حَانَ تَوْدِيْعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ
فَوْدَعُ لَنَا الطَّوْدَ الَّذِي كَانَ شَامِخًا
وَزَوْدَهُ عَنَّا بِالْكَرَامَةِ كُلِّهَا
فَلِمَ لَا نَرَى الْأَهْرَامَ يَا نَيْلُ مِيدًا
كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَكُنْ
سَلَامٌ وَلَوْ أَنَا نَسِيْتُ إِلَى الْأَلَى
سَنُطْرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَفْضَتْهَا
أَمِنًا فَلِمَ يَسْلُكُ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا
وَكُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْمِي ضَعِيفِنَا
وَلَوْلَا أَسَى فِي (دِنْشَوَاي) وَلَوْعَةُ
وَرَمِيكَ شَعْبًا بِالتَّعَصُّبِ غَافِلًا
لَذُبْنَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لِأَتْنَا
تَشَعَّبَتْ الْأَرَاءُ فِيكَ فَقَائِلُ
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى
وَأُمْتَعَكُمُ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مُبَارَكُ
وَسَنَ لَكُمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ عِنْدَمَا
فَلَا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدًا
حَقِيقُ بَتَشْيِيعِ الْمُحِبِّينَ وَالْعِدَا
وَشَيْعُ لَنَا الْبَحْرَ الَّذِي كَانَ مُزِيدًا
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْبَاقِيَّاتِ مُرَوِّدًا
وَفِرْعَوْنُ عَنْ وَادِيكَ مُرْتَجِلُ غَدَا؟
تَرَى فِي جَمِي فِرْعَوْنَ أَمِنًا وَلَا جِدَا
أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدًا
عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجَحَّدُ الْيَدَا
وَنِمْنَا فَلِمَ يَطْرُقُ لَنَا الدُّعْرُ مَرْقَدًا
وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
وَفَاجِعَةٌ، أَدَمْتَ قُلُوبًا وَأَكْبَدَا
وَتَصْوَيرُكَ الشَّرْقِيَّ غِرًّا مُجَرَّدًا
نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحِ الْمُتَوَدِّدَا
أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
تَرَخَّصَ فِيهَا تَارَةً وَتَشَدَّدَا
فَحَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا
عَلَى أَهْلِهِ، خَضَبًا وَرِيًّا وَمُورَدَا
رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدَا

وَأَخْرُ لَمْ يَقْصِرْ عَلَى الْمَالِ هَمَّهُ
فَلَا يَحْمَدُ الْإِثْرَاءَ حَتَّى يَزِينَهُ
يُنَادِيكَ قَدْ أُرْزِيتَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعَمُّدًا
قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ
وَوَافَيْتَ وَالْقُطْرَانَ فِي ظِلِّ رَابِيَةٍ
فَطَاحَ كَمَا طَاحَتْ (مُصَوِّعٌ) بَعْدَهُ
حَجَبْتَ ضِيَاءَ الصُّحُفِ عَنْ ظُلُمَاتِهِ
وَأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الْوَدَاعِ مَغَامِرًا
عَمَزْتَ بِهَا دِينَ النَّبِيِّ وَإِنَّا
يُنَادِيكَ أَيْنَ النَّابِغُونَ بَعْدِكُمْ
فَمَا عَهْدُ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْعَيْشُ ضَيْقُ
يُنَادِيكَ وَلَيْتَ الْوِزَارَةَ هَيْئَةً
فَلَيْسَ بِهَا عِنْدَ التَّشَاوُرِ مِنْ فَتَى
بَرِّبِكَ مَاذَا صَدَّنَا وَلَوْى بَنَا
أَشْرَتْ بِرَأْيٍ فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ
وَحَاوَلْتَ إِعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ
فِيَا وَيْلَ مِصْرَ يَوْمَ تَشْقَى بِنْدُوةِ
أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَّا سَلَبْنَا ضِيَاعَنَا
وَزَاخَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسِ
وَمَا الشَّرِكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَلْسُنُ
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ
وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ
فِيَأْيُهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةٌ
لِئِنْ غَابَ هَذَا اللَّيْتُ عَنْكَ لِعِلَّةٍ

يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
بِعِلْمٍ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدًا
وَلَمْ تَبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (لُرْدُ) مَعَهْدًا
وَأُجِدْتُ فِي مِصْرَ الْعُقُولِ تَعَمُّدًا
قَضَاءً عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلُ إِلَى الرَّدَى
فَمَا زِلْتُ (بِالسُّودَانِ) حَتَّى تَمَرَّدًا
وَضَاعَتْ مَسَاعِينَا بِأَطْمَاعِكُمْ سُدَى
وَلَمْ تَسْتَقِلْ حَتَّى حَجَبْتَ (الْمُؤَيَّدَا)
رَأَيْنَا جَفَاءَ الطَّبْعِ فِيهَا مُجَسَّدًا
لِنَغْضَبِ إِنْ أَغْضَبْتَ فِي الْقَبْرِ (أَحْمَدَا)
وَأَيُّ بِنَاءٍ شَامَخَ قَدْ تَجَدَّدَا
بِأُجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سَالَ عَسْجَدَا
مِنَ الصَّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لِأَصْوَاتِنَا صَدَى
أَبْيَّ إِذَا مَا أَصْدَرَ الْأَمْرَ أَوْرَدَا
عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدَا؟
سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ سَهْمًا مُسَدَّدَا
تُجَرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدَا
يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدَا
عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
خَبِيرَ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدَا
سَوَى شَرِكٍ يُلْقِي بِهِ مَنْ تَصِيدَا
إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَفْنَدَا
لَسَجَلْتُ لِي رَأْيَا وَبُلَّغْتُ مَقْصِدَا
أَضَافَ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدَا
وَيَأْيُهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَلَّدَا
لَقَدْ لَبِثْتُ آثَارَهُ فِيكَ شُهَدَا

(١١) استقبال السير غورست (نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧م)

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدًا للدولة الإنجليزِيَّة، خلفًا للورد كرومر
يَبْتُ فيها آلام المصريين وآمالهم

فهذا يومُ شاعِرِكَ المُجيدِ
بما تُوحينَ أَيَّامَ الرَّشيدِ
مُريه إلى سَمَائِكَ بالصُّعودِ
يَتِيه به على أَهلِ الخُلودِ
يَلِنَ لهُتافِه قاسي الحَديدِ
أَسأَلُها ولا كَلِفُ برُودِ
ولا مُسْتَنَجِزُ حُرِّ الوُعودِ
على قَومِي وأَهْتَفُ بالنَّشيدِ
يَصُولُ بَكلِّ قَافِيَةٍ شَرُودِ
شَكُوتُ من العَميدِ إلى العَميدِ
رَأَيْتُ المَنَّ دَاعِيَةَ الجُحودِ
بَعْهَدِ المُصْلِحينَ إلى الوُردِ
بِفَضْلِ وُجودِكمُ مَعْنَى الوُجودِ
فإِنَّ النَّاسَ في جُهدِ جَهِيدِ
صياحُ المُشْفِقينَ مِنَ المَزِيدِ
وَكُنَّ قَدِ انْدَمَلْنَ على صَديدِ
هَتَكَنَ سَرائِرَ القَلْبِ الجَلِيدِ
إلى (العَبَّاس) أُم (عَبْدِ الحَميد)؟
تُرَوِّعُنا بِأَصنافِ الوَعيدِ
يُطوَلُكمُ ولا رُكْنِ شَدِيدِ
بَينُ به الغَوِيُّ مِنَ الرَّشيدِ
أَضَرَ بِأَهْلِهِ نَقْضُ العُهودِ
بِكَفْرانِ العَوَارِفِ والكُنُودِ

بَناتِ الشُّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودي
أَطْلِي واسْفِرِي ودَعِيه يُحْيِي
إِذا ما جَلَّ قَدْرُكَ عَن هُبوبِ
وأُولي ذلِكَ الفَاني بَيانًا
وحُلِّي عُقْدَةً من أَصغَرِيه
فما أَنَا واقِفُ برُسومِ دارِ
ولا مُسْتَنزَلُ هِبَةٍ بِمَدْحِ
ولكنِّي وَقَفْتُ أَنوحُ نوحًا
وأَدْفَعُ عَنْهُم بِشَبا يَراعِ
بَناتِ الشُّعْرِ إِنْ هِيَ أَسْعَدَتْنِي
ولَمْ أَجَحِّدْ عَوارِفَه ولكنْ
أَذيقونا الرِّجاءَ فَقَد ظَمِئْنَا
وَمُنُوا بِالوُجودِ فَقَد جَهِلْنَا
إِذا اَعْلَوَلَى الصِّياحُ فلا تَلَمَّنَا
على قَدْرِ الأَذَى والظُّلْمِ يَعلُو
جِراحُ في النَفوسِ نَغْرَنُ نَغْرًا
إِذا ما هاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدُ
إلى مَن نَشْتَكِي عَنَتِ اللَّيالي
ودونِ جِماهُما قَامَتِ رِجالُ
فما جِئْنَا نَطاولُكمُ بِجاهِ
ولا بِتَّنّا نُعاجِزُكمُ بِعِلْمِ
ولكنَّا نَطالِبُكمُ بِحَقِّ
رَمانا صَاحِبُ التَّقْريِرِ ظُلْمًا

ولو جئنا بقرآنٍ مجيدٍ
يدومٌ عليهمُ أبدَ الأبدِ
تعهدَه بمُنهلِّ الصُّدودِ
وزكَّاهَا بأربعةِ شُهودِ
وأيقظَ هاجِعَ القومِ الرُّقودِ
يُطوِّقُ بالسَّلاسلِ كلَّ جَيدِ
بمَجْلودٍ ومَقْتولٍ شهيدِ
ونُبِّعتَ في العوالمِ من جَدِيدِ
وجاء بكلِّ جَبَّارٍ عَنيدِ
ويَعْبَثُ بالنُّهى عَبتَ الوليدِ
وصاحَ بها: سَبيلُكَ أنْ تَبيدي
وأحكَمَ من فِلاسِفَةٍ (الهَنودِ)
وقد أودى بنا أو كادَ يُودي
سوايَقنا من المَشي الوَئيدِ
وأنتمُ أهلُ مَرَحَمَةٍ وَجودِ
بهذا الفَضلِ والعِلْمِ المُفيدِ
فَتَي (كالْفَضلِ) أو (كابنِ العَميدِ)
يَحيدُ به عن القَصْدِ الحَميدِ
قد استَعصى على الطَّبِّ العَهِيدِ
زأرتُم دونَه زارَ الأسُودِ
على حُمُرِ المَلايسِ والخُدودِ
بأنَّكَ قَيْنُ هاتيكِ القيودِ؟
بهذا الموتِ أو هذا الجُمودِ؟
كفانا سائِغُ النِّيلِ السَّعيدِ
(بِمِصْرَ) مَوارِدِ العِيشِ الرَّغيدِ
وضاقَ بِحَمَلِهِمُ ذَرعُ البَريدِ
على التَّشريعِ في ظِلِّ العَميدِ؟

وأقَسَمَ لا يُجيبُ لنا نِداءً
وبَشَّرَ أهلَ مِصْرٍ باحتِلالِ
وأُنْبِتَ في النفوسِ لكم جَفاءً
فأثَمَرَ وَحْشَةً بَلَغَتْ مَداها
قتيلُ الشَّمْسِ أوزننا حِياةً
فلَيتَ (كُرومراً) قد دامَ فينا
ويُتَحِفُ (مِصْرَ) أنا بعدَ آنِ
لنَنزَعَ هذه الأكفانَ عَنَّا
رَمَى (دارَ المَعارِفِ) بالزَّرايا
يُبدِلُ بِحَوْلِهِ وَيَتِيهَ تِيهاً
فَبَدَدَ شَمْلَها وأدالَ منها
هَبُوا (دَنلوبَ) أَرْحَبْكُمْ جَناناً
فإنَّا لا نُطيقُ له جِواراً
مَلَلنا طولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ
بِحَمْدِ اللهِ مُلْكُكُمْ كَبيراً
خُذوه فَأُمْتِعُوا شُعْباً سِوانا
إذا اسْتَوَزَرْتَ فاستَوَزِرْ عَلَيْنَا
ولا تُثْقِلْ مَطاهاً بِمُسْتَشَارِ
وفي الشُّورى بنا داءُ عَهِيدُ
شُيوخُ كُلِّما هَمَّتْ بِأمرِ
لِحَى بَیضاءِ يومَ الرِّأيِ هانَتْ
أُتْرَضَى أن يُقالَ — وأنتَ حُرٌّ —
وهَلْ في دارِ نَدَوَتِكُمْ أناسُ
فَنَحَّ غَضاضَةَ التَّاميزِ عَنَّا
أرى أَحدائِكُمْ مَلَكُوا عَلينا
وقد ضَيقنا بِهِم وأبيكَ ذَرعاً
أَكُلْ مَوْظِفٍ مِنْكم قَديرُ

فَضَعُ حُدًّا لَهُمْ وَانْظُرْ إِلَيْنَا
وَحَبِّرْهُمْ وَأَنْتَ بِنَا حَبِيرٌ
وَأَنْ نَفُوسَ هَذَا الْخَلْقِ تَأْبَى
وَوَلِّ أُمُورَنَا الْأَخْيَارَ مِنَّا
وَأَشْرِكْنَا مَعَ الْأَخْيَارِ مِنْكُمْ
وَأَسْعِدْنَا بِجَامِعَةٍ وَشَيْدٍ
وإِنْ أَنْعَمْتَ بِالْإِصْلَاحِ فَابْدَأْ
وَفَرِّجْ أَزْمَةَ الْأَمْوَالِ عَنَّا
وَسَلِّ عَنْهَا (الْيَهُودَ) وَلَا تَسَلِّنَا
إِذَا مَا نَاخَ فِي (أُسْوَانَ) بَاكِ
جَمِيعُ النَّاسِ فِي الْبَلَوَى سَوَاءٌ
تَدَارَكَ أُمَّةٌ بِالشَّرْقِ أَمْسَتْ
وَأَيَّدَ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَاعْنَمَ
وَمَا أَذْرِي وَقَدْ زَوَّدْتُ شِعْرِي
أَجِئْتُ تَحُوطُنَا وَتَرُدُّ عَنَّا
أَمْ اللَّزْدُ الَّذِي أَنْحَى عَلَيْنَا

إِذَا أَنْصَفْتَنَا نَظَرَ الْوُدُودِ
بِأَنَّ الدَّلَّ شَنْشَنَةُ الْعَبِيدِ
لَغَيْرِ إِلِهَا ذُلُّ السُّجُودِ
نَثَبُ بِهِمْ إِلَى الشَّأْوِ الْبَعِيدِ
إِذَا جَلَسُوا لِإِقَامِ الْحُدُودِ
لَنَا مِنْ مَجْدٍ دَوْلَتِكَ الْمَشِيدِ
بِتِلْكَ؛ فَإِنَّهَا بَيْتُ الْقَصِيدِ
بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ رَأْيِ سَدِيدِ
فَقَدْ ضَاقَتْ بِهَا حَيْلُ (الْيَهُودِ)
سَمِعْتُ أَنْيْنَ شَاكِ فِي (رَشِيدِ)
بِأَذْنَى النَّغْرِ أَوْ أَعْلَى الصَّعِيدِ
عَلَى الْأَيَّامِ عَائِثَةَ الْجُدُودِ
ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ
وِظْنِي فِيكَ بِالْأَمَلِ الْوَطِيدِ
وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟
أَتَى فِي ثَوْبٍ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟

(١٢) تَحِيَّةُ الْعَامِ الْهَجَرِيِّ (سنة ١٣٢٧هـ - يناير سنة ١٩٠٩م)

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ
تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا
وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ
وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَ مُحَجَّلًا
وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى
يُمَاشِيهِ جِبْرِيلٌ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ
بِإِسْرَافِهِ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ سَاطِعُ
فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ

هَلَالَ رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهَا تَتَكَرَّرُ
وُغَرَّتِهِ وَالنَّاضِرِينَ مُبَشِّرُ
بِهِ تَوَجَّحَ التَّارِيخُ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ
يَحْفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
مَلَائِكَةٍ تَرعى خُطَاهُ وَتَخْفِرُ
هُدًى، وَيُبَيِّنُهَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ
وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ

مَضَى الْعَامُ مَيِّمُونَ الشُّهُورَ مُبَارِكًا
مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ
وإن قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابَهُمْ
إِذَا قَيِّسَ إِحْسَانُ امْرِئٍ بِإِسَاءَةٍ
ففيه أَفَاقُ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ
وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ
سَلُّوا (التُّرْكُ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مُنَى
وإن لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَّازِي) وَ(أَنُورُ)
تَوَاصَوْا بِصَبْرٍ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْحِجَابِ
فَسَادُوا وَشَادُوا لِلْهَلَالِ مَنَازِلًا
تَجَلَّى بِهَا (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِوَجْهِهِ
سَلَامٌ عَلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) وَجَيْشِهِ
سَلُّوا (الْفُرْسُ) عَنْ ذِكْرِ أَيَادِيهِ عَنْهُمْ
جَلَا لَهُمْ وَجْهَ الْحَيَاةِ فَشَاقَهُمْ
يُنَادُونَ أَنْ مُنَى عَلَيْنَا بِنَظَرَةٍ
كَلَانَا مَشُوقٌ وَالسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ
أَطْلَى عَلَيْنَا لَا تَخَافِي فَإِنَّا
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أُمَّةَ (الْفُرْسِ) إِنَّكُمْ
وَلَا أَقْرَى (الشَّاهُ) السَّلَامَ فَإِنَّهُ
وَفِيهِ هَوَى (عَبْدُ الْعَزِيزِ) وَعَرْشُهُ
وَلَا عَجَبُ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلِّكٍ
فَأَلْقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيزِ) بِتَاجِهِ
وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ
وَفِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ شُهُورُهُ
أَقَامَ بِهَا وَالْعُودُ رِيَّانٌ أَخْضَرُ
وَعَوَّذَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَامِعٍ
وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ

تَعَدَّدَ آثَارُ لَهُ وَتَسَطَّرَ
هَنَاتٍ فَطْبَعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ
مُجِيبٌ: لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَاَنْظُرُوا
فَأَرْبَى عَلَيْهَا؛ فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ
عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْصُرُ
لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ
وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرِوَا
فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَّازِي) وَ(أَنُورُ)
سُيُوفًا وَجَدُّوا جَدُّهُمْ وَتَدَبَّرُوا
عَلَى هَامِهَا سَعْدُ الْكَوَاكِبِ يُنْتَرُ
عَلَى شَعْبِهِ وَالشَّاهُ خَزْيَانٌ يَنْظُرُ
وَأَمَّتِهِ مَا قَامَ فِي الشَّرْقِ مِنْبَرُ
فَقَدْ كَانَ فِيهِ (الْفُرْسُ) عُمِيًّا فَابْصُرُوا
فَبَاتُوا عَلَى أَبْوَابِهَا وَتَجَمَّهَرُوا
وَأَحْيَى قُلُوبًا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ
إِلَى الْوَصْلِ لَوْلَا ذَلِكَ الْمُتَغَشِّمُ
بِسِرِّكَ أَوْفَى مِنْهُ حَوْلًا وَأَقْدَرُ
خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيُوا كِرَامًا وَتَفْخَرُوا
يُرِيقُ دِمَاءَ الْمُصْلِحِينَ وَيَهْدُرُ
وَأَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْأَمْرُ مُدْبِرُ
قَوَائِمُهُ عُودٌ وَدُفٌّ وَمِرْزَهَرُ
وَمَرٌّ عَلَى أَدْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ
عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاكِشُ) تَتَخَضَّرُ
وَأَيَّامُهُ بِالسَّعْدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ
وَفَارَقَهَا وَالْعُودُ فَيَنَانٌ مُثْمِرُ
إِذَا مَا رَمَا (إِدُورْدُ) أَوْ رَاشَ (قَبْصَرُ)
أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ

فَتَجْرِي إِلَى الْعُلِيَاءِ وَالْمَجْدِ شَوْطَهَا
 وفيه بَدَتْ فِي أَفْقٍ (جَاوَةً) لَمْعَةً
 فَيَا لَيْتَهُ أُولَى (الْجَزَائِرِ) مِنْهُ
 وَفِي (تُونِسَ) الْحَضْرَاءِ يَا لَيْتَهُ بَنَى
 وفيه سَرَتْ فِي (مِصْرَ) رَوْحٌ جَدِيدَةٌ
 خَبَتْ زَمَنًا حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّهَا
 تَصْدَى فَأَوْرَاهَا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَرَى
 مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يَا نَيْلُ وَانْقَضَى
 وَقَدْ كَانَ «مُرْفِين» الدَّهَاءِ مُحَدَّرًا
 شَعَرْنَا بِحَاجَاتِ الْحَيَاةِ فَإِنْ وَنَتْ
 شَعَرْنَا وَأَحْسَسْنَا وَبَاتَتْ نَفُوسُنَا
 إِذَا اللَّهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرُكُوا غَدًا
 رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنْ بَلَدَكُمْ
 عَلَيْكُمْ حَقُوقٌ لِلْبَلَادِ أَجَلُهَا
 قُصَارَى مُنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ
 فَكُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ أَعِزَّةً
 وَيَا طَالِبِي الدُّسْتُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ، فَإِنِّي
 فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا صَوَابًا، فَإِنِّي
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ
 لَقَدْ ظَفَرَ الْأَتْرَاكُ عَدْلًا بِسُؤْلِهِمْ

وَيُخَصِّبُ فِيهَا كُلَّ جَذْبٍ وَيَنْضُرُ
 أَضَاءَتْ لِأَهْلِيهَا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا
 تَفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقَيُودُ وَتُكْسَرُ
 لَهُ أَثَرًا فِي لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذَكِّرُ
 مُبَارَكَةً مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ
 تَجَافَتْ عَنِ الْإِيرَاءِ لَوْلَا (كُرُومَرُ)
 سَبِيلًا إِلَى إِخْمَادِهَا وَهِيَ تَزْفِرُ
 فِي (مِصْرَ) أَيْقَاضُ عَلَى (مِصْرَ) تَسْهَرُ
 فَأَصْبَحَ فِي أَغْصَابِنَا يَتَخَدَّرُ
 عَزَائِمُنَا عَنْ نَيْلِهَا كَيْفَ نُعْذِرُ؟
 مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا فِي ذَرَا الْعِزِّ تَسْخَرُ
 إِلَى الْمَوْتِ قَهَّارٌ وَلَا مُتَجَبَّرُ
 إِلَى قَادَةِ تَبْنِي وَشَعْبٍ يُعَمَّرُ
 إِلَى عَالِمٍ يَدْعُو وَدَاعٍ يُذَكِّرُ
 إِلَى عَالِمٍ يَذْرِي وَعِلْمٍ يُقَرِّرُ
 إِلَى حِكْمَةٍ تُمْلَى وَكُفٍّ تَحْرُرُ
 إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النِّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا
 يَمْرُ مُرُورِ الْأَمْسِ وَالْعَيْشِ أَغْبِرُ
 تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
 تَعْهَدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
 يَدًا تَبْتَنِي مَجْدًا وَرَأْسًا يُفَكِّرُ
 وَصُونُوا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرُّوا
 تَبَيَّتُوا عَلَى يَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَتَخَطَّرُ
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوُّرُوا
 وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصَرُ
 وَنَحْنُ عَلَى الْآثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ

هُم لَهِمُ الْعَامِّ الْقَدِيمِ مُقَدَّرٌ وَنَحْنُ لَنَا الْعَامِّ الْجَدِيدِ مُقَدَّرٌ
ثِقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَذْرَى وَأَخْبَرُ
فَلا زالَ مَحْرُوسَ الْأَرْيَكَةِ جالِسا عَلَى عَرْشِ (وادي النّيل) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١٣) الانقلاب العثماني (نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩م)

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس

كَيْفَ أُمْسَيْتَ يَا بَنَ (عَبْدِ الْمَجِيدِ)
وَمُجِيعَ الْجُنُودِ تَحْتَ الْبُنُودِ
بِتْ أَبْكِي عَلَيْكَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ)؟
فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ
مَهْ أَنْ يَشْمَتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ
دُ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) رَهْنُ الْقَيْودِ
فِي كِبَارِ الرِّجَالِ أَهْلُ الْخُلُودِ
صَفَحَاتُ مَا بَيْنَ بَيْضِ وَسُودِ
لَوْ يُطِيقُونَ طُمَسَ خَطِّ الْحَدِيدِ
هَ باقٍ إِنْ ضَاعَ عِنْدَ الْعَبِيدِ
خَ وَلَا تُرْهِقُوهُ بِالتَّهْدِيدِ
لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
بِاسْمِهِ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْوُجُودِ
عِي (لِعَبْدِ الْحَمِيدِ) بِالتَّأْيِيدِ
نَا بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَالتَّوْحِيدِ
إِنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحَقُودِ
فَعْدَا الْيَوْمَ أَلْفُ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)
بِأَسِيرٍ فِي (سَالْنِيكَ) جَدِيدِ
صِمَكِ إِعْدَادُ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ

لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ جُدُودِ
مُشْبِعِ الْحُوتِ مِنْ لُحُومِ الْبَرَايَا
كَنْتُ أَبْكِي بِالْأَمْسِ مِنْكَ فَمَالِي
فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى
شَمِتُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَمِّ
أَنْتَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) وَالتَّاجُ مَعْقُودِ
خَالِدٌ أَنْتَ رَغَمَ أَنْفِ اللَّيَالِي
لَكَ فِي الدَّهْرِ — وَالْكَمَالُ مُحَالٌ —
حَاوَلُوا طُمَسَ مَا صَنَعْتَ وَوَدُّوا
ذَاكَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) نُحْرَكَ عِنْدَ اللَّهِ
أَكْرِمُوهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الشَّيْءِ
لَا تَخَافُوا أَذَاهُ فَالْشَّيْخُ هَاوِ
وَلِيَ الْأَمْرِ ثُلُثُ قَرْنٍ يُنَادِي
كَلِّمْنَا قَامَتِ الصَّلَاةُ دَعَى الدَّاءِ
فَاسْمُ هَذَا الْأَسِيرِ قَدْ كَانَ مَقْرُودِ
بِتْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَقُولُوا
كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِالْأَمْسِ فَرْدًا
يَا أَسِيرًا فِي (سَنْتِ هِيلِينَ) رَحَّبِ
قُلْ لَهُ كَيْفَ زَالَ مُلْكُكَ لَمْ يَغْ

لَمْ تَصْنُكَ الْجُنُودُ تَفْدِيكَ بِالْأَزْ
قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتُ؟ كَيْفَ امْتَلَكْتَ الـ
فَتَلَلْتُ الْعُرُوشَ عَرْشًا فَعَرْشًا
كَلَّمَا نِلْتُ غَايَةً لَمْ تَنْلُهَا
ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَلْتُ
قُلْ لَهُ: جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مُدَّ
أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا
وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشْقَى
كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشْقَى
كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ بَلِيلٍ
حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلَامَ وَيَخْشَى
نَفَقٌ تَحْتَ طَابِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى
يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلَمُّسِ ذَاكَ الـ
أَصْحِيحُ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ
أَنَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ
إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى
أَصْحِيحُ بَكَيْتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدَ
وَنَسِيتَ الْأَبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالسُّؤْ
مَا عَهْدُنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ
عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ الـ
غَسَلَ الدَّمْعُ عَنْكَ حَوْبَةً مَاضِيَةً
شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا
دَمْعُكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمِّ
كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلُ أَمْرًا
خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى
ضَمَّ مَقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى
حَيَّ عَهْدَ الرَّشَادِ يَا شَرْقُ وَابْلُغْ

وَاحِ وَالْمَالِ يَا غَرَامَ الْجُنُودِ
أَرْضُ؟ كَيْفَ انْفَرَدْتَ بِالتَّمْجِيدِ؟
وَصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ
هَمَّةُ الدَّهْرِ قَلْتُ: هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟
حَتَّى بَطُرْفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ
لَكَ لَغَيْرِ الْمُهَيِّمِينَ الْمَعْبُودِ
مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْمُودِ
لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَا يَزِيدَ)
مِنْهُ فِي الْأَسْرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ الْهُجُودِ
خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءَ الْوَلِيدِ
فِي تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكُنُودِ
بَابِ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
مَا سَمِعْنَا مِنَ الرُّوَاةِ الشُّهُودِ
عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالِ (الْوَلِيدِ)؟
يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرُّعْدِيدِ؟
دُدَّ وَالْعِزُّ يَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
عَلَّهَا نَزْوَةُ الْفُؤَادِ الْجَلِيدِ
حُمْلِكَ أَوْ ذِكْرَةُ لَتَلِكَ الْعُھُودِ
لَكَ وَوَقَاكَ شَرُّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
سِ مَطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمَسُودِ
مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ
عَنْ صَغَارٍ وَمَاتَ مَوْتُ الْأَسُودِ
دُونَ ذُلِّ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
مَا تَمَنَّيْتُ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ

كَ فَأَعْظَمَ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
سَيْفُ (عُثْمَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
فَقَيْنِ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْمَجِيدِ
ضِ سُجُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
خَيْرُ فَاَلٍ بِرَدِّ عَهْدِ (الرَّشِيدِ)

قَدْ تَوَلَّى (مَحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُلْكَ
وَتَجَلَّى فِي مَهْرَجَانِ تَجَلَّى
وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ
طَاطِئِي لِلْجَلَالِ يَا أُمَمَ الْأَرْ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشَادِ)

(١٤) عيد الدستور العثماني

أنشدتها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّلِيلَ سَاحِبُهُ
مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ
وَحَاحَاهُ — بَعْدَ الْخِلَافِ — وَرَاهِبُهُ
فَإِنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ
حَمَّتْهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَالِلَهُ طَالِبُهُ
إِلَى الْحَقِّ لِبَاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ
وَإِنْ هِيَ لَاقَاهَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
مَخَالِبُهَا فِيهِ وَتَنْبُو مَخَالِبُهُ
وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ:
مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ
عَلَى مَتْنِهِ بُرْجٌ مَشِيدٌ يُدَاعِبُهُ
وَلَا شَبَعٌ أَوْ يَرْجِعُ الْحَقَّ غَاصِبُهُ
(بِيلْدَرْ) وَأَحْمَدُ فِي الْوَعَى مَنْ تُصَاجِبُهُ
وَجِيشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظُمَايَ قَوَاضِبُهُ
رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ

أَجَلْ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاكِبُهُ
هَنِيئًا لَهُمْ فَالْكُونُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ
رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلُ شَمْلَهُ
تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهِلَالِ إِمَامُهُ
خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ
وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّابَّ الَّذِي ذَوَى
فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَمَا
إِذَا (شَوَّكْتُ الْفَارُوقِ) قَامَ مَنَادِيًا
ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى
يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمَنُونِ فَتَلْتَقِي
رَوَتْ قَوْلَ (بِشَّارِ) فَثَارَتْ وَأَقْسَمَتْ
(إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ
وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَابِحٍ
يَصِيحُ بِهِ: لَا رِيَّ أَوْ نَبْلُغِ الْمُنَى
هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَاتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبِطًا
رِجَالُ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى نَفُوسُهُمْ
صَوَالِحُهُ سُمُرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ

بحارٌ وأمضى الله ما هو كاتبه
ولو أن ذا القرنين فيها يُنَاصِبُه
وقد زال عنه الملكُ واندكَّ جانبُه
وَقَرَّ - ولم يَخْشِ المَعَرَّةَ - كاتبه
ودلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُه
بلاءَ قضاءِ الله فيمَن يُحَارِبُه
وقامت على البيتِ (الحميدي) نوائِبُه
ولا عَصَمَتِ (عبد الحميد) تجارِبُه
دنانيِرُه والأمرُ بالأمير حازِبُه
ولا نَفَقُ في الأرضِ جَمُّ مَسَارِبُه
يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبَا فيوَاثِبُه
فلو مَسَّهُ طَيْفٌ لدارَتْ لوالِبُه
بسُورٍ من الأهوالِ لم يَنْجُ رَاكِبُه
وفي كلِّ مِفْتَاحٍ قضاءٌ يَراقِبُه
لَمَّا شَكَّ في (عبد الحميد) مُخَاطِبُه
تراءى بها أعطافُه ومناكِبُه
وتَخَدَعُ فيه الموتَ حينَ يُقَارِبُه
لِيَغْلِبَ مَوْتًا واحدًا عَزَّ غَالِبُه
عجائبُه؟ أو أحرَزْتَه غَرائبُه؟
فضاقت على شيخِ الملوكِ مَذهِبُه
وجرَّده من سَيْفِ (عثمان) واهِبُه
يُغَالِبُ زُكْرَى مُلْكِه وتُغَالِبُه
فكلُّ امرئٍ رهْنٌ بما هو كاسِبُه
فَرَدَّ لَهُمُ بِالْأَمْسِ ما أَنْتَ سَالِبُه
فلم يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجاذِبُه
وولَّتْ أفاعيه وماتت عَقارِبُه
لَجَرَحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نوائِبُه

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وَتَخَشَّعَتْ
وثُلَّتْ عُروُشٌ واستَقَرَّتْ مَمالِكُ
فَمَنْ لم يُشَاهِدْ (يَلْدِرَا) بعد رَبِّها
وَأَسْلَمَهُ أَحبابُه لِقَضائِه
وقلَّمتِ الأقدارُ أَظْفارَ بَطْشِه
فما شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ ولا رَأى
أَبِيحَ جِماها وانطوى مَجْدُ رَبِّها
ولم يُغْنِ عن (عبد الحميد) دَهاؤُه
ولم يَحْمِه حِصْنٌ ولم تَرْمِ دَوْنَه
لم يُخَفِه عن أَعْيُنِ الحَقِّ مِخْدَعُ
أَقامَ عليه مَهْلِكًا عندَ مَهْلِكِ
تحاماهُ حتى الوَهْمُ خَوْفَ اغْتِيالِه
وَأَسْرَفَ في حُبِّ الحِياةِ فحاطِها
ففي كلِّ قَفَلٍ لِلْمَنِيَةِ مَكَمَّنُ
وفي كلِّ رُكْنٍ صَوْرَةٌ لو تَكَلَّمَتْ
تماثيلُ إِيهامٍ أُنِيَمَتْ وأَقْعِدَتْ
تُمَثِّلُه في نَوْمِه وجُلوسِه
أَقامَ عليه أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبِ
سَلُوهُ أَلْعَنَتْ عَنْه في يومِ خَلْعِه
وقد نزلَ المِقدارُ بِالْأَمْرِ صَادِعًا
وأَخْرَجَه من (يَلْدِرِ) رَبُّ (يَلْدِرِ)
وَأَصْبَحَ في مَنفاهُ والجَيْشُ دَوْنَه
يُنَادِيهِ صَوْتُ الحَقِّ: ذُقْ ما أَذَقْتَهُمْ
هُمُ مَنْحُوكِ اليَوْمِ ما أَنْتَ مُشْتَهِ
ودَعْ عَنْكَ ما أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حازِمًا
مَضَى عَهْدُ الاستِبدادِ واندكَّ صَرْحُه
لَكَ اللهُ يا (تَمُوزُ) إِنَّكَ بَلَسَمُ

فكم رُعتَ جبَّارًا وأزهقتَ ظالمًا
فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ
تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا
ففي الْغَرْبِ عَيْدٌ يَنْظُمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ
وفي الشَّرْقِ عَيْدٌ لَمْ يَزِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ
يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرُبُّهُ
لَتَهْنَأُ — أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ — مُحَمَّدًا
سَتَمَلِكُ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ سَفِينُهُ
مَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوَّرُهُ
وَأُنْصَفَتْ مَظْلُومًا تَوَالَتْ مَصَائِبُهُ
أَوَائِلُهُ مَيِّمُونَ وَعَوَاقِبُهُ
تَجَلَّى هِلَالُ الشَّهْرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
فَتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَانِبُهُ
تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاكِبُهُ
تُطِيفُ بِهِمُ الْآوَةُ وَمَنَاقِبُهُ
خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
كَمَا مَلَكَتْ شُمَّ الْجِبَالِ كَتَائِبُهُ
رَكَائِبُهُ مَنُصُورَةٌ وَمَرَائِبُهُ

(١٥) إلى البرنس حسين كامل باشا (نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩م)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، عبّر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ
عَفَا الْمَحْزُونُ وَالشَاكِي وَأَغْفَى
وَأَنْتَ تُقَلِّبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا
تَحَدَّرَتِ الْمَدَامِعُ مِنْكَ حَتَّى
وَضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الْحَشَايَا
تَبَيَّتْ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا
وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى
بَرِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسٍ
وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَاكَ سَيْفٌ
أَيَجْمَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٍ مُضِرٍ
وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مُضِرٍ
عَدِمْتُ يِرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي
وَمَا أَنَا وَالْغَرَامُ — وَشَابَ رَأْسِي
أَهْمٌ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
أَخُو الْبَلْوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
وَأَوْنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقَامُ
تَعَلَّمَ مِنْ مُحَاجِرِكَ الْغَمَامُ
وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلَامُ
وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَنَقَهَا الْمَنَامُ
أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
مَنْ الذُّكْرَى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
عَلَى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الْحِمَامُ
بُكَاءُ الطِّفْلِ أَزْهَقَهُ الْفِطَامُ
وَمِصْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي تُضَامُ؟
هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
وَعَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجُسَامُ

وَرَبَّانِي الَّذِي رَبَّى (لَبِيدًا)
لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لَغَيْرِ مِصْرٍ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ
فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا
أَرَى شَعْبًا بِمَذْرَجَةِ الْعَوَادِي
إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسَاءِ عَامٌ
سَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى
قَدْ اسْتَعْصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مَنَّا
هَلَاكُ الْفَرْدِ مَنْشَوُهُ تَوَانٍ
وإنَّا قَدْ وَنِينَا وَانْقَسَمْنَا
فَسَاءَ مُقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرٍ)
فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكْتُ عَلَيْنَا
(حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ) أَنْتَ لَهَا فَنِيَّةٌ
وَكُنْ بِأَبِيكَ لَابِنِ أَخِيكَ عَوْنًا
أَفْضُ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا
وَعَلَّمَهُمْ مُصَادِمَةَ الْعَوَادِي
فَفِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ
وَفِي حِزْبِ الشَّامِلِ لَدَيْكَ أَسَدٌ
فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتُكُكُمْ
فَمَا سَادُوا بِمُعْجِزَةٍ عَلَيْنَا
فَلَا تَثِقُوا بِوَعْدِ الْقَوْمِ يَوْمًا
وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي
فَكَمْ ضَجَّكَ الْعَمِيدُ عَلَى إِحَانَا
أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمَرَ فَوْضَى
فَأَسْعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَاعْلَمْ
وَلَيْسَ الْعِلْمُ يُمَسِّكُنَا وَحِيدًا

فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ
وَمَالِي دُونَهَا أَمْلٌ يُرَامُ
تَصُولُ بِهَا الْفِرَاعِنَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
وَبَاتَتْ مِصْرُ فِيهِ، فَهَلْ أَلَمُ؟
تَمَخَّخَ عَظْمُهُ دَاءُ عُقَامُ
أَطْلَ عَلَيْهِ بِالْبَاسَاءِ عَامُ
تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الزَّحَامُ
كَمَا اسْتَعْصَى عَلَى الطَّبِّ الْجَذَامُ
وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَوُهُ انْقِسَامُ
فَلَا سَعْيٌ هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
وَطَابَ لَغِيرِنَا فِيهَا الْمَقَامُ
مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرُنَا نِيَامُ
رِجَالًا عَنْ طِلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نَعْمَ الْحَسَامُ
فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الْخِصَامُ
فَمِثْلُكَ لَا يَرَوْعُهُ الصَّدَامُ
وَإِنْ قَلُّوا فَإِنَّهُمْ كِرَامُ
كُفَاةٌ لَا يَطِيبُ لَهَا انْهَزَامُ
مَنْ النُّهْزَاتِ وَالْفُرْصِ اغْتِنَامُ
وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ انْضِمَامُ
فَإِنَّ سَحَابَ سَاسَتِهِمْ جَهَامُ
أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ زِمَامُ
وَعَرَّ سِرَاتِنَا مِنْهُ ابْتِسَامُ
وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْفَوْضَى لِزَامُ
بِأَنَّ النِّقْصَ يَعْقُبُهُ التَّمَامُ
إِذَا لَمْ يَنْصُرِ الْعِلْمَ اعْتِزَامُ

وإن لم يُدرك الدُستورُ (مُضراً)
 حَمُونَا وَرَدَ ماءَ (النَّيْلِ) عَذْبًا
 وما الموتُ الزُّوَامُ إذا عَقَلْنَا
 لقد سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنَا فَرَاخَتْ
 فِيا وَيْلَ القَنَاةِ إذا احتواها
 لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا حُطَامًا
 وقد كُنَّا جَعَلْنَاهَا زَمَامًا
 (فِيا قَصْرَ الدُّبَارَةِ) لستُ أدري
 أَجِبْنَا، هل يُرَادُ بنا وَرَاءُ
 وِيا حِزْبَ اليمِينِ إِلَيْكَ عَنَّا
 وِيا حِزْبَ الشَّمَالِ عَلَيْكَ مِنَّا
 فما لحياتها أَبَدًا قِوَامُ
 وقالوا: إِنَّه مَوْتُ زُوَامُ
 سوى الشَّرَكَاتِ حَلَّ لها الحَرَامُ
 بَثْرَوَتِنَا وَأَوَّلُهَا (التَّرَامُ)
 (بَنُو التَّامِيزِ) وانحَسَرَ اللَّثَامُ
 بأيدينا وقد عَزَّ الحُطَامُ
 فوا لَهْفِي إذا قُطِعَ الزَّمَامُ
 أَحْرَبُ فِي جِرَابِكَ أَمْ سَلَامُ
 فَنَقُضِي أَمْ يُرَادُ بنا أَمَامُ
 لقد طَاشَتْ نِبَالُكَ والسَّهَامُ
 وَمِنْ أبنَاءِ نَجْدَتِكَ السَّلَامُ

(١٦) تحية العام الهجري (سنة ١٣٢٨هـ - يناير سنة ١٩١٠م)

لي فيكَ حينَ بدا سَنَاكَ وأَشْرَقَا
 أَشْرَقَ عَلَيْنَا بالسُّعُودِ ولا تَكُنْ
 قد كان جَرَّاحَ النُّفُوسِ فداوها
 هَلَلْتُ حينَ لَمَحَتْ نورَ جَبِينِهِ
 وهَزَزْتُهُ بِقَصِيدَةٍ لو أَنَّهَا
 فَنَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ
 لو كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُحَبِّبُهُ لَنَا
 أُولَى الأعاجِمِ مِنَّةً مَذْكُورَةً
 وَتَغَيَّرَتْ فِيهِ الخُطُوبُ بِفَارِسِ
 وأَدَالَ من (عبد الحميد) لَشُعْبِهِ
 أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا من جُنْدِهِ
 وَرَمَى على أَرْضِ الكِنَانَةِ جِزْمَهُ
 حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا
 أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا
 كَأَخِيكَ مَشْتُومَ المَنَازِلِ أَخْرَقَا
 مِمَّا بها وَكُنَ الطَّبِيبُ مُوَفَّقَا
 وَرَجَوْتُ فِيهِ الخَيْرَ حينَ تَأَلَّقَا
 تُلَيْتُ على الصَّخْرِ الأصَمِّ لِأَعْدَقَا
 مِصْرًا وَأَسْرَفَ فِي النُّحُوسِ وَأَغْرَقَا
 لِسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَنْ يُمَحِّقَا
 وَأَعَادَ لِلأَثَرِكِ ذَاكَ الرُّوْنَقَا
 حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يَخْشَى البَيْدَقَا
 فَهَوَى وَحَاوَلَ أَنْ يَعُودَ فَأَخْفَقَا
 وَلَقَدْ يَكُونُ وما يُبَالِي الفَيْلَقَا
 بِالنَّازِلَاتِ السُّودِ حَتَّى أَرْهَقَا
 وَلَوْ أَنَّهَا أَبْقَتْ عَلَيْهِ لَأَوْرَقَا

فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عَنُودَهُ
وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (القَنَاةِ) حَدِيْعَهُ
إِنْ الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى
كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى أَلَمِنَا
فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمْعَ فَاسْتَعَصَى بَكَتْ
كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْهَمًا
كَانَتْ صِمَامًا لِلنَّفُوسِ إِذَا غَلَتْ
كَمْ نَفَسْتُ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ وَاجِدٍ
مَالِي أَنْوَحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِعًا
قَصُّوا حَوَاشِيهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
وَأَتَوْا بِحَاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهَا بِمَا
أَهْلًا بِنَايَةِ الْبِلَادِ وَمَرْحَبًا
لَا تَيَاسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ
مَدَّتْ لَهُ الْأَمَالُ مِنْ أَفْلَاكِهَا
فَتَجَشَّمُوا لِلْمَجْدِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
مَنْ رَامَ وَضَلَ الشَّمْسَ حَاكَ خُبُوطَهَا
عَارٌّ عَلَى ابْنِ النَّيْلِ سَبَاقِ الْوَرَى
أَوْ كُلَّمَا قَالُوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ
فَتَدَفَّقُوا حُجْبًا وَخُوطُوا نَيْلَكُمْ
حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ
هَزُّوا مَغَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهَمِ
فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعُلَا
ثُمَّ اسْتَمِدُّوا مِنْهُ كُلُّ قَوَائِمٍ
وَابْنُوا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ
وَزَنُوا الْكَلَامَ وَسَدَّدُوهُ فَإِنَّهُمْ
وَأَمَشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ
نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرْصَدُوا

وَمَشَى الْهَوَى بَيْنَ الرَّعِيَّةِ مُطْلَقًا
وَلَوْ أَنَّهَا تَمَّتْ لَتَمَّ بِهَا الشَّقَا
(مُصْرٍّ) وَمَا فِيهَا وَلَا تَنْطِقَا
صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
عَنَّا أَسَى حَتَّى تَغْصُ وَتَشْرَقَا
نَرْمِي بِهَا وَسَوَابِقًا يَوْمَ اللَّقَا
فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتُ أَنْ تَزْهَقَا
لَوْلَا الصَّمَامُ مِنَ الْأَسَى لَتَمَزَّقَا
مَاذَا أَلَمٌ بِهَا وَمَاذَا أَحْدَقَا؟
أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَصْعَقَا
يَثْنِي عَزَائِمَهَا فَكَانَتْ أَحْدَقَا
جَدَّدْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا
فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمَّ ارْتَقَى
خَيْطُ الرَّجَاءِ إِلَى الْعُلَا فَتَسَلَّقَا
إِنِّي رَأَيْتُ الْمَجْدَ صَعْبَ الْمُرْتَقَى
سَبَبًا إِلَى آمَالِهِ وَتَعَلَّقَا
— مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ — أَنْ يُسْبَقَا
لِعِبِّ الشَّقَاقِ بِجَمْعِنَا فَتَفَرَّقَا
فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَفَّقَا
فَتَأَنَّقُوا فِي سَلْبِنَا وَتَأَنَّقَا
يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
إِنَّ الْقَوِيَّ بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَّقَى
سُورًا وَخُطُوبًا مِنْ جِذَارِ خُنْدَقَا
خَبُّوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزْلَقَا
وَعَرَّ أَطَافَ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَّقَا
لِلسَّالِكِينَ بِكُلِّ فَجٍّ مَوْبِقَا

والمَوْتُ كُلُّ المَوْتِ أَلَا يُطْرَقَا
وَتَعَجَّلُوهَا بِالْعِزَائِمِ وَالرُّقْيَا
فُرْصَ الحَيَاةِ خَلِيقَةً أَنْ تُخْلَقَا
مَلِكًا بِأَمَّتِهِ أَبَرُّ وَأَرْفَقَا
تَحْتَ الهِلَالِ يَزِينُ ذَاكَ المَفْرِقَا

المَوْتُ فِي غِشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ
فَتَحَيَّنُوا فُرْصَ الحَيَاةِ كَثِيرَةً
أَوْ فَاخْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا
وَتَفَيَّئُوا ظِلَّ الأَرِيكَةِ وَاقْصِدُوا
لَا زَالَ تَاوَجُ المُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ

(١٧) تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم بتياترو عباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠م برئاسة رءوف باشا
المعتمد العثماني

بَالَّذِي أَجْرَاكَ يَا رِيحَ الحُزَامِي
وَاقْطِفي من كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ
وَانْشِري رِيَّاكَ فِي ذَاكَ الحِمَى
مَلِكٌ لِلشَّرْقِ فِي أَيَّامِهِ
أَيُّهَا القَائِمُ بالأَمْرِ لَقَدْ
جَرَدَ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأْيٍ إِذَا
وَابَعَثَ الأُسْطُولَ تَرْمِي دُونَهُ
يَكْلَا الشَّرْقَ وَيَرَعَى بُقْعَةً
وَتُغَوَّرَا هِيَ أَبْهَى مَنَظَرًا
خَصَّهَا اللهُ بِأَفْقٍ مُشْرِقٍ
حَيٍّ يَا مَشْرِقُ أُسْطُولَ الأَلَى
مَلَكُوا البَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسْغَ
بَجَوَارٍ مُنْشَأَتٍ كَالدُّمَى
كَلَّمَا أَوْفَتَ عَلَى أَمْوَاجِهِ
كَانَ بِالبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا
فَهِيَ فِي السَّلْمِ جَوَارٍ تُجْتَلَى
وَهِيَ فِي الحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِحُ

بَلَّغِي البُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا
وَاجْعَلِيهَا لَتَحَايَانَا كِمَامَا
وَالثَّمِي الأَرْضَ إِذَا جَنَّتِ الإِمَامَا
هِمَّةُ الغَرْبِ نُهوضًا وَاعْتِزَامَا
قُمْتَ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتِ القِيَامَا
سَلِّ مِنْ غَمْدِ النُّهَى فَلِ الحُسَامَا
قُوَّةُ اللهِ وَرَاءَ وَأَمَامَا
رَفَعَ اللهُ بِهَا (البَيْتَ الحَرَامَا)
مَنْ تُغَوِّرَ الغِيْدَ يُبْدِينَ ابْتِسَامَا
ضَمَّ فِي الآلَاءِ (مِصْرًا) وَ(الشَّامَا)
ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا
مَجَدَّهُمْ نَالُوا مِنَ البَحْرِ المَرَامَا
أَيْنَمَا سَارَتْ صَبَا البَحْرِ وَهَامَا
سَجَدَ المَوْجُ خُشوعًا وَاحْتِشَامَا
وَعَجِيبٌ يَشْتَكِي البَحْرُ الأَوَامَا
تَبْهَرُ العَيْنُ رُوءَاءَ وَنِظَامَا
يَدْعُ الحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْرَاجِهَا
مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِي مَوْقِعَا
وهي بركانٌ إذا ما هَاجَها
جَبَلَ النَّارِ لَقَدْ رُغِتَ الْوَرَى
أَنْتَ فِي الْبَرِّ بَلَاءٌ فَإِذَا
فَاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا رَاسِيَا
حَمَلْتَ حَرْبًا فَكَانَتْ حِقْبَةً
خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
بُعْثَ الْمَشْرِقِ مِنْ مَرْقِدِهِ
أَيُّهَا الشَّرْقِيُّ شَمِّرْ لَا تَنْمِ
وَامْتِطِ الْعَزَمَ جَوَادًا لِلْعُلَا
وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مُنَى
لَا تَضِقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعُدَا
سَابِقِ الْغَرْبِيِّ وَاسْبِقْ وَاعْتَصِمْ
جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ
طَلَبُوا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا
وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ
(قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)
أُخْرِجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَّهُ
قُوَّةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِينَا قُوَى
أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرٍ حِقْدَهُ
أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا
أَنْ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ لَنَا

إِثْرَ عَفْرِيَّتِ مِنَ الْجِنِّ تَرَامِي
لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُرَامَا
هَائِجُ الشَّرِّ عِدَاءٌ وَخِصَامَا
أَنْتَ فِي حَالِيكَ لَا تَرَعَى ذِمَامَا
رَكِبَ الْبَحْرَ غَدَا مَوْتًا رُؤَامَا
وَاتَّقُوا الطَّوْدَ إِذَا مَا الطَّوْدُ عَامَا
نُذْرًا لِلْمَوْتِ تَجْتَاحُ الْأَنَامَا
رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامَا
بعد حين، جَلَّ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَا
وَانْفُضِ الْعَجْزُ؛ فَإِنَّ الْجِدَّ قَامَا
وَاجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزَمِ زِمَامَا
فَارْكَبِ الْبَرَقَ وَلَا تَرْضُ الْغِمَامَا
رُبَّ ذِي لُبٍّ عَنِ الْحَقِّ تَعَامِي
بِالْمُرُوءَاتِ وَبِالْبَاسِ اعْتِصَامَا
وَاجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالتَّقْوَى لِزَامَا
قَادِرِ الْمَوْتِ وَأَنْ يَتَنَوَّاهُ الْجَمَامَا
فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكُونِ وَسَامِي
سِرَّهُ بَزًّا وَلَمْ يَخْشَ انْتِقَامَا
وَأَفِيضِي فِي بَنِي الشَّرِّ الْوِثَامَا
امْلِئِي التَّارِيخَ وَالْدُّنْيَا كَلَامَا
خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
فِي الْوَعَى أُنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

(١٨) حرب طرابلس (في سنة ١٩١٢م)

طَمَحُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا فَاسْتَفِقْ يَا شَرْقُ وَاحْذَرْ أَنْ تَنَامَا

كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا
مِنْ دَمِ الْقَتْلَى حَلَالًا وَحَرَامَا
فَاعْلُوا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا
بذَوَاتِ الْخِذْرِ طَاحُوا بِالْبَيْتَامِي
يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا
حَرَمْتُ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا
فَسَلُوهُ بَارَكَ الْقَوْمُ عَلامَا؟
أَمْرًا يُلْقِي عَلَى الْأَرْضِ سَلَامَا؟
وَجَلُّوا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ التِّهَامَا
يُطْلِقُ الرَّاجِلُ فِي الْجَوِّ الْحَمَامَا
يَحْمِلُ الْأَنْبَاءَ شَوْمًا وَانْهَزَامَا
فَدَعَوْهُمْ يَمَلُّوا الدُّنْيَا كَلَامَا
أَيْنَمَا حَلُّوا هَلَاكًا وَاحْتِرَامَا
أَذْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْجَرِيِّ النَّعَامَا
يُسْلِمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقِي الزَّمَامَا
مِنَّةً نَذَكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا
ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَفْرِي الْعِظَامَا
وَرُبَانَا إِنَّهَا تَشْفِي السَّقَامَا
يُشْبِعُ الْإِيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي
مِنْ بَنِي (التَّلْيَانِ) أَمْ تَزْعَى سَوَامَا
لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَاعْتِصَامَا
نَارَ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضَرَامَا
نَفَضْتُ إِفْرِيقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا

وَاحْمِلِي أَيَّتُهَا الشَّمْسُ إِلَى
وَاشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا
مَادَتِ الْأَرْضُ بَنَا حِينَ انْتَشَتْ
عَجَزَ الطُّلِيَانُ عَنْ أَبْطَالِنَا
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمْنَى وَلَمْ
أُحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ
أَبْهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِيلُهُمْ
كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرْبِ لَنَا
فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دَمٍ
أَطْلَقُوا الْأَسْطُولَ فِي الْبَحْرِ كَمَا
فَمَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى
قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَانِهِمْ
أَعْلَنُوا الْحَرْبَ وَأَضْمَرْنَا لَهُمْ
خَبْرُوا (فَكُتُّورَ) عَنَّا أَنَّهُ
أَذْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا
لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَيْثُمَا
حَاتِمَ الطُّلِيَانِ قَدْ قَلَدْتَنَا
أَنْتِ أَهْدَيْتِ إِلَيْنَا عُدَّةً
وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ
أَكْثَرُوا النُّزْهَةَ فِي أَحْيَائِنَا
وَأَقِيمُوا كُلَّ عَامٍ مَوْسِمًا
لَسْتُ أَدْرِي بِتَّ تَزْعَى أُمَّةً
مَا لَهُمْ — وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ —
أَفْلَتُوا مِنْ نَارِ (فِيْزُوفَ) إِلَى
لَمْ يَكُنْ (فِيْزُوفَ) نَمَ عَنْهُمْ فَقَدْ

مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءً وَانْتِقَامًا
 آثَرُوا (فِيْزَوْفَ) وَاخْتَارُوا الْمَقَامَا
 تَنَكُّثُ الْعَهْدِ وَلَا تَرَعَى الدِّمَا
 أَوْ تَعَالِ أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 فِي (طَرَابُلُسَ) أَبَتْ إِلَّا انْقِسَامَا
 أَنْ يَرَى التَّاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 مُلْكُ (فُكْتُورَ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا
 قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوْ أَمَامَا
 يَحْسَبُ النَّزْهَةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامَا
 وَافْتِرَاءً وَاحْتِجَاجًا وَاحْتِكَامَا
 مِنْ جَمَى (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامَا
 يُزْعِجُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامَا
 هُوَّةً فِيهَا الْمَلَائِكُ تَرَامَى
 وَرَمَوْا فِي إِثْرِهِ الْمَجْدَ غَلَامَا
 تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
 تَعَشَّقُ الْمَجْدَ وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

فَهِيَ بُرْكَانُ لَهُمْ سَخَّرَهُ
 لَوْ دَرَوْا مَا خَبَأ الشَّرْقُ لَهُمْ
 تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَادِرَةٍ
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى
 لَوْ دَرَتْ (رُومَةُ) مَا قَدْ نَابَهَا
 وَأَبَى كُلُّ اشْتِرَاكِيٍّ بِهَا
 أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِينَا إِلَى
 أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا
 فَاعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ نِي مِرَّةٍ
 وَيَرَى الْفَتْحَ ادِّعَاءً بَاطِلًا
 أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ اقْتَرِبْ
 كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا
 عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى
 دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا
 فَاظْمِئْنِي أُمَمَ الشَّرْقِ وَلَا
 إِنَّ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْنَدَةً

(١٩) منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢م، وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي.

الجريح:

(لَيْلَايَ) مَا أَنَا حَيٌّ
 لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي
 يُرْجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ
 وَهَآنَا قَدْ قَضَيْتُ
 لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 شَفِيتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي

مَشَى إِلَيَّ مَشِيْتُ	(بيروت) لو أَنَّ خَصَمًا
لُدُسْتُهُ وَبَغَيْتُ	أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ
مُنَازِلُ مَا اتَّقَيْتُ	أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ
لو بَانَ لِي لَاشْتَفَيْتُ	لَكِنْ رَمَاكِ جَبَانُ
عَلَى الْحَيَاةِ بَكَيْتُ	(لَيْلَايَ) لَا تَحْسَبِينِي
مِنْ مَصْرَعِي إِنْ شَكُوْتُ	وَلَا تَظُنِّي شَكَاتِي
(بَيْرُوتُ) أَنِّي سَلَوْتُ	وَلَا يُخَيِّفُنِي ذِكْرِي
فِيهَا وَفِيكَ صَبَوْتُ	(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي
لَهُوًا وَفِيهَا جَرَيْتُ	جَرَزْتُ ذَيْلَ شَبَابِي
وَمِنْ هَوَاكِ انْتَشَيْتُ	فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا
وَعَذِبَ فِيكَ ارْتَوَيْتُ	وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا
وَلِي مِنَ الْعِزِّ بَيْتُ	فِيهَا (لِللَّيْلِ) كِنَاسُ
أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ	فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا
خَبَا فَمَا فِيهِ رَيْتُ	(لَيْلَى) سِرَاجُ حَيَاتِي
مَا مِنْ لَظَاهُنَّ فَوْتُ	قَدْ أَطْفَأْتُهُ كُرَاتُ
أَصْبَنَنِي فَتَوَيْتُ	رَمَى بِهِنَّ بُغَاةٌ

ليلي:

مِنْ الرَّدَى لَفَدَيْتُ	لو تُفْتَدَى بِحَيَاتِي
بِمُهِجَةٍ لَوْقَيْتُ	ولو وَقَاكَ وَفِيَّ
كَمَا نَوَيْتُ نَوَيْتُ	إِنْ عِشْتُ أَوْ مِتَّ إِنِّي

الجريح:

إِذَا الْجَمَامُ دَعَانِي	(لَيْلَايَ) عِشِي وَقَرِّي
مَعْدُودَةٌ بِالثَّوَانِي	(لَيْلَايَ) سَاعَاتُ عُمْرِي
تَفْرِي حُشَاشَةً فَانِي	فَكْغَكْفِي مِنْ دُمُوعٍ

وَمَهْدِي لِي قَبْرًا
ثُمَّ اَكْتُبِي فَوْقَ لَوْحٍ
هُنَا الَّذِي مَاتَ غَدْرًا
رَمْتُهُ أَيْدِي جُنَاةٍ
قُرْصَانٍ بَحْرٍ تَوَلَّوْا
لَمْ يَخْرُجُوا قَيْدَ شَبْرِ
وَلَمْ يُطِيقُوا ثَبَاتًا
فَشَمَّرُوا لِانْتِقَامٍ
وَسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومَا)
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغَاثٍ
لَوْ أَنَّهُمْ نَازَلُونَا
رَأَوْا طَرَابُلُسَ تَبَدُّو
يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعَاجِلْ
حَتَّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو
وَيَسْتَرِدُّ جَلالًا
وَلْيَعْلَمِ الْغَرْبُ أَنَّنَا
لَا نَرْضِي الْعَيْشَ يَجْرِي
أَرَاهُمْ أَنْزَلُونَا
وَأَخْرَجُونَا جَمِيعًا
وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِمْ
فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا
لَهُمْ جَدْدٌ قَوَانَا
فَنَحْنُ فِي كُلِّ صُقْعٍ
يَا قَوْمَ إِنْجِيلِ (عِيسَى)
لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا
عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي:
هُنَا فَتَى الْفَتَيَانِ
مِنْ جِيْرَةِ النَّيْرَانِ
مِنْ حَوْمَةِ الْمَيْدَانِ
عَنْ مَسْبَحِ الْحَيْتَانِ
فِي أَوْجِهِ الْفُرْسَانِ
مِنْ غَافِلٍ فِي أَمَانٍ
بِالْكَيدِ لِلْجِيرَانِ
فَرُّوا مِنَ الْعَقْبَانِ
فِي الشَّامِ يَوْمَ طِعَانٍ
لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
بِالْمَوْتِ قَبْلَ الْوَانِ
رَغَمَ اعْتِدَاءِ الزَّمَانِ
لَهُ وَرَفْعَةِ شَانِ
كَأُمَّةِ (الْيَابَانِ)
فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
مَنْازِلَ الْحَيَوَانِ
عَنْ رُثْبَةِ الْإِنْسَانِ
طِبَائِعُ الْعُمُرَانِ
وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ
لِخِدْمَةِ الْأَوْطَانِ
نَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
وَأُمَّةَ الْقُرْآنِ
فَالْمُلْكُ لِلدِّيَّانِ

ليلى:

إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ جَمَاعَةً مُقْبِلِينَ
لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا لَعَلَّ فِيهِمْ مُعِينًا

العربي:

هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسَكَ إِنِّي سَمِعْتُ أَنِينَا
أُظُنُّ هَذَا جَرِيحًا يَشْكُو الْأَسَى أَوْ طَعِينَا
بِاللَّهِ مَاذَا دَهَاهُ يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

ليلى:

لَقَدْ دَهَتْهُ الْمَنَايَا مِنْ غَارَةِ الْخَائِنِينَ
صَبُّوا عَلَيْنَا الرِّزَايَا لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِينَا
فَحَقَّقُوا مِنْ أَذَاهُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَا

العربي:

لَا تَيَاسِسِي، وَتَجَلَّدْ أَرَاكَ شَهْمًا رَكِينَا
أَبْشِرْ فَإِنَّكَ نَاجٍ وَاصْبِرْ مَعَ الصَّابِرِينَا

الطبيب:

أَوَاهُ إِنِّي أَرَاهُ بِالمَوْتِ أُمْسَى رَهِينَا
جِرَاحُهُ بِالْغَاثِ تُعْيِي الطَّبِيبَ الْفَطِينَا
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضِي غَضُ الشَّبَابِ حَزِينَا

العربي:

أَفْ لِقَوْمٍ جِياعٍ قَدْ أَرْعَجُوا الْعَالَمِينَ
قَرَاهُمُ أَيْنَ حَلُّوا ضَرْبٌ يَقْدُ الْمُتُونَا

عَقُّوا الْمُرُوءَةَ هَدُّوا	مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَ
عَاثُوا فَسَادًا وَفَرُّوا	يَسْتَعْجِلُونَ السَّفِينَا
وَأَلْبَسُوا الْعَرَبَ خِزْيًا	فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَ
وَأَلْجَمُوا كُلَّ دَاعٍ	وَأَحْرَجُوا الْمُصْلِحِينَ
فِيَا (أَرْبَّةُ) مَهْلًا	أَيْنَ الَّذِي تَدَّعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا	وَالدَّاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا	بَعِثْنَا قَدْ رَضِينَا
لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا	وَلَمْ نُخَاتِلْ حَدِينَا
(مَسْرَّةُ) الشَّامِ إِنَّا	إِخْوَانُكُمْ مَا حَيِينَا
ثِقُوا فَإِنَّا وَثِقْنَا	بَكُمْ وَجِئْنَا قَطِينَا
إِنَّا نَرَى فَيْكَ (عَيْسَى)	يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا
قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ	قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِينَا
فَأَنْتَ فَخْرُ النَّصَارَى	وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجريح:

رَأَيْتُ يَأْسَ طَبِيبِي	وَهَمْسَهُ فِي فُؤَادِي
لَا تَنْدُبِينِي فَإِنِّي	أَقْضِي وَتَحْيَا بِلَادِي

العربي:

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ شَهْمًا	نَذْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رُوحًا	كَأَنْتَ رَجَاءَ الْبِلَادِ
فِيَا شَهِيدًا رَمْتَهُ	عَذْرًا كُرَاتُ الْأَعَادِي
نَمْ هَانِيًا مُطْمَئِنًّا	فَلَمْ تَنْمِ أَحْقَادِي
فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَأْرُ	يُذِيبُ قَلْبَ الْجَمَادِ

(٢٠) استقبال الطيّار العثماني فتحي بك

نشرت في سنة ١٩١٤م ويلاحظ أنّ هذه القصيدة كانت قد أُعدّت لاستقبال الطيّار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته إلى مصر فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته؛ لتكون له حياً وميتاً.

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ	فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَلَا وَطَارُ
النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ	كَ تَجَاذِبَا ذَيْلَ الْفَخَارِ
يَوْمَ امْتَطَيْتَ بُرَاقَكَ أَلْ	مَيْمُونٌ وَاجْتَزْتَ الْقِفَارَ
تَلْهُو وَتَعْبَثُ بِالرِّيَا	حِ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبِحَارِ
لَوْ سَابَقَتْكَ سَوَابِقُ الْ	أَفْكَارِ أَذْرَكَهَا الْعِشَارُ
حَسَدَتِكَ فِي الْأَفْقِ الْبُرُ	قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
تَجْرِي بِسَابِحَةٍ تَشُ	قُ سَبِيلَهَا شَقَّ الْإِزَارُ
وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَثِي	رٍ فَيَسْتَحِيلُ إِلَى شَرَارِ
مِثْلُ الشَّهَابِ انْقَضَ فِي	آثَارِ عِفْرِيتٍ وَثَارِ
فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعَوْهُ الْ	مُضْطَرُّ تَخْتَرِقُ السَّتَارَ
وَإِذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ	أُنْثَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارِ
وَتَسِيفُ أَوْنَةً وَآ	وَنَةً يَحِيدُ بِهَا الزُّورَارُ
فِيخَالُهَا الرَّاءُونَ قَدْ	قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
لِعَبِّ الْجَوَادِ أَقْلٌ لَيْ	ثًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ نَزَارُ
أَوْ كَاللَّعُوبِ مِنَ الْحَمَا	ئِمِ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطَارُ
وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حِي	نَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا	حُلُلَ احْمِرَارٍ وَاصْفِرَارِ
مَلِكٌ تُمَثِّلُهُ لَنَا (السَّ	سَمَا) فَيَأْخُذُنَا انْبِهَارُ
(فَتْحِي) بَرَبِّكَ مَا رَأَيْ	تَ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ
أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا	ئِكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ
أَمْ خَفَّتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا	تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ
أَرَأَيْتَ سُكَّانَ النُّجُورِ	مِ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْجَوَارِ

أَهْنَاكَ فِي (الْمَرِيخ) مَا
أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّعِيفُ
مَا لَابِنِ آدَمَ زَادَ فِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهُ
أَمْ لَأَذْ مُعْتَصِمًا بِكُرْ
فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا
وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُمًّا
يَرْجُو النِّجَاءَ مِنَ الْمَظَا
يَأْيَهَا الطَّيَّارُ طِرْ
فَزِرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِيَّ
وَسَلِ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا
هُمْ يُنْبِئُونَكَ أَنَّ كُلَّ
وَالظُّلُمُ مِنْ طَبَعِ النَّظَا
إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّدِيدِ
فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّ
خُلِقَ الضَّعِيفُ لَخْدْمَةِ الْ
فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوِ
فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ
فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأْ
فِيهَا الْكُنُوزُ الْحَافِلَا
مِنْهَا اسْتَمَدَّ قُوَاهُ مَنْ
وَبِمَا احْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِي
فِي زِمَّةِ الْآفَاقِ سِرْ
وَاجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى
دَارٍ عَلَيْهَا لِلْخِلَا
دَارُ الْغُزَاةِ الْفَاتِحِ
فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَهُمْ

فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَلِ الشَّجَارِ
فُ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارُ
غُلُوبُهُ فَطَغَى وَجَارُ
فِي عَالَمِ الْمَلَكَوَتِ ثَارُ
سَيِّ الْمُهَيِّمِينَ وَاسْتَجَارُ
بِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطَارُ
تَطَطَّيَا عَوَاصِفَهَا وَسَارُ
لِمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارُ
فَإِذَا بَلَغَتْ مَدَى الْمَطَارُ
نِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ
ةَ فَفِي السَّوَالِ لَكَ اعْتِبَارُ
لِ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارُ
مِ فَإِنْ ظَلُمْتَ فَلَا تُمَارُ
مَ هُوَ الَّذِي بَرَأَ الْغُبَارُ
سُفْلِي أَحْكَامُ تُدَارُ
أَقْوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارُ
يُّ وَهْنُ يُلَازِمُكَ الصَّغَارُ
عِزُّ وَأَمَالِ كِبَارُ
سُ يَوْمَ يُمْتَهَنُ الدَّمَارُ
تُ لِمَنْ تَبَصَّرَ وَاسْتَنَارُ
قَهَرَ الْمَمَالِكِ وَاسْتَعَارُ
فُ الرَّأْيِ غَارَةً مَنْ أَغَارُ
وَارْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارُ
بَلَدُ بِهِ لِلْمُلْكِ دَارُ
فَةِ وَالْهُدَى رُفَعَ الْمَنَارُ
نَ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارُ
غَزَوْ فَفَتَحَ فَاَنْتِصَارُ

زَبَرُوا الزَّمانَ بَسْوَطِ عِزٍّ رَتَبَهُمْ فَلانَ لَهُمْ فِدارُ
يَمشُونَ فِي غابِ القَنَا مَشْيِ المُرَنِّحِ بِالْعُقارِ
مَنْ كُلُّ أَرْوَغَ فَاتِكِ لَا يَسْتَشِيرُ سِوى الْغِرازِ
ذِي مِرَّةٍ تَشْجِيهِ ذَا تُ النَّقْعِ لَا ذَاتُ الْخِمارِ
يَغشى المَعامِعَ ضاربًا بِحِياتِهِ ضَرْبَ الْقِمارِ
لَا يَنْتَنِي أَوْ تَخْرُجَ الـ أَجْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدارِ
عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ وَالْعَبَسُ يَعْقُبُهُ افْتِزارُ
ما عابَهُمْ أَنَّ الصُّعو دَ يَلِيهِ فِي الدَّهْرِ انْجِدارُ
فَلَكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ وَلِكُلِّ وُضْاءٍ سِرارُ
وَلَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ وَيَسودُ ذِيكَ الشُّعارُ

(٢١) إلى معتمد بريطانيا في مصر (نشرت في يناير سنة ١٩١٥م)

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السير مكماهون

أَيِّ (مَكْمُهُونَ) قَدِمْتَ بِالـ قَصْدِ الحَمِيدِ وَبِالرَّعايَةِ
ما ذا حَمَلْتَ لَنَا عَنْ الـ مَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غِرايَةِ؟)
أَوْضَحَ (لِمَصْرَ) الْفَرْقَ ما بَيْنَ السِّيادَةِ وَالْحِمايَةِ
وَأَزَلَ شُكُوكًا بِالنُّفُو سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ الْبِدايَةِ
وَدَعَ الوُعودَ فَإِنَّها فِيمَا مَضَى كَانَتْ رِوايَةِ
أَضَحَتْ رُبُوعُ النِّيلِ سَلُ طَنَّةً وَقَدْ كَانَتْ وَلايَةِ
فَتَعَهَّدوها بِالصِّلا حَ وَأَحْسِنُوا فِيها الوِصايَةِ
إِنَّا لَنَشْكُو وَاثْقِيـ نَ بَعْدِلَ مَنْ يُشْكِي الشُّكايَةِ
نَرْجُو حِياةَ حُرَّةٍ مَضمونَةً فِي ظِلِّ رايَةِ
وَنَروُمُ تَعليمًا يَكُ نُ لَهُ مِنَ الْفَوْضَى وَقايَةِ
وَنَوْدُ أَلَّا تَسْمَعُوا فِينا السُّعايَةِ وَالوِشايَةِ
أَنْتُمْ أَطَبَّاءُ الشُّعو بَ وَأَنْبِلُ الْأَقْوامِ غايَةِ
أَنْى حَلَلْتُمْ فِي الْبِلا دَ لَكُمْ مِنَ الْإِصلاحِ آيَةِ

رَسَخَتْ بِنَايَةً مَجْدِكُمْ فَوْقَ الرُّوِيَّةِ وَالْهَدَايَةِ
وَعَدَلْتُمْ فَمَلَكْتُمْ الدُّ نِيَا وَفِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةِ
إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعَفِينَ مَنْ فَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نَكَايَةِ
أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَاحِنَا فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النُّهَايَةِ
إِنَّا بَلَّغْنَا رُشْدَنَا وَالرُّشْدُ تَسْبِقُهُ الْغَوَايَةِ
لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا مِ فليس فِي الشُّكُوى جِنَايَةِ
هَذَا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ شِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةِ
هُوَ خَيْرٌ مَنْ يَبْنِي لَنَا فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

(٢٢) إِلَى غُلِيَوْمِ الثَّانِي إِمْبَرَاتُورِ أَلْمَانِيَا (نَشَرَتْ فِي يَنَايِرِ سَنَةِ ١٩١٥م)

قَالَهَا يَنْكَرُ عَلَيْهِ إِثَارَتُهُ الْحَرْبِ الْعَظْمَى وَمَا ارْتَكَبَهُ فِيهَا مِنَ الْفُظَاثِ

لِلْهُ آثَارٌ هُنَاكَ كَرِيمَةً حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (بِرْلِينُ)
طَاَحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِبْلِينُ)
مَاذَا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعُلَا فِي عُدْمِهِنَّ وَكُلُّهُنَّ غَيُونُ
لَوْ أَنَّ فِي (بِرْلِينِ) عِنْدَكَ مِثْلُهَا لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجَلُّهَا وَتَصُونُ
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فَإِنَّهُ أَوْدَى بِمَجْدِكَ رُكْنُهَا الْمَوْهُونُ
لَمْ يُغْنِ عَنْهَا مَعْبَدٌ خَرِبَتْهُ ظُلْمًا وَلَمْ يُمَسِّكْ عِنَانَكَ دِينَ
لَا تَحْسَبَنَّ الْفَخْرَ مَا أَحْرَزَتْهُ الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ رَهِينُ
هَلْ شَدَّتْ فِي (بِرْلِينِ) غَيْرَ مُعَسِّكَرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلُ وَحُصُونُ
وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
نَظَّمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى (فَالنَّيْلِ) نَاءَ بِهَا وَنَاءَ (السَّيْنِ)
فَبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُضْبَةٌ وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
تَسْرِي وَنَسْرُكَ أَيْنَ لَحْنٍ يُظِلُّهَا لَا اللَّيْثُ يُزْعِجُهَا وَلَا التَّنِينُ
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُغْمَدٌ وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسُّرَى مَأْمُونُ
قَدْ كَانَ فِي (بِرْلِينِ) شَعْبُكَ وَادْعَا يَسْتَعِمِرُ الْأَسْوَاقَ وَهِيَ سُكُونُ
فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُهَا فَسَبِيلُهَا وَقَفَّ عَلَيْهِ وَرِزْقُهُ مَضْمُونُ

فَعَلَامَ أَرْهَقْتَ الْوَرَى وَأَثَرْتَهَا
تَالِهَ لَوْ نُصِرْتَ جُيُوشُكَ لَأَنْطَوَى
سَبْعُونَ مِليُونًا إِذَا وَزَعَتْهَا
وَيْلٌ لِمَنْ يَسْتَعِمِرُونَ بِلَادَهُ
أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرَّعًا
عَجَبًا أَتَذْكُرُهُ وَتَمَلَأُ كَوْنَهُ
وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ
شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فُنُونُ؟
أَجَلُ السَّلَامِ وَأَقْفَرُ الْمَسْكُونُ
بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالْنَا مِليُونُ
الْقَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِهِ وَالْهُونُ
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينُ
وَيْلًا لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ الْمَغْبُونُ
وَالنَّصْلُ فِي غُنْقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

(٢٣) الحرب العظمى (نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥م)

لَاهُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ أَصْبَحَ شَعْلَةً
الْعِلْمُ يُذَكِّي نَارَهَا وَتُثِيرُهَا
وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً
فَإِذَا بِنِعْمَتِهِ بِلَاءٌ مُرْهَقُ
عَجَزَ الرُّمَاءُ عَنِ الرُّمَاءِ فَأَرْسَلُوا
تَتَعَوَّدُ الْأَفَاقُ مِنْهُ وَتَنْتَنِي
وَتَنَابَلُوا بِالْكَيمِيَاءِ فَأَسْرَفُوا
وَتَنَارَلُوا فِي الْجَوِّ حِينَ بَدَأَ لَهُمْ
نَفَسُوا عَلَى الْحِيتَانِ وَاسِعَ مُلْكِهَا
مَلَكُوا مَسَابِحَهَا عَلَيْهَا بَعْدَمَا
إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ
مِنْ هَوْلِهَا أَمْ الصَّوَاعِقُ تَفَرَّقُ
مَدَنِيَّةٌ خَرَقَاءُ لَا تَتَرَفَّقُ
تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَدْفِقُ
وَإِذَا بِرَحْمَتِهِ قَضَاءٌ مُطَبَّقُ
كَسَفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانُ يَخْنُقُ
عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْلَقُ
وَتَسَاجَلُوا بِالْكَهْرِبَاءِ فَأَغْرَقُوا
أَنَّ الْبَسِيطَةَ عَنْ مَدَاهِمُ أَضِيقُ
فَتَفَنَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
غَلَبُوا النُّسُورَ عَلَى الْجَوَاءِ وَحَلَّقُوا
فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(٢٤) مظاهرات السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩م ونشرت إذ
ذاك في منشورات وطنية، وتأخر نشرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩م

خَرَجَ الْغَوَانِي يَحْتَجِّجُ - نَ وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعُهُنَّ

فإذا بهنَّ تَخِذْنَ من
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ
وَأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيبَ
يَمَشِينَ فِي كَيْفِ الْوَقَا
وَإِذَا بَجِيشٍ مُقْبِلِ
وَإِذَا الْجُنُودُ سَيُوفُهَا
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَا
وَالْخَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي
فَتَطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا
فَتَضَعُضَعُ النَّسْوَانُ وَالنَّدَى
ثُمَّ انْهَزَمْنَ مُشْتَتَاتَا
فَلِيَهْنَأَ الْجَيْشُ الْفَخُو
فَكَأْتَمَا الْأَلْمَانُ قَدْ
وَأَتُوا (بِهَنْدُبَرْجِ) مَخْ
فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهَنُ

سُودِ الثِّيَابِ شِعَارُهَا
يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجَى
قَدْ وَدَارُ (سَعْدِ) قَصْدُهَا
رِ وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورُهَا
وَالْخَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَى
قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهَا
يَقُ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسْنَى
ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهَا
ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهَا
عَاتِ تَشِيبَ لَهَا الْأَجْنَى
سَوَانُ لَيْسَ لَهَا مِنْهُ
بِ الشَّمْلِ نَحْوِ قُصُورِهَا
رُ بِنَصْرِهَا وَبِكَسْرِهَا
لَبِسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهَا
تَفِيًا بِمَضْرُ يَقُودُهَا
نَ وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهَا

(٢٥) أَياصوفيا

قالها حين خيف على الأستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة (وتأخر نشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٢م)

(أَياصُوفِيَا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي
إِذَا عُدْتَ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ
وَدَقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآزِنِ إِنَّهُ
تَبَارَكَتْ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَذْلَانُ آمَنُ

عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلَّمُوا
وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيمُ
مِنَ الرُّومِ فِي مَحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ
وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ

أُيْرَضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَيْلَهُمْ
وَكَيْفَ يَذِلُّ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَهُمْ
نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرَقٌ
عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا
حِمَاكَ وَأَنْ يُمْنَى (الْحَطِيمُ) وَ(زَمَزَمُ)؟
كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
حَيَاءً وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نَوْمٌ
وَحَكَمْتُ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

(٢٦) مصر

أنشدتها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوروبا قاطعاً المفاوضات مع الإنجليز ومستقيلاً من الوزارة.
نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا
وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ
فَتْرَابِي تَبَرُّ وَنَهْرِي فُرَاتٌ
أَيْنَمَا سِرْتُ جَدُولٌ عِنْدَ كَرَمٍ
وَرَجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا
لَوْ أَصَابُوا لَهُمْ مَجَالًا لِأَبْدَوْا
إِنَّهُمْ كَالظُّبَا أَلَحَّ عَلَيْهَا
فَإِذَا صَيَّقِلُ الْقَضَاءِ جَلَاهَا
أَنَا إِنْ قَدَّرَ إِلَهُ مَمَاتِي
مَا زَمَانِي رَامَ وَرَاحَ سَلِيمًا
كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وَجَارَتْ
إِنِّي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قَيْودِي
وَتَمَاتِلْتُ لِلشِّفَاءِ وَقَدْ دَا
قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي
كَيْفَ أَبْنِي قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَخُدِي
رِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
قِ وَدُرَّاتِهِ فَرَائِدُ عِقْدِي
سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟
وَسَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفِرْنِيدِ
عِنْدَ زَهْرِ مُدَنَّرٍ عِنْدَ رَنَدٍ
مِنْ كُھُولِ مِلْءِ الْعُيُونِ وَمُرْدٍ
مُعْجَزَاتِ الذِّكَاةِ فِي كُلِّ قَصْدٍ
صَدَأَ الدَّهْرِ مِنْ نَوَاءِ وَغَمْدٍ
كُنَّ كَالْمَوْتِ مَا لَهُ مِنْ مَرَدٍّ
لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مَنْ قَدِيمِ عَنَايَةِ اللَّهِ جُنْدِي
ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
رَغْمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَّعْتُ قَدِّي
نَيْتُ حَيْنِي وَهَيَّا الْقَوْمَ لَحْدِي
مِثْلُ مَا أَنْكَرُوا مَاثِرَ وُلْدِي

هَلْ وَقَفْتُمْ بِقَمَّةِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ
هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النُّقُوشَ اللَّوَاتِي
حَالُ لَوْنِ النَّهَارِ مِنْ قِدَمِ الْعَهْدِ
هَلْ فَهَمُّتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي
ذَاكَ فَنُ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْدُ
قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ
إِنَّ مَجْدِي فِي الْأُولِيَّاتِ عَرِيقُ
أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّوْ
وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مُنْذُ أَضَاءَتْ
وَشِدَا (بَنَتْنُورُ) فَوْقَ رُبُوعِي
وَقَدِيمًا بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي
قَبْلَ أُسْطُولِ (نِلْسِن) كَانَ أُسْطُولُ
فَسَلُوا الْبَحْرَ عَنْ بَلَاءِ سَفِينِي
أَتْرَانِي وَقَدْ طَوَّيْتُ حَيَاتِي
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشِ
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ أَلْ
أَمِنْ الْحَقِّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ أَلْ
نِصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي
نَظَرُ اللَّهِ لِي فَأَرْشِدْ أَبْنَا
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّيْ
قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ أَبِي
أَمْهَرُوهَا بِالرُّوحِ فَهِيَ عَرُوسُ
وَرِدُوا بِي مَنَاهِلَ الْعِزِّ حَتَّى
وَارْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالْصَّبْرُ إِنْ فَا
خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصْرُ الْقَوِ
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعَى بِنُفُوسِ

بَرِ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي؟
أَعَجَزَتْ طَوْقُ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِّي؟
وَمَا مَسَّ لَوْنَهَا طَوْلُ عَهْدِ
مِنْ عُلُومِ مَخْبُوءَةِ طَيِّ بَرْدِي؟
رَ وَأَبْلَى الْبِلَى وَأَعَجَزَ نَدْيِ
نَ فَفِي (مَضَرِّ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
مَنْ لَهُ مِثْلُ أُولِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
مَا نُ عَنِّي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدِّ
فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَضْدِي
قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)
فَفَرَّقَنَ الْبِحَارَ يَحْمِلُنَ بَنْدِي
لِي سَرِيًّا وَطَالِعِي غَيْرَ نَكْدِ
وَسَلُوا الْبَرَّ عَنْ مَوَاقِعِ جُرْدِي
فِي مِرَاسٍ لَمْ أُبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي؟
وَارِفِ الظِّلَّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِ؟
هَمَاءَ صَفْوًا وَأَنْ يُكْدَرَ وَرْدِي؟
أَسَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أَسْدِي؟
مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَبْدِ
ئِي فَشَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيَّ شَدِّ
يَا نِ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبْيَضِ هَنْدِي
مِنْ رَجَالِي فَانْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي
تَشْنَأُ الْمَهْرَ مِنْ عَرُوضٍ وَتَقْدِ
يَخْطُبُ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدِّي
لَاقَ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
رَقَّ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدِّ
مَ وَأَغْنَى عَنْ اخْتِرَاعٍ وَعَدِّ
صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُبْدِ

فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْزِ
 إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ
 فَوْقَهَا مَجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا
 فَاتَّقَوْهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وِثَامٍ
 وَاصْفَحُوا عَنْ هُنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
 نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَثَّرُ الْآ
 وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا
 وَنُثِيرُ الْفَوْضَى عَلَى جَانِبَيْهِ
 وَيَطْنُ الْغَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامُ
 فَقِفُوا فِيهِ وَقْفَةً الْحَزْمِ وَارْزُمُوا
 إِنَّنَا عِنْدَ فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ
 غَمَرْتَنَا سُودُ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ
 وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأَيٍ
 فَاسْتَبَيْنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا

بِ وَأَنْحَى عَلَى الْقَوِيِّ الْأَشَدَّ
 كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فِيكُمْ بِسُهِدٍ
 كُمْ وَيَطْوِي شِعَاعُهُ كُلَّ بُعْدٍ
 غَيْرَ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍّ
 رَبُّ هَافٍ هَفَاً عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ
 رَأً فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْذِي
 مِنْ خِلَافٍ وَالْخُلْفُ كَالسَّلِّ يُعْدِي
 فَيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُبْذِي
 وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جَدِّي
 جَانِبَيْهِ بِعِزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
 قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهِدٍ وَوَجْدٍ
 وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ جَزْرِ وَمَدٍّ
 وَهُوَ رَمَزٌ لِعَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ
 فَالْمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمَجْدِ

(٢٧) تصريح ٢٨ فبراير (نشرت في أول أبريل سنة ١٩٢٢م)

مَالِي أَرَى الْأَكْمَامَ لَا تُفْتَحُ
 وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهَا
 وَالنَّيْلَ لَا تَرْقُصُ أَمْوَاهُ
 وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً
 وَالْبَذَرَ لَا يَبْدُو عَلَى ثَغْرِهِ
 وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ
 أَلَمْ يَجْنُهَا نَبَأُ جَاءَنَا
 أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ
 أَمْوَقِفُ لِلْجِدِّ نَجْتَازُهُ
 أَلَمْحُ لَاسْتِقْلَالِنَا لَمْعَةً

وَالرَّوَضَ لَا يَذْكُو وَلَا يُنْفَخُ
 فِي مُلْكِهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصَدَّحُ
 فَرَحَى وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
 تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
 مِنْ بَسَمَاتِ الْيُمْنِ مَا يَشْرَحُ
 كَأَنَّهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
 بِأَنَّ مِصْرًا حُرَّةً تَمْرَحُ؟
 أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
 أَمْ ذَاكَ لِلَّهِ بِنَا مَسْرَحُ؟
 فِي حَالِكِ الشَّكِّ فَاسْتَرْوَحُ

وَتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثَارَهَا
 قد حَارَتِ الأفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ
 فَقَائِلٌ لَا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ
 وَقَائِلٌ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ
 وَقَائِلٌ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ:
 إِنَّ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ: عَاهِدُوا
 وَأَسْأَلُوا دَارًا لِنُؤَابِكُمْ
 وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا
 وَتَنْتَخِبَ صَفْوَةً أَبْنَائِهَا
 وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرِهَا
 أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ: حَازِرُوا
 إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَلِّمُوا
 إِنَّ هَيْئَتَهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ
 حَتَّامٌ — وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ —
 حَتَّامٌ — وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ —
 حَتَّامٌ يُمْضِي أَمْرُنَا غَيْرُنَا
 أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ
 فَاَنْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نَهْزَةً
 فَالِرَّأْيِ كُلِّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا
 وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَكْتَرْتُمْ بَيْنَكُمْ
 فَلْتَقْصِدُوا مَا اسْطَعْتُمْ فِيهِمْ

فَأَنْتَنِي أَنْكَرُ مَا أَلْمَحُ
 إِنَّ لَمَحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
 مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
 وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
 هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَاغْرَحُوا
 وَاسْتَوْتَقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا
 لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجِبَا أَفْسَحُوا
 أَلَا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
 فَمَنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ
 أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يُزْفَحُوا
 وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
 أَيْدِيَكُمْ؛ فَالْقَيْدُ لَا يُسْجِحُ
 فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْدَحُ
 لَغَيْرِنَا مِنْ بَثْرِنَا نَمْتَحُ؟
 نَمْنَحُ إِلَّا (مَصْرَ) مَا نَمْنَحُ؟
 وَذَاكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟
 ظَنًّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنَحُ
 فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ
 فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
 مِنْ قَادَةِ الْأَرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
 فَإِنَّمَا فِي الْقِلَّةِ الْمَنْجَحُ

(٢٨) عيد الاستقلال

(نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣م تحت عنوان: «بين اليقظة والنام»)

أَشْرِقْ فَدَتَكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاحِ وَأَمِطْ لِثَامَكَ عَنْ نَهَارٍ ضَاحِي

بُورِكَتْ يَا يَوْمَ الْخَلَاصِ وَلَا وَنَتْ
بِاللَّهِ كُنْ يُمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا
أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامَ حَوْلَكَ مُثْلُ
وَحَرَجْتَ مِنْ حُجْبِ الْغُيُوبِ مُحَجَّلًا
لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَنَاسُخٌ
وَلَكُنْتَ يَوْمَ (الْلَابِرَنْت) بَعِيْنُهُ
يَوْمَ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤُؤَهُ
خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجِدِ
اللَّهِ أَتَّبَعْتَهُ لَنَا فِي لَوْجِهِ
حَيَّيْهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَامْلِئِي
وَانْفَحْهُ عَنَّا يَا رَبِيعُ بِكُلِّ مَا
تَهْ يَا (فَوَادُ) فَحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةُ
أَبْنَاؤُنَا — وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى —
صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخُطُوبِ فَأَذْرَكُوا
شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ لَيْسَ بِأَعَزَّلِ
الصَّبْرُ — إِنْ فَكَّرْتَ — أَعْظَمُ عُدَّةٍ
قَدْ أَنْكَرُوا حَقَّ الضَّعِيفِ فَهَلْ أَتَى
كَمْ خَدَّرْتَ أَعْصَابَ مِصْرَ نَوَافِحُ
فَتَعَلَّلَ الْمِصْرِيُّ مُغْتَبِطًا بِهَا
وَتَأَنَّقُوا فِي الْخُلْفِ حَتَّى أَصْبَحَتْ
لَمَّا تَنَبَّهَ بِالْكِنَانَةِ نَائِمٌ
وَتَكَشَّفَتْ تِلْكَ الْغِيَاهِبُ وَانْطَوَتْ
عَلِمُوا بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ قَرَارَنَا
فَالْيَوْمَ قَرِّي يَا كِنَانَةُ وَاهْدِي
مَنْ ذَا يُغَيِّرُ عَلَى الْأُسُودِ بَغَابَهَا
لِلنَّيْلِ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مُؤَثَّلُ
فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِّ آثَارَهُ

عَنْكَ السُّعُودُ بَغْدَوَةٌ وَرَوَاحُ
فِي رَدِّ مُغْتَرِبٍ وَفَكَ سَرَاخُ
صَفَيْنِ تَخْطِرُ خَطَرَةَ الْمِيَاخِ
فِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحِ
لَرَأَيْتُ فِيكَ تَنَاسُخَ الْأَرْوَاحِ
فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاحِ
فِي الْحُسْنِ قُدْرَةٍ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
وَحَبَاهُ (آذَارُ) أَرْقَ وَشَاحِ
أَبَدَ الْأَبِيدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَاحِي
أَرْجَاءَهُ بِأَرِيحِ الْفَوَاحِ
أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنَوْرٍ أَقَاحِ
عَقَدْتَ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ
لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشَاحِ
حُلُوِ الْمُنَى مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ
يَغْزُوهُ رَبُّ عَوَامِلِ وَصَفَاحِ
وَالْحَقُّ — لَوْ يَدْرُونَ — خَيْرُ سِلَاحِ
إِنْكَارُ ذَاكَ الْحَقِّ فِي إِضْحَاحِ؟
لَوْعُودِهِمْ كَنُوفَاحِ التُّفَاحِ
أَرَأَيْتَ طِفْلًا عَلَّلُوهُ بِدَاحِ؟
أَقْوَالُهُمْ تُذَرِّى بِغَيْرِ رِيَاخِ
وَأَصَاتَ بِالشُّكْوَى الْأَلِيْمَةِ صَاحِي
وَبَدَتْ شُمُوسُ الْحَقِّ وَهِيَ ضَوَاخِي
فِي ظِلٍّ غَيْرِ اللَّهِ غَيْرُ مُتَاحِ
حَرَمُ الْكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ بِمُبَاحِ
أَوْ مَنْ يَعُومُ بِمَسْبَحِ التَّمْسَاحِ؟
مَنْ عَهْدَ (أُمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السُّيَاخِ

يا صاحِبَ القُطْرَيْنِ غير مُدَافِعٍ
 لم يَبْدُ نورٌ فوقَ نورٍ يُجْتَلَى
 نَكَرْتُ بَعْرَشَكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتِهِ
 فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعُهُ
 لَكَ (مِصْرُ) وَ(السُّودَانُ) وَالنَّهْرُ الَّذِي
 وَبَوَاسِقُ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا
 لَا غَرَوْا إِنْ غَنَى بِمَدْحِكَ صَائِحُ
 حُسْنِ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّيَاحِ كَحُسْنِهِ
 أَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُلْكُ مِصْرَ وَنِيلِهَا
 مَنْضُورَةُ الْجَنَاتِ حَالِيَةِ الرُّبَا
 قَدْ قَالَ (عَمْرُو) فِي ثَرَاهَا آيَةٌ
 بَيْنَا تَرَاهُ لَأَلْنَا وَكَأَنَّمَا
 وَإِذَا بِهِ لِلنَّاظِرِينَ زُمُرْدُ
 وَإِذَا بِهِ مِسْكٌ تَشْقُ سَوَادَهُ
 الْبَرْلَمَانُ تَهَيَّأتْ أَسْبَابُهُ
 هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدَيْعَةٌ لِرَعِيَّةٍ
 رُدَّ الْوَدَيْعَةَ يَا (فُؤَادُ) فَإِنَّمَا
 وَانْهَضْ بِشَعْبِكَ يَا (فُؤَادُ) إِلَى الْعُلَا
 فَالَهُ يَشْهَدُ وَالْخَلَائِقُ أَنَّنَا
 هَذَا مَنَارُ الْبَرْلَمَانِ أَمَامَكُمْ
 فَتَيَمَّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَمَا لَكُمْ
 الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي
 هِيَ لَا تَضِلُّ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا
 هِيَ - لَا بَرَاخَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ
 فَتَكْتَفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ
 وَيَدُّ إِلَهُهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَاضْرِبُوا
 كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَبُوا

مَا مِثْلُ سَاحِكٍ فِي الْعُلَا مِنْ سَاحٍ
 كَالتَّاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 عَرَشَ (الْمُعِزُّ) بِهَا وَعَرَشَ (صَلَاحِ)
 وَلِكُلِّ قُطْرٍ مِنْكَ ظِلُّ جَنَاحٍ
 يَخْتَالُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ بَطَاحِ
 غُرِسَتْ بَعْدَ جُدُودِكَ الْفُتَّاحِ
 أَوْ مُسَجِّحٌ فِي حَلَبَةِ الْمُدَّاحِ
 عِنْدَ الْخَبِيرِ بِهِ مَعَ الْإِسْجَاحِ
 يَنْسَابُ بَيْنَ مُرُوجِهَا الْأَفْيَاحِ؟
 مَطْلُولَةُ السَّرَحَاتِ وَالْأَرْوَاحِ
 مَأْثُورَةٌ نُقِشَتْ عَلَى الْأُلُوحِ:
 نُثِرَتْ بِثُرْبَتِهَا عُقُودُ مِلَاحِ
 يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الْأَتْرَاحِ
 شَقَّ الْأَدِيمِ مَحَارِثُ الْفَلَاحِ
 لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى الْمِفْتَاحِ
 تُثْنِي بِالْأَسْنَةِ عَلَيْكَ فِصَاحِ
 رَدُّ الْوَدَيْعَةِ شِيْمَةُ الْمِسْمَاحِ
 وَإِلَى مَكَانٍ فِي الْوُجُودِ بَرَاخِ
 طُلَّابُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
 لَهْدَى السَّبِيلِ كَابِرَةِ الْمَلَاحِ
 مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَقَلَاحِ
 تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ جِمَاحِ
 خَلِقَ السَّبِيلَ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِي
 وَتَقُلُّ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
 فِي الرَّأْيِ لَا تُوْجِيهِ نَزْعَةٌ وَاجِي
 بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَظْفَرُوا بِنَجَاحِ
 وَالصُّبْحُ أَبْلَجُ، حَامِلَ الْمِصْبَاحِ

شَبَحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ
بَسَوَى خِلَافٍ بَيْنَنَا وَتَلَاحِي
مَجْدَ الْجُدُودِ وَلَا تَعُدْ لِمَرَاكِ
دُنْيَاكَ دَارَ تَنَاحُرٍ وَكَفَاحِ
فَإِذَا رَقَا فَاْمْتَحْ مَعَ الْمُتَّحِ
وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْحَاحِ بِالْإِلْحَاحِ
خَوْضُ الْبَحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَاحِ
لَا تَحْسَبَنَّ الْغَمْرَ كَالضَّخْضَاحِ
لَكَ فَاغْدُهَا وَانْزَحْ مَعَ النُّزَاحِ
فِي الْبَرِّ لَا يَلُوكِ غَابُ رِمَاحِ
بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَّاحِ
إِلَّا بَنِيَّاتٍ هُنَاكَ صِحَاحِ
وَالْجَوَّ بَيْنَ تَنَاوُحِ الْأَنْوَاحِ
يَرْمِي بَنْزَاعِ الشَّوَى لَوَاحِ
عَجَبٍ وَوَجْهِ فِي الْخُطُوبِ وَقَاحِ
وَعُرِّ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّخْصَاحِ
يَرْنُو بَعَيْنٍ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
وَذِكَاؤُهُ كَالْخَاطِطِ اللَّمَّاحِ
فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَجَاغِهِ الْمُندَاحِ
فِي فَادِحِ الْبُؤْسَى مَعَ الْأَنْوَاحِ
إِنَّ الذِّكَاءَ حُبَالَةُ الْأَرْبَاحِ
بُزْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِسْجَاحِ
فَلَكُمُ وَرَدَتِ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَاكِ

وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا
وَاللَّهِ مَا بَلَغَ الشَّقَاءُ بَنَا الْمَدَى
قُمْ يَا بَنَ (مِصْرَ) فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعِدْ
شَمْرٌ وَكَافِحٌ فِي الْحَيَاةِ فَهَذِهِ
وَأَنْهَلْ مَعَ النَّهَالِ مِنْ عَذْبِ الْحَيَاةِ
وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ خَطْبٌ لَا تَهْنُ
وَحُضْ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاطَمَ مَوْجُهَا
وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خَطُوكَ رَائِدًا
وَإِذَا اجْتَوَيْتَ مَحَلَّةً وَتَنَكَّرْتَ
فِي الْبَحْرِ لَا تَشْنِيكَ نَارُ بَوَارِجِ
وَانْظُرْ إِلَى الْغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ
وَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ بَنُو الْغَرْبِ الْمُنَى
رَكِبُوا الْبَحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَاؤُهَا
وَالْبَرِّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَأَجِّجًا
يَلْقَى فِتْيَتَهُمُ الزَّمَانَ بِهَمَّةٍ
وَيَشُقُّ أَجْوَارَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا
وَابْنُ الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ
لَا يَسْتَغْلُ — كَمَا عَلِمْتَ — ذِكَاؤُهُ
أَمْسَى كَمَاءِ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ
فَانْهَضْ وَدَعْ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْحُ
وَارْبَحْ لِمِصْرَ بَرَأْسِ مَالِكِ عِزَّةٍ
وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا
وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَاكِ مُنْعَمًا

(٢٩) من قصيدة في شؤون مصر السياسية (نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢م)

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا وقد نظمها حافظ بعد إحالته إلى المعاش في سنة ١٩٣٢م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت لم نعرث منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ
سَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنِصْفُهُمْ
وَابْنُ الْكِنَانَةِ فِي جِمَاهُ يُضَامُ
يَجْبِي الْبَلَاءَ وَنِصْفُهُمْ حُكَّامُ
(صِدْقِي الْوَزِيرُ) وَمَا جَبَى (عَلَامُ)

ومنها في الإنجليز:

قُلْ لِلْمُحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنَا لَكُمْ وَبَدَا لَنَا
تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدِّمَاءِ سَلَامٌ؟
أَنَّ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى
حَتَّى يُنْفَسَ كَرْبُهُنَّ صِمَامُ
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمْنِي نَفْسَهُ
بِوَدَادِكُمْ فَوِدَادُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنْ السِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ أَنَّنَا
نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا
سَنَمُوتُ أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدقي باشا:

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مِحْرَابِهِ
لَا هُمْ أَحْيَ ضَمِيرُهُ لِيَذُوقَهَا
الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
غُصَصًا وَتَنْسَفَ نَفْسُهُ الْأَلَامُ

إلى الإنجليز:

بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ أُسَاسَ مُلْكِكُمْ
فَمَالِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا
فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامُ
وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامُ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ
أَضَعْتُمْ وَدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عُهْدَهُ
أَبْعَدَ حِيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عُهْدَهُ
إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهُمِ مَوْتُنَا
فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامُ

(٣٠) إلى المندوب السامي (نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢م)

أَلَمْ تَرَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى (كِيَادِ) تَصِيدُ الْبَطُّ بُؤْسَ الْعَالَمِينَا؟
 أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي مَنِ الْبَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أُنِينَا؟
 أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا وَقَدْ بَعَثُوكَ مَنُذُوبًا أَمِينَا
 بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدَرَ لَمَسًا وَأَصْبَحَ ظَنُّنَا فَيْكُمُ يَقِينَا؟
 كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمُ فَلَسْتُمْ وَقَدْ بَرَحَ الْخِفَاءُ مُحَايِدِينَا
 سَنُجْمِعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَ مِنَّا لَدَى الْجَلَى كِرَامًا صَابِرِينَا
 وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغَمَ الْعَوَادِي تُطِيفُ بِنَا وَرَغَمَ الْقَاسِطِينَا
 ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا مِنَ النَّيِّرَانِ يُعْيِي الدَّارِعِينَا
 عَلَى رَغَمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفَرْتُمْ وَلَكِنْ بِالْأَسُودِ مُصَفِّدِينَا

(٣١) الأخلاق والحياد (نشرا في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢م)

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشؤون المصرية

لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حِيَادِكُمْ فَمُصَابِكُمْ وَمُصَابِنَا سَيَّانِ
 حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتَحَارِبُوا أَخْلَقْنَا فَتَأَلَّمَ الشَّعْبَانِ

(٣٢) ثمن الحياد (نشرا في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢م)

لَقَدْ طَالَ الْحِيَادُ وَلَمْ تَكْفُوا أَمَا أَرْضَاكُمُ تَمَنُّ الْحِيَادِ؟
 أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونَ مِنَّا فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟
 بَلَوْنَا شِدَّةً مِنْكُمْ وَلِينًا فَكَانَ كِلَاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ
 وَسَلَّمْتُمْ وَعَادَيْتُمْ زَمَانًا فَلَمْ يُغْنِ الْمُسَالَمَ وَالْمُعَادِي
 فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي وَلَيْسَ أَمَامَنَا غَيْرُ الْجِهَادِ

(٣٣) إِلَى الْإِنْجِلِيزِ (نشرت في ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٢م)

حَوَّلُوا النَّيْلَ وَاحْجُبُوا الضُّوْءَ عَنَّا وَاطْمِسُوا النَّجْمَ وَاحْرِمُونَا النَّسِيمَا

وَأَمَلُّوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا
وَأَقِيمُوا لِلْعَسْفِ فِي كُلِّ شَبْرِ
إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدٍ مَضِرٍ
عَاصِفٌ صَانَ مُلْكَكُمْ وَحَمَاكُمْ
غَالَ (أَزْمَادَةَ) الْعَدُوِّ فَفُزْتُمْ
فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ
فَشْهَدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَدُ
فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي

وَأَمَلُّوا الْجَوَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رُجُومًا
(كُنُسْتَبَلًا) بِالسُّوْطِ يَفْرِي الْأَدِيمَا
أَوْ تَرُونَا فِي التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمًا
وَكِفَاكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمًا
وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمًا
وَتَرَكْتُمْ فِي النِّيلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
لُ وَوُدًّا يَسْقِي الْحَمِيمَ الْحَمِيمَا
قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَخِيمَا

(٣٤) الحِيَادِ الْكَاذِبِ (نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٣٢م)

(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ نَقَضَ
أَخْفَيْتَ مَا أَضْمَرْتَهُ
الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنَّفْوَ

تَ الْعَهْدَ نَقَضَ الْغَاصِبِ
وَأَبْنَتَ وَدَّ الصَّاحِبِ
سِ مَنْ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

(٣٥) جَلَاءِ الْإِنْجِلِيزِ عَنْ مِصْرَ

قالهما تنديدًا بكاتب فرنسي كان قد زعم أنَّ جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كَمْ حَدَّدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي
وَسَنَّ قَوْمُ الطَّيِّشِ مَنْ جَهْلِهِمْ

أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ
كَذْبَةَ (إِبْرِيلَ لِأَكْتُوبَرِ)

(٣٦) الْامْتِيَازَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ

سَكَّتْ فَأَصْغَرُوا أَدْبِي
وَمَا أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ
وَهَلْ (فِي مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ

وَقُلْتُ فَأَكْثَرُوا أَدْبِي
بِهِ ضَاقَ الرَّجَاءُ وَبِي؟
سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟

وذي إرث يُكاثِرُنَا
وفي الرُّوميِّ مَوْعِظَةٌ
يُقَتِّلُنَا بِلا قَوْدٍ
ويَمْشِي نَحْوَ رايَتِهِ
فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ: أَمَّا
أروني بَيْنَكُمْ رَجُلًا
أروني نِصْفَ مُخْتَرَعٍ
أروني نَادِيًا حَفْلًا
وماذا في مَدَارِسِكُمْ
وماذا في مَسَاجِدِكُمْ
وماذا في صَحَائِفِكُمْ
حَصَائِدُ أَلْسِنٍ جَرَّتْ
فَهُبُّوا مِنْ مَرَاقِدِكُمْ
فهذي أَمَّةٌ (اليابا
فهامت بالعلأ شغفأ

بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبٍ
لشَعْبٍ جَدٍّ فِي اللَّعِبِ
ولا دِيَّةٍ ولا رَهَبٍ
فَتَحْمِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
لهذا الْفَخْرُ مِنْ سَبَبٍ؟
رَكِينًا وَاضِحَ الْحَسَبِ
أروني رُبْعَ مُحْتَسِبٍ؟
بأهلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
من التَّعْلِيمِ وَالْكُتُبِ؟
مَنْ التَّبَيَّنِ وَالْخُطْبِ؟
سوى التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ؟
إلى الْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
فإنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ
(ن) جازَتْ دَارَةَ الشُّهْبِ
وهمُنَا بَابِنَةَ الْعِنَبِ

(٣٧) من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بَشَاشَةُ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكِ
حَمَاكِ دُونِي أُسُودٌ لَا يُطَاوِلُهَا
وَجَسْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقُوَّتِهِمْ
وَأَرْصَدُوا لِي رَقِيبًا لَيْسَ يُخْطِئُهُ
يُحْصِي تَرَدُّدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي
مَنْعَتْ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوْتِهَا
مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي
تَنَاوَلَتْ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتَهُ
وَظَنُّ أَهْلِكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضُنِي

وفارقَ الْأَنْسُ مَغْنَانَا وَمَغْنَاكِ
شَاكِي السِّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَعْزَلُ الشَّاكِي
أَنْ أَمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ تَحَايَاكِ
هَجَسُ الْفَوَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَاكِ
نَفَخَ الشَّمَائِلُ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكِ
وَكَمْ تَعَلَّلْتُ فِي الْبَلَوَى بَنَجْوَاكِ
مَوَارِدَ الْحَتَفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِي
وَقَرَّ فِي خَلْجَاتِ الْقَلْبِ مَثْوَاكِ
قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَاكِ

قالوا سَلَا عَنْكَ غَدْرًا وَابْتَغَى بَدَلًا وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَعَايَاكَ
 كم لي أحاديثُ شوقٍ لا تُنَافِحُهَا زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُو بِهَا الْحَاكِي
 إن تُنَكِّرِيهَا فكم طَارَ الرِّوَاءُ بِهَا إِلَى جَمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَاكِ
 سَتَعْلَمِينَ إِذَا مَا الْغَمْرَةُ انْحَسَرَتْ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَدَاكِ
 رَمَيْتُ عَنْكَ عَلَى أَنْ خَانَنِي وَتَرَى وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكِ

(٣٨) برقيّة من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا، فأرسل حافظ هذه البرقية إلى الخديو:

عَيْدٌ هُنَا، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ مَلِكٌ يَنْوُحُ، وَتَابِعٌ يَتَرَنَّمُ
 عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهََا دَمٌ فَرَحَةٍ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمُ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالَم الإسلامي في تلك النكبة.

(٣٩) قصر الدوبارة وقصير عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال وصاحب السلطة الفعلية في البلاد.

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية و الخاضع للسلطان الإنجليزي.

وفي هذين البيتين بعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين.

قَصَرَ الدُّوبَارَةَ مَا لِلْيَتِّكَ رَابِضًا وَالدُّبُّ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ يَحْجِلُ
 إِنِّي سَمِعْتُ بِعَابِدِينَ عُوَاءَهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَسُودُ مَنْ لَا يَعْقِلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر:

يا مليكًا برغمه يلبسُ التاجَ ويرقى لعرشه مملوكا
إن أتمت يداك تخريب مصر
أبق شيئًا — إذا مضيت ذميماً
عن قريب — يأتي عليه بنوكا

الشكوى

(١) إلى محمد الشيمي بك المحامي بطنطا

قال حافظ هذين البيتين، وكان يعمل بمكتبه في أول شبابه قبل انتظامه في سلك المدرسة الحربيّة، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

جِرَابُ حَظِّيْ قَدْ أَفْرَعْتُهُ طَمَعًا بَابُ أَسْتَاذِنَا (الشَّيْمِي) وَلَا عَجَبًا
فَعَادَ لِي وَهُوَ مَمْلُوءٌ فَقُلْتُ لَهُ: مَمَّ؟ فَقَالَ مِنَ الْحَسَرَاتِ وَاحْرَبَا

(٢) إلى آدم أبي البشر

سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ نَلْنَا شَقَاءً وَكَمْ أَزْرَتْ بَنَا الْأَيَّامُ حَتَّى
وَبَاعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الْمَوَالِي فَدَتْ بِالْكَبْشِ (إِسْحَاقَ) الذَّبِيحَا
وَيَا (نُوحًا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرَايَا وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحَا)
عَلَامَ حَمَلْتَهُمْ فِي الْفُلِكِ هَلَاءً وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوُدَّ الصَّحِيحَا
أَصَابَ رِفَاقِي الْقِدْحَ الْمُعْلَى تَرَكَتَهُمْ فَكُنْتُ لَهُمْ مُرِيحَا
وَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمَنِيحَا

(٣) النفس الحزينة (نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

بيتان مترجمان عن (جان جاك روسو)

خَلَقْتُ لِي نَفْسًا فَأَرْصَدْتُهَا الْحُزْنَ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ
فَإَمْنٌ بِنَفْسٍ لَمْ يَشُبْهَا الْأَسَى لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْهَنَاءِ

(٤) سَعْيِي بِلا جدوى (نُشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠م)

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإبائه، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

وَعُدْتُ وَمَا أَعَقَبْتُ إِلَّا التَّنَدُّمًا
تَهْدَمُ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهْدَمُ
فَلَا تَكُ مِصْرِيًّا وَلَا تَكُ مُسْلِمًا
رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَعْنَمًا
فَإِنْ سَاءَتْ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلُ أَنْ يَتَحَطَّمَا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَمًا
فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا
فَلَا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِينَ وَلَا دَمًا
لِذِي مَنَّةٍ أَوْلَى الْجَمِيلِ وَأَنْعَمًا
وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمًا
وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سَلَمًا
بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمًا
وَجَشَّمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمًا
وَمَا اسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمََا
فَإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَطْعَمًا
وَكَمْ جَالَ فِي أَنْحَاكَ الْهَمُّ وَارْتَمَى
تَنْفُسُ عَنْكَ الْكَرْبَ إِنْ بَتَّ مُبْرَمًا؟
عَلَى صَاحِبٍ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَمًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْوَدَّ فِي الْحَيِّ أَسْقَمًا
وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ السُّرَى أَيْنَ يَمَّمَا

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّمَ
لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِعٍ
أَضَرَّتْ بِهِ الْأَوْلَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا
فَهَبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نَكْبًا وَأُطْفِئِي
فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فُضَائِلِي
فِيَا قَلْبُ لَا تَجَزَّعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى
وَيَا عَيْنُ قَدْ أَنْ الْجُمُودُ لِمَدَمَعِي
وَيَا يَدُ مَا كَلَّفَتْكَ الْبَسْطَ مَرَّةً
فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أَنْمِلِ الْبَلَى
وَيَا قَدَمِي مَا سِرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ
فَلَا تُبْطِئِي سَيْرًا عَلَى الْمَوْتِ وَعِلْمِي
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا
فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَمِرَّنِي مَرَّ طَعْمِهِ
فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا فَتَجَمَّلِي
وَيَا صَدْرُ كَمْ حَلَّتْ بِذَاتِكَ ضِيقَةٌ
فَهَلَّا تَرَى فِي ضِيقَةِ الْقَبْرِ فَسْحَةً
وَيَا قَبْرُ لَا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةٍ
وَهِيَهَاتَ يَأْتِي الْحَيُّ لِلْمَيِّتِ زَائِرًا
وَيَأْيُهَا النَّجْمُ الَّذِي طَالَ سُهُدُهُ

لَعَلَّكَ لَا تَنْسَى عُهُودَ مُنَايِمٍ تَعْلَمَ مِنْكَ الشُّهَدَ وَالْأَيْنَ كُلَّمَا

(٥) الإخفاق بعد الكدّ (نشرت سنة ١٣١٨هـ - سنة ١٩٠٠م)

وفيها ينعي مجد الترك والعرب، ويشير إلى معان أخرى في الشكوى

ماذا أَصَبْتُ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّصَبِ
وَطَيْكَ الْعُمَرَ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْحَبَبِ؟
نَرَاكَ تَطْلُبُ لَا هَوْنًا وَلَا كُتْبًا
وَلَا نَرَى لَكَ مِنْ مَالٍ وَلَا نَشَبِ
لَا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَلَامِ عَلَى
هَذَا الْعِثَارِ فَإِنِّي مَهْطُ الْعَجَبِ
وَدِدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِئْتُهُمْ
فِي مَسْبَحِ الْخُوتِ أَوْ فِي مَسْرَحِ الْعَطَبِ
لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكَابِدُهُ
فَوَدَّ تَعْجِيلَنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
غَنِّي أَحْتَسَبْتُ شَبَابًا بَتُّ أَنْفِقُهُ
وَعَزَمْتُ شَابَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَشَبِ
كَمْ هَمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلَةً
وَكَمْ لَبِسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسَةً
وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي
لَدَى السُّرَى ثَامِنًا لِلْسَّبْعَةِ الشُّهْبِ
لَكِنِّي غَيْرُ مَجْدُودٍ وَمَا فَتِنْتُ
يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِنِي عَنِ الْأَرْبِ
وَقَدْ غَدَوْتُ وَأَمَالِي مُطَرَّحَةً
وَفِي أُمُورِي مَا لِلضَّبِّ فِي الذَّنَبِ

فَإِنْ تَكُنْ نِسْبَتِي لِلشَّرْقِ مَا نِعَتِي
 حَظًّا فَوَاهَا لِمَجْدِ التُّرْكِ وَالْعَرَبِ
 وَقَاضِبَاتٍ لَهُمْ كَانَتْ إِذَا اخْتَرِطْتُ
 تَدَثَّرَ الْغَرْبُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الرَّهَبِ
 وَجَمْرَةٍ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَا هَمَدْتُ
 وَلَا عَلَاهَا رِمَادُ الْحَتْلِ وَالْكَذِبِ
 مَتَى أَرَى (النَّيْلَ) لَا تَحْلُو مَوَارِدُهُ
 لَغَيْرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
 فَقَدْ غَدَتْ (مَضْرُ) فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرْتُ
 جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
 كَأَنَّنِي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَ بِهَا
 قَرْمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَبِ
 إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعُ السَّجْنِ مُتَّكِّئًا
 وَإِنْ سَكْتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ
 أَيَشْتَكِي الْفَقْرَ غَادِينَا وَرَائِحُنَا
 وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْقَوْمُ فِي (مَضْرُ) كَالْإِسْفَنْجِ قَدْ ظَفَرْتُ
 بِالْمَاءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لِمُحْتَلِبِ
 (يَا آلَ عُثْمَانَ) مَا هَذَا الْجَفَاءُ لَنَا
 وَنَحْنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانُ وَفِي الْكُتُبِ
 تَرَكْتُمُونَا لِأَقْوَامٍ تُخَالِفُنَا
 فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

(٦) حسرة على فائت (نشرت في يونيه سنة ١٩٠٢م)

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا إِلَّا بَقِيَّةَ دَمْعٍ فِي مَآقِينَا
 كُنَّا قِلَادَةً جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا

كانت مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِخَةً لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
وَكُنْ أَقْصَى مُنَى نَهْرٍ (الْمَجْرَّة) لَوْ مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
وَالشُّهُبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَحَّرَةً لَرَجَمَ مَنْ كَانَ يَبْدُو مِنْ أَعَادِينَا
فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا شَزْرًا وَتَخْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِينَا
حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاهٌ وَلَا نَشَبٌ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَسِّينَا

(٧) وداع الشباب (نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢م)

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مرَّ بها بعد عهد طويل من تحوُّله عنها فتحركت في نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

كَمْ مَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُهُ وَدَعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا عَلِقْتُ بِهِ
أَهْفُو إِلَيْهِ عَلَى مَا أَقْرَحْتُ كَيْدِي لَيْسَتْهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ طَيِّعَةٌ
فَكَانَ عَوْنِي عَلَى وَجْدٍ أَكَابِدُهُ إِنَّ خَانَ وَدِّي صَدِيقٌ كُنْتُ أَصْحَبُهُ
قَدْ أَرْخَصَ الدَّمْعُ يَنْبُوعُ الْغَنَاءِ بِهِ كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ
لَمْ أَذِرْ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ قَالُوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فَعَيْشُ
فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صِرَامَتُهُ بُدِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلَتُهُ
أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهِدُوا وَمَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ
مَنْ الشَّبَابُ وَمَا وَدَّعْتُ ذِكْرَهُ مِنَ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ
وَالنَّفْسُ جَيَّاشَةٌ وَالْقَلْبُ أَوَاهُ وَمَرَّ عَيْشٌ عَلَى الْعِلَاقِ أَلْقَاهُ
أَوْ خَانَ عَهْدِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَهْوَاهُ وَاهْفَافِي، وَنُضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلَاهُ
مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْنًا فِي حَنَائَاهُ فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأُفْنَاهُ
حُرًّا فِي الْإِسْرِ ذُلٌّ كُنْتُ تَابَاهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ
وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ أَمَّا الْمَشِيبُ فِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

وقال: (كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظَّه ويتشوق إلى

مصر)

وقال:

(٨) شكوى الظلم

لقد كانتِ الأمثالُ تُضربُ بَيْنَنَا
فلما بدتْ في الكونِ آياتُ ظْلَمِهِمْ
بَجَورٍ (سُدُومٍ) وهو من أظلمِ البَشَرِ
إذا (بَسْدُومٍ) في حُكُومَتِهِ (عُمَرُ)

وقال في مرض له:

مَرِضْنَا فما عَادَنَا عَائِدُ
ولا حَنٌّ طَرَسَ إلى كَاتِبِ
سَكَّتْنَا فَعَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ
فيا دَوْلَةً آذَنْتَ بِالزَّوَالِ
ولا تَحْسِبِنَا سَلَوْنَا النَّسِيبَ
ولا قِيلَ: أَيْنَ الْفَتَى الْأَلْمَعِي؟
ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِسْمَعِ
وهان الكلامُ على المُدَّعِي
رَجَعْنَا لَعَهْدِ الْهَوَى فَارْجِعِي
وبين الضُّلُوعِ فَوادٍ يَعي

(٩) سجن الفضائل

نَعِمَنْ بِنَفْسِي وَأَشَقَيْتَنِي
خِلَالُ نَزَلَنْ بِخُصْبِ النُّفُوسِ
تَعَوَّدَنْ مَنِّي إِبَاءَ الْكَرِيمِ
وَعَوَّدَتْهُنَّ نِزَالَ الْخُطُوبِ
إذا ما لَهَوْتُ بَلِيلِ الشَّبَابِ
فما زِلْتُ أَمْرُحُ فِي قَدْهِنِ
إلى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ
فيا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تُوقِنِينَ
فهذي الْفَضِيلَةُ سِجْنُ النُّفُوسِ
فلا تَسْأَلِينِي مَتَى تَنْقُضِي
فيا لَيْتَهُنَّ ويا لَيْتَنِي
فَرَوَيْنَهُنَّ وَأَظْمَأَنِي
وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتِيهِ الْغَنِي
فما يَنْتَثِرِينَ وما أُنْثَنِي
أَهْبَنَ بَعَزْمِي فَنَبَّهَنِي
وَيَمْرَحَنْ مَنِّي بَرَوْضَ جَنِي
وَأَوْشَكَ عُودِي أَنْ يَنْحَنِي
بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فَاسْتَيْقَنِي
وَأَنْتِ الْجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِي
ليالي الإسارِ؟ ولا تَحْزَنِي

(١٠) كتاب إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

كتب به إليه من السودان

كتابي إلى سيدي، وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل، ومن تيهي به فوق
النثرة والإكليل؛ وقد تعجلت السرور، وتسلفت الحبور؛ وقطعت ما بيني وبين النوائب

وبشرت أهلي بالذي قد سمعته فما محنتي إلا ليالٍ قلائلُ
وقلت لهم: للشيخ فينا مشيئة فليس لنا من دهرنا ما ننازلُ

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي بالصمصامة، والحارث بالنعامة؛ فلم أقل ما قال
الهدلي لصاحبه حين نسي وعده، وحجب رفده:

يا دار عاتكة التي أتعزلُ

بل أناديه نداء الأخيذة في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكر
إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه؛ وأعتمد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح على
نجمة القطب.

وقال أصحابي وقد هالني النوى وهالهم أمري: متى أنت قافلُ؟
فقلت: إذا شاء الإمام فأوبتي قريب وربعي بالسعادة أهلُ

وهأنا متماسك حتى تنحسر هذه الغمرة، وينطوي أجل تلك الفترة؛ وينظر لي
سيدي نظرة ترفعني من ذات الصدع، إلى ذات الرجع؛ وتردني إلى وكري الذي فيه
درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها.

فإن شاء فالقرب الذي قد رجوته وإن شاء فالعز الذي أنا أملُ

وإلا فإنني قافُ (رُوبَة) لم أزلُ بقَيْدِ النوى حتَّى تَعُولَ العَوائلُ

فلقد حَلَلْتُ السُّودانَ حُلُولَ الكَلِيمِ في التَّابوتِ، والمُغاضِبِ في جَوْفِ الحُوتِ؛ بين الضِّيقِ والشَّدَّةِ، والوَحْشَةِ والوَحْدَةِ. لا، بل حُلُولَ الوَزيزِ في تَنُورِ العَذابِ والكافرِ في مَوْقِفِ يومِ الحِسابِ؛ بين نارَينِ: نارِ القَيْظِ، ونارِ الغَيْظِ.

فنادَيْتُ باسمِ الشَّيخِ والقَيْظِ جَمْرَهُ يُذِيبُ دِمَاعَ الضَّبِّ والعَقْلُ ذَاهِلُ
فَصِرْتُ كَأَنِّي بينَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ تَدْبُ الصَّبَا فيه وتَشْدُو البَلابلُ

واليومَ أَكْتُبُ إليه وقد قَعَدْتُ هَمَّةَ النُّجْمَيْنِ، وقَصَّرْتُ يَدَ الجَدِيدَيْنِ؛ عن إِزَالَةِ ما في نَفْسِ ذلكَ الجَبَّارِ العَنيدِ، فلقد نَمَى ضُبُّ ضَغْنِهِ عَلَيَّ، وَبَدَرْتُ بوَادِرِ السُّوءِ منه إِلَيَّ؛ فَأُضْبَحْتُ كما سَرَّ العَدُوَّ وسَاءَ الحَمِيمِ، وآلَمِي كَأَنَّهَا جُلُودُ أَهْلِ الجَحِيمِ، كُلَّمَا نَضَجَ منها أديمٌ تَجَدَّدَ أديمٌ؛ وأَمْسَيْتُ وَمُلْكُ آمَالِي إلى الزَّوالِ أُسْرَعُ من أَثَرِ الشَّهَابِ في السَّمَاءِ، ودَوْلَةُ صَبْرِي إلى الاضْمِحْلالِ أَحْتُ من حَبَابِ الماءِ؛ فنَظَرْتُ في وُجُوهِ تلكَ العِبَادِ، وإِنِّي لَفَارِسُ العَيْنِ والفُؤادِ؛ فَلَمْ تَقِفْ فِرَاسَتِي على غيرِ بابِكِ.

وَإِنِّي أَهْدِيكَ سَلامًا لو امْتَرَجَ بالسَّحَابِ، واختَلَطَ منه باللُّعَابِ؛ لأُضْبَحْتَ تَتَهَادَى بِقَطْرِهِ الأكاسِرَ، وَأَمْسَتْ تَدَخِرُ منه الرُّهْبَانُ في الأَدِيرَةِ؛ ولأَعْنَى ذاتِ الحِجابِ، عن الغَالِيَةِ والمَلَابِ؛ ولا بَدَعَ إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بالرَّدِّ، فقد يُرى وَجْهُ المَلِكِ في المِرْآةِ، وَخَيَالُ القَمَرِ في الأَضَاةِ؛ وَإِنْ حالَ حائلٌ، دونَ أُمْنِيَّةِ هذا السَّائِلِ؛ فهو لا يَدُمُ يَوْمَكَ، ولا يَبْئِاسُ من عَدِكَ؛ فَأَنْتَ خَيْرٌ ما تَكُونُ حِينَ لا تَظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا؛ والسَّلَامُ.

المراثي

(١) رثاء عثمان السيّد أباطه بك سنة ١٩٨٦م

فليس ذلك يومَ الرَّاحِ والْعُودِ
ماءِ المَدَامِيعِ عن ماءِ العَنَاقِيدِ
صَوْتُ النُّوَادِبِ لا صَوْتُ الأَغَارِيدِ
وَبَلِّغَا الغَيْدَ عَنِّي سَلْوَةَ الغَيْدِ
قد آلَ أُمْرِي إلى هَمٍّ وتَسْهِيدِ
مِنَ الحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنكُودِ؟
دَاعِي المَنُونِ وَأَنِّي غَيْرُ مَنشُودِ
أَرْضُ تَوَارَيْتَ فِيهَا يا فَتَى الجُودِ
قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرُ مَلْحُودِ
لَحْمَلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأَمَاجِيدِ
وَأَثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى القَفْرِ والبِيدِ
هَذَا الفَقِيدَ بَثْوٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
أَكْبَرَتْهَا عِنْدَ تَلْيِينِ وَتَشْدِيدِ
جَفَّتْ عَلَيْكَ مَاقِي الحُرْدِ الخُودِ
عَلَيْكَ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمَعْمُودِ
بِالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ فِي النَّاسِ مَحْمُودِ
أَفَقَ البُدُورِ وَغَابَا لِلصَّنَادِيدِ

رُدًّا كُتُوسَكُما عن شِبْهِ مَفْؤُودِ
يا سَاقِيَّ أَرَانِي قد سَكَنْتُ إلى
وَبْتُ يَرْتَاخُ سَمْعِي حِينَ يَفْتَقُّهُ
فَأَمْسَكَ الرَّاحَ إِنِّي لا أَخَامِرُهَا
ثُمَّ أَمْضِيَا وَدَعَانِي إِنَّنِي رَجُلٌ
أَبْعَدُ (عُثْمَانُ) أَبْغِي مَأْرَبًا حَسَنًا
إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ جَاءَ يَنْشُدُهُ
أَمْسَتْ تَنَافَسَ فِيكَ الشُّهَبُ مِنْ شَرَفِ
لو لم تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأنْبِيَاءُ لَهَا
وَوَدَّتْ الرِّيحُ لو كَانَتْ مُسَخَّرَةً
وَالشَّمْسُ لو أَنَّهَا مِنْ أَفْقِهَا هَبَطَتْ
وقد تَمَنَّى الضُّحَى لو أَنَّهُمْ دَرَجُوا
يا رَاحِلًا أَكْبَرَتْكَ الحَادِثَاتُ وَمَا
أَبْكَيْتَ حَتَّى الْعَلَا والمَكْرُمَاتُ وَمَا
وَبَاتَ أَلْكَ والأَصْحَابُ كُلُّهُمْ
يَبْكُونَ فَقَدْ أَمْرِي للخَيْرِ مُنْتَسِبِ
(بَنِي أَبَاطَةَ) لا زَالَتْ دِيَارُكُمْ

لا قَدَّرَ اللهُ بعدَ اليومِ تَعْرِيةً إلاَّ هَنَاءً على عِزٍّ وتَخْلِيدِ
وعَظَمَ اللهُ في (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ في رَحْمَةِ اللهِ أُمْسَى خَيْرَ مَغْمُودِ

(٢) رثاء سليمان أباطه باشا (قيلت في سنة ١٨٩٧م)

أَيْهَذَا التَّرَى إِلَامَ التَّمَادِي بَعْدَ هَذَا أَأَنْتَ غَرْتَانُ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدْمَعِ كُلِّ يَوْمٍ وَتُعَذِّي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ وَرَقْدَ آدَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
فَالْتَمَسَ بَعْدَهُ الْمَجَرَّةَ وَرَدًّا وَتَزَوَّدَ مِنَ النُّجُومِ بَزَادِ
لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
بَخْدُودِ الْحِسَانِ، بِالْأَعْيُنِ النُّجْ لِي، بِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءً) إِلَّا لِنَشْقَى لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
أَسْلَمْتُنَا عَلَى صُرُوفِ زَمَانٍ ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ الْوِدَادِ
أَيُّهَا الْيَمُّ كَمْ بِقَاعِكَ نَفْسٍ فَيْكَ أَوْدَتْ مِنْ عَهْدِ ذِي الْأَوْتَادِ
قَدْ تَحَالَفَتِ وَالتُّرَابَ عَلَيْنَا وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
خَبَرِينَا جُهَيْنَ لَا تَكْذِبِينَا مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْبَلَى بِالْجَوَادِ؟
كَيْفَ أُمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ ذَلِكَ الْمُنْعِمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ لَفْظًا شَهِيًّا كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ طَرْفًا ثَقِيًّا وَيَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الْعَوَادِي
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا كَانَ مِلءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادِي
أَلْهَمَ اللهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا كُلَّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضَّادِ
بِتَّ فِي حُلَّةِ النَّعِيمِ وَبِتْنَا فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَسَى وَالسُّهَادِ
وَسَكَنْتِ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ وَسَكَنَّا عَلَيْكَ بَيْتَ الْجِدَادِ

وقال يرثيه أيضًا:

لا وَالْأَسَى وَتَلَهَّبِ الْأَحْشَاءِ مَا بَاتَ بَعْدَكَ مُعْجَبٌ فَوْفَاءِ
أَنْتِي حَلَلْتُ أَرَى عَلَيْكَ مَا تِمًّا فَلِمَنْ أَوْجَّهَ فِيكَ حُسْنَ عَزَائِي؟

لَبَنِيكَ، أَمْ لَدَوِيكَ، أَمْ لِلْكُونِ، أَمْ
 أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ
 لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرَّقَابِ فَقَدْ كَفَى
 وَذَرُوا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِيعِ نَعْشَهُ
 تَالِلِهِ لَوْ عَلِمَتْ بِهِ أَعْوَادُهُ
 خُلِقَ كَضَوْءِ الْبَدْرِ، أَوْ كَالرُّوْضِ، أَوْ
 وَشَمَائِلُ لَوْ مَا زَجَّتْ طَبَعَ الدُّجَى
 وَمَحَامِدُ نَسَجَتْ لَهُ أَكْفَانُهُ
 وَمَنَاقِبُ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالتَّقَى
 وَعَزَائِمُ كَانَتْ تَقُلُّ عَزَائِمُ الـ
 عَطَلَتْ فَنَ الشُّعْرُ بَعْدَكَ وَانْطَوَى
 وَاللُّلُ اسْتَعَصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ
 إِلَّا عَلَى طَرْفِ بَكَكَ وَشَاعِرِ
 شَوَّقَتْنَا لِلتُّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى
 ثَبَّتْ فَوَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصْبُرِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ

لِلدَّهْرِ، أَمْ لَجْمَاعَةِ الْجَوَازِ؟
 حُسْنُ الْوَفَاءِ وَبَهْجَةُ الْعُلَيَاءِ
 مَا حَمَلَتْ مِنْ مَنَّةٍ وَعَطَاءِ
 يَسْرِي بِهِ لِلرُّوْضَةِ الْفِيحَاءِ
 مُذْ لَامَسَتْهُ لِأَوْرَقَتْ لِلرَّائِي
 كَالزَّهْرِ، أَوْ كَالْخَمْرِ، أَوْ كَالْمَاءِ
 مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ النَّائِي
 مِنْ عِقْفَةٍ، وَسَمَاحَةٍ، وَإِبَاءِ
 قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ
 أَحَادِثِ، وَالْإِيَّامِ، وَالْأَعْدَاءِ
 أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعْرَاءِ
 بِسُمُوطٍ مَدَحٍ أَوْ سُمُوطِ هَنَاءِ
 أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَاثِي الْخَنَسَاءِ
 فِيهِ الْإِقَامَةُ وَاجِدُ الْعِذْرَاءِ
 وَاشْرَحْ (لَالِ أَبَاطَةِ) بُرْحَائِي
 ضَيْفًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرْمَاءِ

(٣) رثاء الملكة فكتوريا (نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١م)

أُعْزِي الْقَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي
 وَأَعْلِنُ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَدْعُو الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ
 بِحُكْمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ
 أَشْمُسُ الْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ
 هَوَتْ أَمْ تِلْكَ مَالِكَةُ الْبَحَارِ
 فَطَرَفُ الْغَرْبِ بِالْعِبْرَاتِ جَارِي

وَعَيْنُ الْيَمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ
 بَنْظَرَةٍ وَاجِدٍ قَلِقِ الرَّجَاءِ
 أُمَالِكَةَ الْبِحَارِ وَلَا أُبَالِي
 إِذَا قَالُوا تَغَالَى فِي الْمَقَالِ
 فَمِثْلُ عَلَاكِ لَمْ أَرِ فِي الْمَعَالِي
 وَلَا تَاجًا كَتَاجِكَ فِي الْجَلَالِ
 وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ
 مَلَأَتِ الْأَرْضَ أَعْلَامًا وَجُنْدًا
 وَشَدَّتْ لَأَمَّةٍ (السَّكُّسُونِ) مَجْدًا
 وَكُنْتُ لِغَالِلِهَا يُمْنًا وَسَعْدًا
 تَرَى فِي نَوْرِ وَجْهِكَ إِنْ تَبَدَّى
 سُعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ
 وَكُنْتُ إِذَا عَمَدْتُ لِأَخْذِ ثَارِ
 أَسْلَيْتِ الْبَرَّ بِالْأَسَدِ الضُّوَارِي
 وَسَيَّرْتِ الْمَدَائِنَ فِي الْبَحَارِ
 وَأَمْطَرْتِ الْعَدُوَّ شِوَاظَ نَارِ
 وَذَرَّيْتِ الْمَعَاقِلَ فِي الْهَوَاءِ
 أُعْزِّي فِيكَ تَاجَكَ وَالسَّرِيرَ
 أُعْزِّي فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَ
 أُعْزِّي فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْهَاصُورِ
 عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَ
 وَظَلَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاءِ
 أُعْزِّي فِيكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ
 وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
 وَالْقُوا بِالْعَدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ
 وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
 لَهَيْبِ الصَّيْفِ أَوْ قُرِّ الشِّتَاءِ

(٤) بيتان كُتبا على قبر السيّد عبد الرحمن الكواكبي (في سنة ١٩٠٢)

هنا رَجُلُ الدُّنْيَا، هنا مَهْبطُ التَّقَى هنا حَيْرُ مَظْلُومٍ، هنا حَيْرُ كَاتِبٍ
قِفُوا وَاقْرَءُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَلِّمُوا عليه فهذا القَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِيِّ)

(٥) رثاء محمود سامي البارودي باشا (نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥م)

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ (محمود)
إِنِّي عَيِّتُ وَأَعْيَا الشُّعْرُ مَجْهُودِي
ما لِلْبَلَاغَةِ غَضْبَى لَا تُطَاوِعُنِي
وما لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِ؟
ظَنَنْتُ سُكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ
فَأَسْلَمْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
ولو دَرْتُ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَفْحَمَنِي
لَأُطْلَقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلِّ مَعْقُودِ
لَبَّيْكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوحِّشَنَا
يَا فَارِسَ الشُّعْرِ وَالْهَيْجَاءِ وَالْجُودِ
مُلْكُ الْقُلُوبِ — وَأَنْتَ الْمُسْتَقِلُّ بِهِ —
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)
لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتُ
عنها لَيَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ
أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وَازْدَرَيْتَ بِهَا
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلِ بِمَوْجُودِ
لَبَّيْكَ يَا شَاعِرًا ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ
على النُّهَى وَالْقَوَافِي وَالْأَنَاشِيدِ
تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ
تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَرَيِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ

فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُّ بِهِ
 تَغَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
 لَوْ حَنْطُوكَ بِشِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ
 غَنَيْتَ عَنْ نَفَحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
 حَلَّيْتَهُ بَعْدَ أَنْ هَدَّبْتَهُ بِسَنَا
 عِقْدٍ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْضُودِ
 كِفَاكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى
 يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَاكَ الْعِقْدُ فِي الْجِيدِ
 لَبَّيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْيِرَاعَ، وَمَنْ
 هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودِيَ
 إِنَّ هَذَا رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ
 لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
 إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلِّيَةِ
 غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ
 أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمْرِ وَاحِدَةً
 إِنَّ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
 سَلُوا الْجَبَا هَلْ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًا
 دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ
 كُنْتَ الْوَزِيرَ وَكُنْتَ الْمُسْتَعَانَ بِهِ
 وَكَانَ هَمُّكَ هَمَّ الْقَادَةِ الصَّيْدِ
 كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ
 وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ
 تَقُولُ لِلنَفْسِ إِنَّ جَاشَتْ إِلَيْكَ بِهَا
 هَذَا مَجَالِكُ سُودِي فِيهِ أَوْ بِيَدِي
 نَسَخْتُ (يَوْمَ كَرِيدٍ) كُلَّ مَا نَقَلُوا
 فِي يَوْمٍ (ذِي قَارٍ) عَنْ (هَانِي بْنِ مَسْعُودٍ)
 نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سِلْكِ الْفَنَاءِ بِهِ
 عَلَى رَوِيٍّ وَلَكِنْ غَيْرُ مَعْهُودِ

كَأَنَّهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ
 يَرْمِي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رَعِيدٍ
 أَوْدَى (الْمَعْرِي) تَقْيُّ الشُّعْرِ مُؤْمِنُهُ
 فَكَادَ صَرُحُ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي
 وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبٍ
 وَأَقْفَرَ الرُّؤُصُ مِنْ شَدْوٍ وَتَغْرِيدٍ
 وَأَصْبَحَ الشُّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبِذُهُ
 كَأَنَّهُ دَسَمٌ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ
 أَلَوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْنَئَتُهُ
 فَرَاخَ يَغْتَرُّ فِي حَشْوٍ وَتَغْقِيدٍ
 وَأُنْكَرَتْ نَسَمَاتُ الشُّوقِ مَرْبَعَهُ
 تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
 لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعَوْهُ جَوْفٌ لَوُلُوءَةٍ
 مِنْ كَنْزِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أَخْدُودِ
 وَكَفَّنُوهُ بِدَرْجٍ مِنْ صَحَائِفِهِ
 أَوْ وَاضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ
 وَأَنْزَلُوهُ بِأُفُقٍ مِنْ مَطَالِعِهِ
 فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ
 وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مُحَاسِنَهُ
 لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْبِيدِ
 أَقُولُ لِلْمَلَأِ الْغَادِي بِمَوْكِبِهِ
 وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَكْبُودٍ وَمَقْفُودِ
 غُضُّوا الْعُيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ
 مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (لِمَحْمُودِ)
 يَا وَيْحَ الْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَمَرٍ
 مُقَسَّمِ الْوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ

يا وَيَحَهُ حَلَّ فِيهِ ذُو قَرِيحَتُهُ
لَهَا بِخِذْرِ الْمَعَالِي أَلْفُ مَوْلُودٍ
فَرَائِدُ خُرْدٍ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا
مُخْصِي الْجَدِيدِ سَجَلَاتِ الْمَوَالِيدِ
كَأَنَّهَا وَهِيَ بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةٌ
وَحُسْنُهَا بَيْنَ مَشْهُودٍ وَمَحْسُودٍ
لَأَلَى خَلْفَ بَلُورٍ قَدْ اتَّسَقَتْ
فِي بَيْتٍ دُهْقَانٍ تَسْتَهْوِي نُهَى الْغِيدِ
(مَحْمُودٌ) إِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ فِي كَلِمِي
حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِي
فَاعِزِرْ قَرِيضِي وَاعِزِرْ فِيكَ قَائِلَهُ
كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْدُودٍ

(٦) رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥م)

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَحَمَّدٍ
عَلَى الدِّينِ والدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِجَا
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ
فَوَا لَهْفِي - وَالْقَبْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ -
وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا
لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا
وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأَنْزَلُوا
تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحَمَّدٍ
تَبَارَكْتَ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى
زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَوَاهَا لَهُ أَلَّا يُصِيبَ مُوَفَّقًا
سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضْرَاتِ
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، عَلَى الْحَسَنَاتِ
فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَمُ النَّظَرَاتِ
كَأَنِّي حَيَالِ الْقَبْرِ فِي عَرَفَاتِ
تَجَالِيَدِهِ فِي مُوَحِّشِ بَقْلَةٍ
بَخِيرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرَ رُفَاتِ
أَيُّتْرِكَ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حُمَاةٍ؟
وَلَا نَتُّ قَنَاةَ الدِّينِ لِلْغَمَزَاتِ
وَبِنْتُ وَلَمَّا نَجَّتِ الثَّمَرَاتِ
يُشَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتِ

مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاخِنَا
 وَجَالَتْ بَنَا تَبْغِي سِوَاكَ عُيُونُنَا
 وَأَذُوكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأُنْكَرُوا
 رَأَيْتَ الْأَدَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةً
 لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوَكْبًا فِي غِيَاهِبِ
 أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً
 وَوَفَّقْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِجَا
 وَقَفَّتْ (لِهَانُوتُو) وَ(رِينَانَ) وَقَفَّةً
 وَخَفَّتْ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفِ
 وَكَمْ لَكَ فِي إِنْغَاءَةِ الْفَجْرِ يَقْظَةً
 وَوَلَّيْتَ شَطْرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيَا
 وَكَمْ لَيْلَةً عَانَدْتَ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى
 وَأُرْصَدْتَ لِلْبَاغِي عَلَى رَيْنِ أَحْمَدِ
 إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرْسِ فَاضَ جَبِينُهُ
 كَأَنَّ قَرَارَ الْكَهْرِبَاءِ بِشَقِّهِ
 فَيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِشِهِ
 حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِنْبَرًا
 وَأَطْفَأْتَ نِبْرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا
 رَأَى فِي لِيَالِيكَ الْمُنْجَمُ مَا رَأَى
 وَنَبَّأَهُ عِلْمُ النُّجُومِ بِحَادِثِ
 رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَاوِرُ
 فَأَوْدَى بِهِ خَتْلًا فَمَالَ إِلَى الثَّرَى
 وَشَاعَتْ تَعَاذِي الشُّهْبِ بِاللَّمْحِ بَيْنَهَا
 مَشَى نَعِشُهُ يَخْتَالُ عُجْبًا بِرَبِّهِ
 تَكَادَ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تَقْلُهُ
 بَكَى الشَّرْقُ فَارْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً
 فِي الْهِنْدِ مَحْزُونٌ وَفِي الصِّينِ جَارِعُ

فَرَدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ
 فَعُذْنَ وَآثَرْنَ الْعَمَى شَرِقَاتِ
 مَكَانَكَ حَتَّى سَوَدُوا الصَّفَحَاتِ
 وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُمْ لَهُ بِشَكَاةِ
 وَمَعْرِفَةٍ فِي أَنْفُسِ نَكِرَاتِ
 وَفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
 فَأُطْلَعْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
 أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّفَحَاتِ
 فَخَافَكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالنَّزَعَاتِ
 نَفَضْتَ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْهَجَعَاتِ
 تُنَاجِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ
 وَنَبَّهْتَ فِيهَا صَادِقَ الْعَزِمَاتِ
 شَبَابَةَ يَرَاعِ سَاحِرِ النَّفَثَاتِ
 بِأَسْطَارِ نُورٍ بَاهِرِ اللَّمَعَاتِ
 يُرِيكَ سَنَاهُ أَيْسَرُ اللَّمَسَاتِ
 لَأَنْتَ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
 وَأَذُوَيْتَ رَوْضًا نَاضِرَ الزَّهَرَاتِ
 عَلَى جَمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ
 فَأَنْذَرْنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَثَرَاتِ
 تَبَيَّتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
 وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرَّمِيَاتِ
 وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْخَرِفَاتِ
 عَنِ النَّيِّرِ الْهََاوِي إِلَى الْفَلَوَاتِ
 وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّمَسِ وَالْقُبْلَاتِ
 وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعْرِعَاتِ
 وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكُونِ بِالْعَبَرَاتِ
 وَفِي (مَضَرَ) بَاكِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ

وفي تُونُسٍ ما شِئْتَ من زَفَرَاتِ
سِرَاجِ الدِّيَاجِي هَادِمِ الشُّبُهَاتِ
غِيَاثِ نَوِي عُدْمِ إِمَامِ هُدَاةٍ
وإن كان زِكْرِي حِكْمَةً وَثَبَاتٍ
إلى نورِ هذا الوَجْه بالِسَّجَدَاتِ
وطاشتْ بها الآرَاءُ مُشْتَجِرَاتٍ
ويا وَيْحَ لِلخَيْرَاتِ والصَّدَقَاتِ
على أنْفُسٍ لِه مُنْقَطِعَاتِ
بإحْسَانِه والدَّهْرُ غَيْرُ مُوَاتِي
وَأَرْغَمَ حُسَّادِي وَغَمَّ عُدَاتِي
وفيه الأيادي مَوْضِعُ اللَّيْنَاتِ
عَبُوسَ المِغَانِي مُقْفِرَ العَرَصَاتِ؟
تَطُوفُ بِكَ الأَمَالُ مُبْتَهَلَاتِ
وَمَطْلَعِ أنْوَارٍ، وَكُنْزِ عِظَاتِ

وفي الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وفي الفُرْسِ نَادِبٌ
بَكَّى عَالَمَ الإسلامِ عَالِمَ عَصْرِهِ
مَلَاذَ عَيَايِلِ ثِمَالِ أَرَامِلِ
فلا تَنْصَبُوا للناسِ تِمثالَ (عَبْدِه)
فإنِّي لأخْشَى أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِنُوا
فيا وَيْحَ للشُّورى إذا جَدَّ جَدُّهَا
ويا وَيْحَ للفتْيا إذا قِيلَ مَنْ لَهَا؟
بَكَيْنًا على فَرْدٍ وإنْ بُكَاءُنَا
تَعَهَّدَهَا فَضْلُ الإِمَامِ وَحَاطَهَا
فيا مَنْزِلًا في (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظْلَنِي
دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَآسَاسُهُ الهُدَى
عليكَ سَلامُ اللهِ، ما لَكَ مُوحِشًا
لقد كُنْتَ مَقْصُودَ الجَوَانِبِ أَهْلًا
مَشَابَهَ أَرْزَاقٍ، وَمَهْبِطَ حِكْمَةٍ

(٧) رثاء مصطفى كامل باشا (نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨)

فَكَبَّرُ وَهَلَّلُ وَالْقَ ضَيْفَكَ جَاثِيَا
شَهِيدَ العُلا في زَهْرَةِ العُمَرِ ذَاوِيَا
لَكَانَ التَّاسِي مِنْ جَوَى الحُزْنِ شَافِيَا
وَهِيَهَاتِ أَنْ يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ ثَانِيَا
وَأَيْنَ الحِجَا والرَّأْيِ؟ وَيَحَكَ هَاهِيَا
فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الَّذِي كَانَ عَالِيَا
إلى المَجْدِ فَاسْتَحْيَا النُّفُوسَ البَوَالِيَا
وإنِّي أُجِيدُ اليَوْمَ فَيْكَ المَرَاثِيَا
وفيكِ، وإلا ما لَذَا الشُّعْبِ بِاِكْيَا
لِما فيه من داءِ النُّفُوسِ مُدَاوِيَا

أَيَا قَبْرُ هذا الضَّيْفِ آمالُ أُمَّةٍ
عَزِيزُ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فَيْكَ (مُصْطَفَى)
أَيَا قَبْرُ لو أَنَا فَقَدْنَاهُ وَحَدَه
ولكنْ فَقَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ
فيا سائِلِي أَيْنَ المُرُوءَةِ والوفا
هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَأْمَنُوا كُلَّ صَائِحٍ
ومَاتَ الَّذِي أَحْيَا الشُّعُورَ وسَاقَه
مَدَحْتِكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فلم أَجِدْ
عليكَ، وإلا ما لَذَا الحُزْنِ شَامِلًا
يَمُوتُ المُدَاوِي لِلنُّفُوسِ ولا يَرَى

فَأَسْهَدْتَنَا حُزْنًا وَأَمْسَيْتَ غَافِيَا
يَرِنُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ دَاوِيَا
فَلَا تَهْدِمُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
قَضَيْتُ وَأَنَّ الْحَيَّ قَدْ بَاتَ خَالِيَا
وَكُونُوا رِجَالًا لَا تَسْرُوا الْأَعَارِيَا
تُشَارِفُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بِإِلِيَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخِلَافِ الدَّوَاهِيَا
عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا فَنَمَ أَنْتَ هَانِيَا
وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وَإِنْ كُنْتُ نَانِيَا
أَخُو الْبَأْسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بَاكِ يَا
تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتُ يَا نِيلُ جَارِيَا
إِلَى الْحَشْرِ لَا زَالَ انْجِلَالُكَ بَاقِيَا
ثِقُوا أَنْ نَجَمَ السَّعْدُ قَدْ غَارَ هَاوِيَا
بَجِيدِ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
فَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتُ جَيْشًا مُغَاوِيَا

وَكُنَّا نِيَامًا حِينَمَا كُنْتَ سَاهِدًا
شَهِيدَ الْعُلَا، لَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا
يُهَيْبُ بَنَا: هَذَا بِنَاءُ أَقْمَتِهِ
يَصِيحُ بَنَا: لَا تُشْعِرُوا النَّاسَ أَنَّنِي
يُنَاشِدُنَا بِاللَّهِ أَلَا تَفَرَّقُوا
فَرُوحِي مِنْ هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَةً
فَلَا تَحْزَنُوهَا بِالْخِلَافِ فَإِنَّنِي
أَجَلٌ، أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّنَا
بِنَاؤُكَ مَحْفُوظٌ، وَطَيْفُكَ مَائِلٌ
عَهْدُنَاكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرُ أَنْ يُرَى
فَرَحُصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءُ وَفِي عَدِ
فِيَا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
وَيَا (مَضْرُ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ
وَيَاهْلَ (مَضْرُ) إِنْ جَهَلْتُمْ مُصَابِكُمْ
ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً
سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ

(٨) رثاء مصطفى كامل باشا أيضًا

أنشدها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨م

وَأَتَيْتُ أَنْثُرُ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي
هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
وَالْعَيْشُ عَيْشٌ مَذْلَةٌ وَإِسَارِ
عَادٍ وَصَاحُ الصَّائِحُونَ: بَدَارِ
طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ
جَهْلًا بِدَيْنِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَابِ الْعُلَا
غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمَرْصَدِ
مَا كَانَ أَحْوَجَنَا إِلَيْكَ إِذَا عَدَا
أَيَّنَ الْخَطِيبُ وَأَيَّنَ خِلَابُ النُّهَى؟
بِاللَّهِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيَا
قُمْ وَامْحُ مَا حَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومِرِ)

قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلْكِنَانَةِ كُلَّمَا
غَضِبَ التَّقِيُّ لِرَبِّهِ وَكِتَابِهِ
قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِقْ
أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَاهُ
لَعَبْتُ يَمِينَكَ بِالْيِرَاعِ فَأَعْجَزْتُ
وَجَرَيْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَبْغِي شَأُوهَا
أَوْ كُلَّمَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهَنْدًا
عَزَّ الْقَرَارُ عَلَيَّ لَيْلَةَ نَعْيِهِ
وَتَسَابَقْتُ فِيهِ النُّعَاةَ فطَائِرُ
شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفِي الشُّعُوبُ رِجَالَهَا
تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِشِكَ خُشْعُ
خَطُوهَا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ
وَتَخَالَهُمْ أَنَا لَفَرَطُ خُشُوعِهِمْ
غَلَبَ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فِدْمُوعُهُمْ
قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ
أَسْعَى فَيَأْخُذْنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتُنِي
لَوْ لَمْ أَلُذْ بِالنُّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ
كَمْ ذَاتِ خِذْرِ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى
سَفَرْتُ تُودِعُ أُمَّةً مُحْمُولَةً
أَمِنْتُ عُيُونَ النَّاطِرِينَ فَمَزَقْتُ
قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا
أُذْرِجْتُ فِي الْعَلَمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ
عَلَمَانِ مِنْ فَوْقِ الرُّعُوسِ كِلَاهُمَا
نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَا
تَالِلِهِ مَا جَزَعُ الْمُحِبِّ وَلَا بَكَى

هَمَسْتُ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بَعِثَارِ
أَوْ غَضِبَةَ (الْفَارُوقِ لِلْمُخْتَارِ)
صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةٌ نَارِ
عَزَمْتُ يَهْدُ جَلَائِلَ الْأَخْطَارِ
لَعِبَ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا الْخَطَارِ
فَجَزَى الْقَضَاءُ وَأَنْتَ فِي الْمِضْمَارِ
بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلُ الْأَقْدَارِ
وَشَهَدْتُ مُوَكِّبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
بِالْكَهْرِبَاءِ، وَطَائِرُ بِبُخَارِ
وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِكْبَارِ
يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَاثِكَ) السَّيَّارِ
لِلْحُزَنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
رَكْبُ الْحَجِيجِ بِكَغْبَةِ الزُّوَارِ
عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِي
تَجْرِي بِلَا كَلْحٍ وَلَا اسْتِنَارِ
مَا بَيْنَ سَيْلِ دَافِقٍ وَشَرَارِ
فَيَصُدُّنِي مُتَدَفِّقُ التِّيَّارِ
لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَاجِلِ وَبِحَارِ
هَتَكْتُ عَلَيْكَ حَرَائِرَ الْأَسْتَارِ
فِي النَّعْشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَجْهَ الْخِمَارِ فَلَمْ تَلُذْ بِخِمَارِ
سِتْرٍ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
مِنْكَ الْوِدَادُ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
فِي طَيْهِ سِرٍّ مِنَ الْأَسْرَارِ
يَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
لِنَوَى مُرُوعَةٍ وَبُعْدِ مَزَارِ

ما بينَ حَرٍّ أَسَى وَحَرٍّ أَوَارِ
رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ فَخَارِ
بَاتَتْ تُقَاسُ بِأَطْوَلِ الْأَعْمَارِ
بَبِيضَاءَ مِثْلَ صَحَائِفِ الْأَبْرَارِ
وَسِعَتْ مُحْصَلُ رَوْضَةِ مِعْطَارِ
رَاجِي الْوُصُولِ وَمُقْتَفِي الْآثَارِ
لَوْ سَارَ بَيْنَ مَجَاهِلٍ وَقِفَارِ
حَتَّى وَقَفْتَ لَذَلِكَ الْجَبَّارِ
فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَالْأَنْهَارِ
فِي (الْبَرْلَمَانِ) أَعِزَّةَ أَخْيَارِ
مَا فِي الْكِنَانَةِ مِنْ أذى وَضَارِ
خَنَقَ الْمَغِيْظِ وَلَهْجَةَ التُّرْثَارِ
فِي رُتْبَةِ الْأَصْفَارِ لَا الْأَسْفَارِ
كَانَتْ مَوَاقِفَ لَيْثٍ غَابِ ضَارِي
مِنْ عَزَمِهِ قَوْلُ الْمُرِيْبِ: حَذَارِ
فِي غِبْطَةٍ وَانْعَمَ بِخَيْرِ جَوَارِ
ضَحَّيْتُ لِلْأَوْطَانِ مِنْ أَوْطَارِ
فِي مَنَزْلِكَ وَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

جَزَعَ (الهِلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ
مُتَلَفِّئًا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا
إِنَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي بِكَ فَاحَرْتُ
ضَمْتُ إِلَى التَّارِيخِ بَضْعَ صَحَائِفِ
شَبَّهْتُهِنَّ بِنُقْطَةِ عِطْرِيَّةِ
خَلَفْتُهَا كَالْمَشَقِّ يَحْذُو حَذْوَهَا
مَاذَا عَلَى السَّارِي — وَهْنٌ مَنَازِرُ —
مَا زِلْتُ تَخْتَارُ الْمَوَاقِفَ وَغَرَّةَ
وَهْدَمْتُ سُورًا قَدْ أَجَادَ بِنَاءَهُ
وَوَصَلْتُ بَيْنَ شَكَاتِنَا وَمَشَايِخِ
كَشَفُوا الْغِطَاءَ عَنِ الْعُيُونِ فَأَبْصَرُوا
نَبَذُوا كَلَامَ (اللُّرْدِ) حِينَ تَبَيَّنُوا
وَرَمَاهُمْ بِمُجَلَّدَيْنِ رَمَوْهُمَا
وَاهًا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ إِنَّهَا
لَمْ يَلَوْهَ عَنْهَا الْوَعِيدُ وَلَا ثَنَى
فَاهِنًا بِمَنَزِلِكَ الْجَدِيدِ وَنَمَّ بِهِ
وَاسْتَقْبَلَ الْأَجَرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا
نِعْمَ الْجَزَاءُ وَنِعْمَ مَا بُلِّغْتَهُ

(٩) رثاء قاسم أمين بك (نشرت في ٦ يونيه سنة ١٩٠٨م)

لَوْ أَمْهَلْتِكَ عَوَائِلُ الْأَجَلِ
أَسَحَرَنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْهَطَلِ
بَطْبَائِعِ الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلِ
جَمُّ التَّوَاضُعِ غَيْرُ مُبْتَدِّلِ
مِنْ (قَاسِمٍ) فِي أَبْهَجِ الْحُلِّ
أَكْذَا تَكُونُ مَصَارِعُ الدُّوَلِ؟

لِلَّهِ دَرَكٌ كُنْتُ مِنْ رَجُلٍ
خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا
وَشَمَائِلُ لَوْ أَنَّهَا مُزَجَّتْ
جَمُّ الْمَحَامِدِ غَيْرُ مُتَّهَمِ
يَا دَوْلَةَ الْأَخْلَاقِ رَافِلَةً
كَيْفَ انطَوَيْتِ بِهِ عَلَى عَجَلِ

يا طالعا للشَّرْقِ لَجَّ به
هَلَّا وَصَلْتَ سُرَاكَ مُنْتَقِلًا
مالي أَرَى الْأَجْدَاثَ حَالِيَّةً
فإِذَا الْكَنَانَةُ أَطْلَعَتْ رَجُلًا
أَوْ كُلَّمَا أُرْسِلْتُ مَرَثِيَّةً
هَاجَتْ بِي الْأُخْرَى دَفِينٌ أَسَى
إِنْ خَانَنِي فِيمَا فُجِعْتُ بِهِ
ولقد أَقُولُ وَمَا يُطَاوِلُنِي
يَا مُرْسِلَ الْأَمْثَالِ يَضْرِبُهَا
يَا رَائِشَ الْأَرَاءِ صَائِبَةً
لِلَّهِ آرَاءٌ شَأَوْتُ بِهَا
قد كُنْتَ أَشْقَانَا بِنَا وَكَذَا
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ مُرْتَجِلًا
عَلَّ الْقَضَاءُ يَدَ الْقَضَاءِ فَذَا
شَغَلْتُكَ عَنْ دُنْيَاكَ أَرْبَعَةٌ
حَقٌّ تُنَاصِرُهُ وَمَفْخَرَةٌ
وَحَقَائِقُ لِلْعِلْمِ تَنْشُدُهَا
وَفَضِيلَةٌ أُغِيَتْ سِوَاكَ فَلَمْ
إِنْ رَيْتَ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ
الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجِعُهُ
وكذا طُهَاءُ الرَّأْيِ تَتَرَكُّهُ
فإِذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ فَتَى
أَوْ لَا، فَحَسْبُكَ مَا شَرَفْتَ بِهِ
وَاهَا عَلَى دَارِ مَرَزْتُ بِهَا
أَرْخَصْتُ فِيهَا كُلَّ غَالِيَةٍ
سَاءَلْتُهَا عَنْ (قَاسِمٍ) فَأَبَتْ
مُتَعَثِّرًا يَنْتَابُنِي وَهَنُ

نَحْسُ النُّحُوسِ فَقَرَّ فِي (زُحَلٍ)
عَلَّ السُّعُودُ تَكُونُ فِي النُّقْلِ
وَأَرَى رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَطَلٍ
طَاحَ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ
مَنْ أَدْمَعِي فِي إِثْرِ مُرْتَجِلٍ
فَوَصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِعِ الْمُقِلِّ
شِعْرِي فَهَذَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي
عِنْدَ الْبَدِيهَةِ قَوْلُ مُرْتَجِلٍ:
قد عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِلُ الْمَثَلِ
يَزْمِي بِهِنَّ مَقَاتِلَ الْخَطَلِ
فِي الْخَالِدِينَ نَوَابِغَ الْأَوَّلِ
يَشْقَى الْأَبْيُّ بِصُحْبَةِ الْوَكَلِ
لَمْ تَشْكُ، لَمْ تَسْتَوْصِ، لَمْ تَقُلْ
يَبْكِي عَلَيْكَ وَذَاكَ فِي جَذَلٍ
وَالْمَرْءُ مِنْ دُنْيَاهُ فِي شُغْلٍ:
تَمْشِي إِلَيْهَا غَيْرَ مُنْتَجِلٍ
مَا لِلْحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قَبْلِ
تَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا وَلَمْ يَصِلِ
تُعْصَمُ، فَتِلْكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
فِيمَا رَأَيْتُ فَنَمَّ وَلَا تَسَلِ
لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ
قَفَرًا وَكَانَتْ مُلْتَقَى السُّبُلِ
وَذَكَرْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الطَّلَلِ
رَدَّ الْجَوَابِ فَرُحْتُ فِي خَبَلٍ
مُتَرَنِّحًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ

مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) به
يَوْمَ احْتَسَبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ -
جاوِزُ أَحِبَّتَكَ الْأُلَى ذَهَبُوا
واذكُرْ لَهُمْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى
قُلٍّ (لِلإمام) إِذَا التَّقَيَّتْ بِهِ
إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَضْبَحَتْ هَدَفًا
لِلهِ آثَارٌ لَكُمْ خَلَدَتْ
لِلهِ أَيَّامٌ لَكُمْ دَرَجَتْ
نَعْمَ الظَّلَالُ لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ

يَوْمَ انْتَوَيْتُ بِذَلِكَ الْبَطَلِ
تَحْتَ التَّرَابِ بَقِيَّةَ الْأَمَلِ
بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ
تِلْكَ النُّهْيُ فِي الْحَادِثِ الْجَلِلِ
فِي الْجَنَّتَيْنِ بِأَكْرَمِ النُّزْلِ:
لِلرَّاكِبِينَ مَرَائِبَ الزَّلِيلِ
صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَلَمْ تَزَلْ
طَالَتْ عَوَارِفُهَا وَلَمْ تَطُلْ
أَوْ أَنَّ ظِلًّا غَيْرُ مُنْتَقِلِ

(١٠) ذكرى مصطفى كامل باشا (نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩م)

أنشدها في الحفل الذي أقيم عند قبره لإحياء ذكره الأولى

طوفوا بأركانِ هذا القَبْرِ واستَلِمُوا
هُنَا جَنَانُ تَعَالَى اللَّهِ بَارِئُهُ
هُنَا فَمٌ وَبَنَانٌ لَاحَ بَيْنَهُمَا
هُنَا فَمٌ وَبَنَانٌ طَالَمَا نَثَرَا
هُنَا الْكَمِيُّ الَّذِي شَادَتْ عَزَائِمُهُ
هُنَا الشَّهِيدُ، هُنَا رَبُّ اللَّوَاءِ هُنَا
يَأْيُهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ
بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَارِلَةٍ
تَرَكْتَ فِينَا فِرَاعًا لَيْسَ يَشْغُلُهُ
مُنْفَرُ النَّوْمِ سَبَّاقٌ لِنَايَتِهِ
إِنِّي أَرَى وَفَوَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي
أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا
اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهَ أَعْرِفُهُ
غَضُّوا الْعُيُونَ وَحَيُّوهُ تَحِيَّتَهُ

واقضوا هُنَالِكَ مَا تَقْضِي بِهِ الذَّمُّ
ضَاقَتْ بِأَمَالِهِ الْأَقْدَارُ وَالْهِمَمُ
فِي الشَّرْقِ فَجَرُّ تَحْيِي ضَوْءُهُ الْأُمُّ
نَثَرًا تَسِيرُ بِهِ الْأَمْثَالُ وَالْحِكْمُ
لَطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنَا لَيْسَ يَنْهَدِمُ
حَامِي الذَّمَّارِ، هُنَا الشَّهْمُ الَّذِي عَلِمُوا
لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لَا هَمٌّ وَلَا سَقَمُ
عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
إِلَّا أَبِي ذِكِّي الْقَلْبُ مُضْطَرِمُ
آثَارِهِ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمُ
رُوحًا يَحْفُ بِهَا الْإِكْبَارُ وَالْعِظَمُ
أَرَى مُحَيًّا يُحْيِينَا وَيَبْتَسِمُ
هَذَا فَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدِ الْعِلْمُ
مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ

وَأَقْسِمُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ
لَبَيْكَ نَحْنُ الْأَلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ
جئنا نؤدّي حساباً عن مَواقِفنا
قيل اسكُتُوا فَسَكُتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا
قَدْ أَتَهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبْ جَلَلًا
قالوا: لقد ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ
إِذَا سَكُتْنَا تَنَاجَوْا: تِلْكَ عَادَتُهُمْ
قَدْ مَرَّ عَامٌ بَنَا وَالْأَمْرُ يَحْزُبُنَا
فَالنَّاسُ فِي شِدَّةٍ وَالْدَّهْرُ فِي كَلْبٍ
وَالسِّيَاسَةُ فِينَا كُلُّ أَوْنَةٍ
بَيْنَا نَرَى جَمْرَهَا تُخْشَى مَلَامِسُهُ
تُضْغِي لِأَصْوَاتِنَا طَوْرًا لِتَخْدَعَنَا
فَمِنْ مُلَايَنَةٍ أَسْتَارَهَا خُدْعُ
مَاذَا يُرِيدُونَ؟ لَا قَرَّتْ عُيُونُهُمْ
كَمْ أُمَّةٌ رَغِبَتْ فِيهَا فَمَا رَسَخَتْ
مَا كَانَ رَبُّكَ (رَبُّ الْبَيْتِ) تَارِكَهَا
لَبَيْكَ إِنَّا عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ
فَيَعْلَمُ النَّيْلُ أَنَا خَيْرٌ مَنْ وَرَدُوا
هَذَا الْغِرَاسُ الَّذِي وَالَيْتَ مَنِبَتَهُ
أَمْسَى وَأَضْحَى وَعَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ
فَانْظُرْ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَتْ بَوَاسِقُهُ
يَأْيُهَا النَّشْءُ سَيَرُوا فِي طَرِيقَتِهِ
فَكُلُّكُمْ (مُصْطَفَى) لَوْ سَارَ سِيرَتَهُ
قَدْ كَانَ لَا وَإِنِّيَا يَوْمًا وَلَا وَكَلًا
وَأَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ جِئْنَا عَلَى ظَمٍ
أَيْنَ الشَّبَابُ الَّذِي أَوْدَعْتَ نَضْرَتَهُ
وَمَا صَنَعْتَ بِأَمَالٍ لَنَا طَوِيَتْ

فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَخْلُو بِهِ الْقَسَمُ
لَمَّا سَكُنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ
وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي وَنَحْتَكُمُ
عَسْفُ الْجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مُتَّهَمُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمُ
وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ عَمَمُ
أَنَا وَأَوْنَةٌ تَنْتَابُنَا النَّقَمُ
وَالْعَيْشُ قَدْ حَارَ فِيهِ الْحَاذِقُ الْفَهْمُ
لَوْ جَدِيدٌ وَعَهْدٌ لَيْسَ يُخْتَرَمُ
إِذَا بِهِ عِنْدَ لَمَسِ الْمُضْطَلِّي فَحَمُ
وَتَارَةً يَزِدْهِيهَا الْكِبَرُ وَالصَّمَمُ
إِلَى مُصَالَبَةٍ أَسْتَارَهَا وَهَمُ
إِنَّ الْكِنَانَةَ لَا يُطْوِي لَهَا عِلْمُ
لَهَا - عَلَى حَوْلِهَا - فِي أَرْضِهَا قَدَمُ
وَهِيَ الَّتِي بِحِبَالٍ مِنْهُ تَغْتَصِمُ
حَتَّى نَسُودَ وَحَتَّى تَشْهَدَ الْأُمَمُ
وَيَسْتَطِيلَ اخْتِيَالًا ذَلِكَ الْهَرَمُ
بَخِيرٍ مَا وَالَتْ الْأَضْوَاءُ وَالنَّسَمُ
حَتَّى نَمَّا وَحَلَاهُ الْمَجْدُ وَالشَّمَمُ
تَهْنَأُ بِهِ وَلَأْنُفِ الْحَاسِدِ الرَّغَمُ
وِثَابِرُوا، رَضِيَ الْأَعْدَاءُ أَوْ نَقِمُوا
وَكُلُّكُمْ (كَامِلٌ) لَوْ جَارَهُ السَّأَمُ
يَسْتَقْبِلُ الْخُطْبَ بَسَامًا وَيَقْتَحِمُ
فَجُدْ لَنَا بِجَوَابٍ، جَاذَكَ الدَّيَمُ
أَيْنَ الْخِلَالُ - رَعَاكَ اللَّهُ - وَالشِّيمُ؟
يَا قَبْرُ فَيْكَ وَعَفَى رَسْمَهَا الْقِدَمُ؟

ألا جوابٌ يُروِّي من جَوانِحنا
نَم أنتَ، يَكفِيكَ ما عانَيْتَ من تَعَبِ
هذا (لِوَأوُك) خَفَاقٌ يُظَلِّلُنَا
ما للقبور إذا ما نُودِيَتْ تَجَمُّ؟
فنحن في يَقْظَةٍ والسَّمْلُ مُلْتَمِّمٌ
وذاك شَخْصُكَ في الأكبادِ مُرْتَسِمٌ

(١١) رثاء تولستوي (نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠م)

رثاك أَمِيرُ الشَّعْرِ في الشَّرْقِ وابْئِرى
ولستُ أُبالي حين أُرْثِيكَ بَعْدَهُ
فقد كنتَ عَوْنًا لِلضَّعِيفِ وإنَّني
ولستُ أُبالي حين أبْكِيكَ لِلوَرَى
فإنَّني أُحِبُّ النابغينَ لِعِلْمِهِمْ
دَعَوْتُ إلى عيسى فَضَجَّتْ كَنائِسُ
وقال أناسٌ إنَّه قولُ مُلْجِدٍ
ولولا حُطَامُ رَدِّ عَنْكَ كِيادَهُمْ
ولكنَّ حَمَاكَ العِلْمُ والرأيُ والجِبا
إذا زُرْتَ رَهْنُ المَحْبَسِينَ بِحُفْرَةٍ
وأبْصَرْتَ أنْسَ الزُّهْدِ في وَحْشَةِ البَلَى
وَأَيْقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلهِ وَحْدَهُ
فَقِفْ ثمَّ سَلِّمْ واحْتَشِمْ إِنَّ شَيْخَنَا
وسائلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّه
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وإنَّ كنتَ مُبْصِرًا
كَأَنِّي بِسَمْعِ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ ما
يُنَادِيكَ: أَهْلًا بِالَّذِي عاشَ عَيْشَنَا
قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا البُرِّ والتَّقَى
وَسَمَّوْكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا
وما أنتَ إلا زَاهِدٌ صَاحٌ صَيِّحَةٌ
سَلَوْتُ عن الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَّوْا

لَمَذَحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ كَبِيرُ
إذا قِيلَ عَنِّي قد رثاهُ صَغِيرُ
ضَعِيفٌ وَمالي في الحِياةِ نَصِيرُ
حَوْتُكَ جِنازٌ أَمْ حَوَاكُ سَعِيرُ
وَأَعَشَقْتُ رَوْضَ الْفِكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
وَهَزَّ لَهَا عَرْشُ وَمادَ سَرِيرُ
وقال أناسٌ إنَّه لَبَشِيرُ
لَضِقَّتْ بِهِ ذُرْعًا وساءَ مَصِيرُ
ومالٌ — إذا جَدَّ النَّزَالُ — وفيرُ
بها الزُّهْدُ ثاوٍ والذِّكَاءُ سَتِيرُ
وشاهدَتْ وَجْهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرُ
وَأَنَّ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورُ
مَهِيْبٌ على رَغَمِ الفناءِ وَقُورُ
عليْمٌ بِأسرارِ الحِياةِ بَصِيرُ
بما لم تُخَبِّرْ أَحْرَفُ وَسُطُورُ
يُجِيبُ به أَسْتاذُنَا وَيُحِيرُ
وماتَ ولم يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
فأنتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
وما أنتَ إلا مُحْسِنٌ وَمُجِيرُ
يَرِنُ صَداها ساعةً وَيَطِيرُ
إليها بما تُعْطِيهِمْ وَتَمِيرُ

حياةُ الـوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحَرَا
تُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ وَاقِعُ
وَلَوْلا ائْتِزَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ
وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيِّينَ لِلْهُدَى
وَلَمْ يَعْشَقِ الْعُلَيَاءَ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدَّ
وَلَوْ كَانَ فِينَا الْخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا
وَلَا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفُ مَوْفَقُ
فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُمْتُ قَبْلَكَ دَاعِيَا
أَطَاعُوا (أَبِيقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ
وَمِتُّ وَمَا مَاتَتْ مَطَامِعُ طَامِعٍ
إِذَا هِدِمَتْ لِلظُّلْمِ دُورٌ تَشِيدَتْ
أَفَاضَ كِلَانَا فِي النَّصِيحَةِ جَاهِدًا
فَكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ الْمَسَاكِينِ: بَاطِلٌ
وَمَا صَدَّ عَنْ فِعْلِ الْأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ

سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
وَكَذَحًا وَلَوْ أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
وَتَطَلُّبُ مَحَضِ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِلَهَ قَدِيرُ
وَلَمْ يَتَطَلَّعْ لِلسَّرِيرِ أَمِيرُ
كَرِيمٌ وَلَمْ يَزُجْ الثَّرَاءُ فَقِيرُ
إِلَى اللَّهِ دَاعٍ أَوْ تَبَلَّجَ نَوْرُ
وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَبِيرُ
وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَيَّ ظَهِيرُ
وُخُولِفْتُ فِيمَا أُرْتَنِي وَأَشِيرُ
عَلَيْهَا وَلَا أَلْقَى الْقِيَادَ ضَمِيرُ
لَهُ فَوْقَ أَكْتَافِ الْكَوَكِبِ دُورُ
وَمَاتَ كِلَانَا وَالْقُلُوبُ صُخُورُ
وَكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (الْمَعَرَّةِ) زُورُ
وَمَا رَاعَ مَفْتُونُ الْحَيَاةِ نَذِيرُ

(١٢) رثاء رياض باشا (نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١م)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

(رياض) أَفُقْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَمِعْ
حَدِيثَ الْوَرَى عَنْ طَيْبٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
أَفُقْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي رِثَاءَ جَمَعْتُهُ
تُشَارِكُنِي فِيهِ الْبَرِيَّةُ أَجْمَعُ
لَتَعْلَمَ مَا تَطْوِي الصُّدُورُ مِنَ الْأَسَى
وَتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الْحَشَا كَيْفَ يَجْزَعُ
لِنَّ تَكُ قَدْ عُمِّرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَغَى
عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِي خَلَائِقُ أَرْبَعُ:

المراثي

مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ
مَنْ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ
رُجِمْتَ، فَمَا جَاءَ يُنَوِّهُ فِي الْعُلَا
بصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْبَيْضِ مَا جِدُّ
يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ
إِذَا قِيلَ: مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوْمَاتُ
إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرْبِ إَصْبَعُ
وإنْ طَلَعْتَ فِي (مَصْرَ) شَمْسُ نَبَاهَةٍ
فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
حَكَمْتَ فَمَا حَكَمْتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى
طَرِيقُكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهْيَعُ
وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطْشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ
نَزَاهَةٌ نَفْسٍ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْشِ يَلْمَعُ
إِذَا صَاحَ لِبَاهُ الْقَضَاءِ وَأَسْرَعَتْ
إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
يُذِلُّ — إِذَا شَاءَ — الْعَزِيزَ وَتَرْتَنِّي
إِرَادَتُهُ رَفَعَ الدَّلِيلَ فَيُزْفَعُ
فَفِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ عَابِسُ
تُذَكُّ جِبَالَ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَزَعُ
وَفِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ بِاسْمُ
تَسِيلُ بَحَارُ بِالْعَطَاءِ فَتُمْرَعُ
فَمَا أَغْلَبُ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ
يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ
بِأَجْرًا مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا
إِرَادَةً (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ

وفي الثُّورَةِ الكُبْرَى وقد أَحَدَقْتُ بِنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مَشْرَعُ
نَظَرْتُ إِلَى (مِصْرٍ) فِسَاكَ أَنْ تَرَى
حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تُنَزَعُ
وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكِ خِدْرِهَا
فَفَارَقْتَهَا أَسْوَانَ وَالْقَلْبُ مُوجَعُ
وَعُدْتَ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيلُهَا:
أَقْلُ عَثَرْتِي؛ فَالْقَوْمُ فِي الظُّلَمِ أَبْدَعُوا
فَكُنْتَ (أَبَا مَحْمُودَ) غَوًّا وَعِصْمَةً
إِلَيْكَ دُعَاةُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْرَعُ
وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرَ) حَمِيَّتِهِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَحْمِي الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ
رَعِيَّتَ (جَمَالَ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ
فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ
وَقَدْ كَانَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا
وَفِي صَدْرِهِ كَنْزٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودَعُ
فَجِئْتُ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ
إِلَى أَلْمَعِيِّ بِالْبَرَاهِينِ يَصْدَعُ
فَحَرَكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ
وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمُضَيِّعُ
وَوَلَّيْتُ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ)
فَجَاءَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ
وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ
فَأُمْسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ
وَجَاءُوا (بِابِرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِقًا
عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ نَوْبٌ مُرَقَّعُ

المراثي

فَأَلْقَيْتَ مِلءَ الثُّوبِ نَفْسًا طَمُوحَةً
إِلَى الْمَجْدِ مِنْ أَطْمَارِهَا تَتَطَلَّعُ
فَأُطْلِقَتْهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَتْهُ
وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
وَكَمْ لَكَ فِي (مِصْرٍ) وَفِي (الشَّأْمِ) مِنْ يَدٍ
لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ
رَفَعْتَ عَنِ الْفَلَّاحِ عَبْدًا ضَرْبِيَّةَ
يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامَ لَا غَوْتَ يَنْفَعُ
وَأَرْهَبْتَ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْوْا
وَكُنَّا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
فَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ
لَخَالُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَّعُ
أَقَمْتَ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ
إِذَا سَوَّلْتَ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرْدَعُ
سَلَ النَّاسِ أَيَّامَ الرُّشَا مُسْتَفِيضَةً
وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الَّذِي أَنْتَ تَزْرَعُ
أَكَانَ (رِيَاضُ) عَنْهُمْ غَيْرَ غَافِلٍ
يَرُدُّ الْأَذَى عَنْ أَهْلِ (مِصْرٍ) وَيُدْفَعُ
(أُمُوتَمَرَ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدْ مَضَى
(رِيَاضُ) وَأَوْدَى الْوَازِعُ الْمُتَوَرِّعُ
وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ
لَهَيْبَتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ
فِيَا وَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكَانَهُ
بِذِي مِرَّةٍ فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ
بَعِيدِ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَّا جَنَانُهُ
فَرَحْبٌ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمُمَنَّنٌ

فَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ إِذَا عَدَا
عليهم زمانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلِّعٌ
عليك سلامُ اللهِ مَا قَامَ بَيْنَنَا
وَزِيرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعُ

(١٣) رثاء الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد (نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣م)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

صُونُوا يِرَاعَ (عَلِيٍّ) فِي مَتَاجِفِكُمْ
وشاوروه لدى الأَزْزَاءِ وَالنُّوَبِ
وَاسْتَلْهِمُوهُ إِذَا مَا الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ
يَوْمَ النُّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ
قَدْ كَانَ سَلَوَةً (مُضِرٍّ) فِي مَكَارِهَا
وَكَانَ جَمْرَةً (مُضِرٍّ) سَاعَةَ الْغَضَبِ
فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتِهِ
مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ عَطَبٍ
كَمْ رَدَّ عَنَّا وَعَيْنُ الْغَرْبِ طَامِحَةٌ
مِنَ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلَّى مِنَ الْكُرْبِ
لَهُ صَرِيرٌ إِذَا جَدَّ النُّزَالُ بِهِ
يُنْسِي الْكُمَاةَ صَلِيلَ الْبَيْضِ وَالْقُضْبِ
مَا ضَرَّ مَنْ كَانَ هَذَا فِي أَنْامِلِهِ
أَنْ يَشْهَدَ الْحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى يَلَبٍ
فَلَوْ رَأَهُ (ابْنُ أَوْسٍ) مَا قَرَأَتْ لَهُ:
(السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ)
أَلَا فَتَى عَرَبِيٍّ يَسْتَقِلُّ بِهِ
بَعْدَ الْفَقِيدِ وَيَحْمِي حَوَازَةَ الْأَدَبِ

وَيَمْنَعُ الْحَقُّ أَنْ يُغْشَى تَبَلُّجَهُ
 ما في السَّياسةِ مِنْ زورٍ وَمِنْ كَذِبٍ
 أودى فتى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحافةِ بَلْ
 شَيْخُ الوَفائيَّةِ الوَضاحَةِ الحَسَبِ
 أقامَ فينا عِصامِيًّا فَعَلَّمنا
 مَعْنى الثُّبَاتِ وَمَعْنى الجِدِّ والدَّابِ
 وراحَ عَنّا ولم تَبْلُغْ عزائِمُنا
 مدى مُناها ولم تَقْرُبْ مِنْ الأَرَبِ
 قالوا: عَجَبنا لِمُضَرٍّ يومَ مَضَرعِهِ
 وقد عَجِبْتُ لَهُمْ من ذلك العَجَبِ
 إِنَّ الأَلَى حَسِبوها غيرَ جازِعَةٍ
 لا يَنْظُرُونَ إلى الأشياءِ مِنْ كَثَبِ
 تالِهِ ما جَهِلَتْ فيه مُصِيبَتُها
 ولا الَّذي فَقدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ
 لكنَّها أَلِفَتْ والأَمْرُ يَحْزُبُها
 فَقدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السَّادَةِ النُّجُبِ
 وعَلَّمَتْها اللَّيالي أنْ تُصابِرَها
 في الحادِثاتِ وإنْ أَمَعَنَّ في الحَرَبِ
 كم أَرْجَفوا بعدَ مَوْتِ الشَّيخِ وارْتَقَبوا
 مَوْتَ (المُؤَيِّدِ) فينا شَرًّا مُرْتَقَبِ
 وإنْ يَمُتْ تَمَّتِ الأَمالُ في بَلَدِ
 لولا (المُؤَيِّدُ) لم يَنْشَطْ إلى طَلَبِ
 صَبابَةٍ من رَجاءٍ بين أضلُعِنا
 قد باتَ يَرشُفُ منها كُلُّ مُغتَصِبِ
 أَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي (مُضَرٍّ) وقد دُهِمُوا
 من ساسَةِ العَرَبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشْبِ
 كم انبَرَّتْ فيه أَقلامٌ وكم رُفِعَتْ
 فيه مَنائِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ!

وكان مَيِّدَانِ سَبَقَ لِلألى غَضِبُوا
 للذَّيْنِ وَالْحَقُّ مِنْ دَاعٍ وَمُخْتَسِبِ
 فكم يَرَاعِ حَكِيمٍ فِي مِشَارِعِهِ
 قد التَقَى بِيرَاعِ الْكَاتِبِ الْأَرَبِ
 أَيُّ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَسَّعَتْ
 رَدَّ (الإمام) مُزِيلِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
 أَيَّامَ يَحْصِبُ (هَانُوتُو) بِفِرْيَتِهِ
 وَجْهَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِسْلَامُ فِي نَحْبِ
 مَالِي أُعِدُّ أَثَارَ الْفَقِيرِ لَكُمْ
 وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
 لولا (المُؤَيَّدُ) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
 تَنَافُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْحُجُبِ
 تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَضَمُّهُمْ
 رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامُ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
 فِي مِصْرَ فِي تُونِسَ فِي الْهِنْدِ فِي عَدَنِ
 فِي الرُّوسِ فِي الْفَرَسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبِ
 هَذَا يَحْنُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عُقِدَتْ
 مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
 (أَبَا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ مَا تَرَكْتُ
 فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
 جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُخْتَسِبَا
 فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَاجُورًا وَفُزْ وَطِبِ
 وَاحْمِلْ بِئِمْنَاكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتُ
 تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَسِبِ

(١٤) رثاء علي أبي الفتوح باشا (نُشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤م)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجامعة

جَلَّ الْأَسَى فَتَجَمَّلِي
يا مِصْرُ قد أودَى فتَا
قد مات نَابِغَةُ الْقَضَا
وعَدَا الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَا
حَلَالُ عَقْدِ الْمُعْضِلَا
وَيَحُ الْكِنَانَةِ مَا لَهَا
بَاتَتْ وَكَارِثَةُ تَمُرْ
يا زَهْرَةَ الْمَاضِي وَا
كُنَّا نَعِدُّكَ لِلشُّدَا
يا لِابَسِ الْخُلُقِ الْكَرِيـ
فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَا
يا رَامِيَا صَدَرَ الصُّعَا
يا حَافِظَا غَيْبِ الصَّدِيـ
أَيُّ الْمَحَامِدِ غَصَّةٌ
تَلْهُو لِذَاتِكَ بِالصُّبَا
تَسْعَى وَرَاءَ الْبَاقِيَا
بَيْنَ الْمَحَابِرِ وَالذَّفَا
أَدْرَكْتَ عِلْمَ الْآخِرِيـ
أَدْنَى مَرَامِكَ هِمَّةٌ
وَأَجَلُ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى
دَرَجَ الْأَحِبَّةِ بَعْدَمَا
لَمْ يَحُلْ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ
لِي كُلِّ عَامٍ وَقْفَةٌ
أُبْكِي بُكَاءَ الثَّائِلَا
لَمْ يُبْقِ لِي يَوْمَ الْفَقِيـ
يَوْمُ عَبُوسٍ قَدْ مَضَى
مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ

وَإِذَا أَبَيْتِ فَأَجْمَلِي
كِ وَلَا فَتَى إِلَّا (عَلِي)
ءِ وَغَابَ بَدْرُ الْمَحْفَلِ
ءِ فَصَابَهُ فِي الْمَقْتَلِ
تِ قَضَى بَدَاءِ مُعْضِلِ
فِي غَمْرَةٍ لَا تَنْجَلِي
رُ بِهَا وَكَارِثَةُ تَلِي
رِيحَانَةِ الْمُسْتَقْبَلِ
يُدِ فِي الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ
مِ الْمُطْمَئِنِّ الْأَمْتَلِ
جَتْنَا وَلَمْ تَتَمَهَّلِ
بِ رَمَاكَ رَامِي الْأَجْدَلِ
قِي وَيَا كَرِيمَ الْمَقُولِ
بِخْلَاكَ لَمْ تَتَجَمَّلِ
لَهُوًا وَأَنْتَ بِمَعْزِلِ
تِ الصَّالِحَاتِ وَتَعْتَلِي
تِرِ دَائِبًا لَا تَأْتَلِي
نَ وَحُزَّتْ فَضْلَ الْأَوَّلِ
فَوْقَ السَّمَكِ الْأَعْمَلِ
(مِصْرًا) تَسُودُ وَتَعْتَلِي
تَرَكُوا الْأَسَى وَالْحُزْنَ لِي
عَيشُ وَلَمْ أَتَعَلَّلِ
حَرَى عَلَى مُتَرَحِّلِ
تِ وَأَصْطَلِي مَا أَصْطَلِي
بِ عَزِيمَةٍ لَمْ تُفْلَلِ
بِفَتَى أَغْرَ مُحَجَّلِ
عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ

لم يَدْرِ ما قَصَمُ الظُّهُورِ
يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْتَ
عَبَسْتَ مِنْهُ نَضْرَةً
وَعَبَثْتَ مِنْهُ بَطْرَةً
يا قَبْرُ هل لِعَبِّ الْبَلَى
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطُّرُوقِ
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجِدَا
لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا
يا قَبْرُ ضَيْفُكَ بَيْنَنَا
لم يَنْقَبِضْ كِبَرًا بَنَا
إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ
وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ

رِ ولا انْخِزَالُ الْمُفْصِلِ
تَ بَوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
كَانَتْ رِياضُ الْمُجْتَلِي
سَوْدَاءَ لَمَّا تَنْصُلِ
بِلِطَافِ تِلْكَ الْأَنْمَلِ؟
سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ
لِ تَحُلُّ عَقْدَ الْمُشْكِـلِ
ءِ وَلِلْعُفَاةِ السُّؤْلِ
قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤَمِّلِ
دِيهِ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
فَنَزَلْتُ أَكْرَمَ مَنْزِلِ
فَوَرَدْتُ أَعَذَبَ مَنَهْلِ

(١٥) رثاء فتحي وصادق (نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤م)

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالماً

أَخْتِ الْكُوكِبِ ما رَمَا
ماذا دَهَاكِ وفَوْقَ ظَهْرِ
خَضَعْتَ لِإِمْرَتِهِ الرِّيا
فَعَدَا يُصَرِّفُ مَنْ أَعْنَى
(فَتْحِي) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْ
وَيْلَاهُ هَلْ جَزَتْ الْحُدُ
فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّما
أَمْ غَارَ مِنْكَ السَّابِحَا
حَسَدْتُكَ حِينَ رَأَيْتُكَ وَحَدَّ

كِ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النَّسُورِ؟
حَرِكِ مَرِيضُ الْأَسَدِ الْهَـصُورِ؟
حُ مِنْ الصَّبَا وَمِنْ الدَّبُورِ
تَهَا تَصَارِيفُ الْقَدِيرِ
تُ عَنْ الْمُصِيبَةِ مِنْ مُحِيرِ؟
دَ وَأَنْتِ مُخْتَرِقُ السُّتُورِ؟
ءِ وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ
تُ وَأَنْتِ تَسْبِـحُ فِي الْأَثِيرِ
حَكَ نَمَّ كَالْفَلَكَ الْمُنِيرِ

والعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَنَدُ
حَاوَلْتُ أَنْ تَرِدَ الْمَجْرُ
فَوَرَدَتْ يَا (فَتْحِي) الْحِمَا
وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ
إِنْ كَانَ أَعْيَاكَ الصُّعُورُ
فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَخُذْهَا
إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعِي
فَلْعَلَّ مَنْ ضَنْتُ يَدَا
أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا
بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا
حَفْذُ فِي التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
رَدَّ وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ
مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ
هَ وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُذُورِ
دَ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الطُّهُورِ
وَاضْعُدْ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ
يَ وَفَاتَنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ
هُ عَلَى الْكِنَانَةِ بِالسُّرُورِ
فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْأَخِيرِ
رِقِّ وَالْمَغَارِبِ وَجْهَ (نُورِي)

(١٦) رثاء الدكتور شبلي شميل

أنشدتها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد ٩ فبراير سنة ١٩١٧م

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرَكُوا الْمَرَّ
حَزَنَ الْعِلْمِ يَوْمَ مِتَّ وَلَكِنْ
كَنْتُ تَبْغِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأُزْ
فَاسْتَرْخَ أَثْمَانُهَا الْمُجَاهِدُ وَاهْدَأْ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَانْبَلَجَ الْحَا
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّ
كَمْ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي)
أَطْلَقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا
يَقْرَعُ النُّجْمَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ
أَعْجَزَتْهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَابُ
إِنَّ ذَاكَ السُّكُونَ فَضْلُ الْخُطَابِ
لَدَيَّانِهِ فَسِيحَ الرَّحَابِ
أَمِنْ الدِّينِ صَيْحَةَ الْمُزْتَابِ
ضِ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللَّبَابِ
قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ
قُ لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كَالشَّهَابِ
بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَارْتِيَابِ
كَ فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدَأَ الصَّوَابِ
عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتَكَ الْجَبَابِ
دُ إِلَى الْأَرْضِ بَاجِثًا عَنْ جَوَابِ
بُ طَوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ

وانثنى هبْرِزِيَّها وهو كابي
لشؤون المَهْيَمِن الوَهَّابِ
س قديمًا فلم يَفْزُ بالطَّلَابِ
قَوْلٌ حَتَّى تَفْتَنَّنُوا فِي عِتَابِي
رَ وَلَا يَهْتَدِي بِهِدْيِ الْكِتَابِ؟
منه خِلًا أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
لِ فَقَدَ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَابِي
كُنَّ أَهْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ
لَ وَلَا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
رَ جَمِيعَ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ
أَمَ مَالًا وَلَمْ يَلِنَ لِلصُّعَابِ
رَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ
وَأُصِيبَتْ رَوَائِعُ الْأَدَابِ
سِ وَقَدْ كَانَ مَرْتَعُ الْكُتَابِ
فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا الْمُصَابِ
مَ، لَقَدْ آذَنْتُ إِذَا بِالْخَرَابِ
فُجِعْتُ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقْطَابِ
كَلَّمَا غَيْبَ الثَّرَى لَيْثَ غَابِ

وَقَفْتُ دُونَهَا الْعُقُولُ حَيَارَى
لَمْ يَكُنْ مُلْجِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى
رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهَ مَا أَعْجَزَ النَّا
إِيَّهَ شَبْلِي قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ
قِيلَ: تَرْتِي ذَاكَ الَّذِي يُنْكَرُ النُّو
قَلْتُ: كُفُّوا فَإِنَّمَا قُمْتُ أَرْتِي
أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحَابِيهِ فِي الْقَو
أَنَا أَرْتِي شَمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي
كَانَ حَرًّا الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْخَتَّ
مُفْضِلًا مُحْسِنًا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
عَاشَ مَا عَاشَ لَا يَلِيْقُ عَلَى الْأَيْدِ
كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ الثَّقَةِ الْكُبْ
نُكِبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى
وَحَلَا ذَلِكَ النَّدْيُ مِنَ الْأَنْ
وَبَكْتُ فَقَدَهُ الشَّامُ وَنَاءَتْ
كُلَّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْ
فَهِ (بَالِيَاذَجِي) وَ(جُرْجِي) وَ(شَبْلِي)
فَعَلَى الرَّاحِلِ الْكَرِيمِ سَلَامٌ

(١٧) رثاء جورجي زيدان سنة ١٩١٤

وقد عَقَدْتُ هُوجَ الْخُطُوبِ لِسَانِي
وَمِنْ كَمَدٍ قَدْ شَفَّنِي وَبَرَانِي
عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي
مَنْ الْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
وَمَا نَابَنِي يَوْمَ (الإمام) كَفَانِي
يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَاَنْتَظَرْتُ أَوَانِي

دَعَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَافِي مَرِيضَةً
فَجِئْتُ وَبِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ أَسَى
مَلِئْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتْلَهِّفًا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟
كَفَانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى
تَفَرَّقَ أَحِبَابِي وَأَهْلِي وَأَخْرَتُ

ومالي صديقُ إنْ عَثَرْتُ أَقَالَني
أَرَانِي قد قَصَّرتُ في حَقِّ صُحْبَتِي
فلا تُعْذِرُونِي يومَ (فَتْحِي) فَإِنِّي
فقد غَابَ عَنَّا يومَ غَابَ ولم يَكُنْ
وفي ذِمَّتِي (لِلْيَازِجِي) وَدِيعةُ
فيا لَيْتَ شَعْرِي ما يَقُولانِ في الثَّرَى
وقد رَمَيَا بِالطَّرْفِ بَيْنَ جُمُوعِكُمْ
أَجْمَلُ بي هذا العُقُوقُ وَإِنَّمَا
دَعَانِي وفائِي يومَ ذاكَ فلمْ أَكُنْ
وقد تُخْرِسُ الأَحْزانُ كُلَّ مُفَوِّهِ
أَنسَاهُمَا والعِلْمُ فوقَ ثَرَاهُمَا
وكم فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ
(أَزِيدَانُ) لا تَبْعُدْ وتلكَ عِلالةُ
لَكَ الأَثَرُ الباقي وإنْ كُنْتَ نائِيًا
ويا قَبِرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتَ مُورِّخًا
وعَقْلًا وَلَوْعًا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ
وعَزْمًا شَامِيًا لَهُ أَيْنَمَا مَضَى
وكفَّا إِذَا جَالَتْ على الطَّرْسِ جَوْلَةٌ
أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا
سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّثْرِ عَدَّ خِلَالَهُ

ومالي قريبُ إنْ قَصَّيْتُ بَكَانِي
وَتَقْصِيرُ أُمثَالِي جِنَايَةُ جَانِي
لأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ
له بَيْنَ هالاتِ النُّوَابِغِ ثَاني
وأُخْرَى (لِزَيْدَانِ) وقد سَبَقَانِي
إِذَا التَّقْيَا يَوْمًا وقد ذَكَرَانِي
ولم يَشْهَدَا فِي المَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
على غيرِ هذا العَهْدِ قد عَرَفَانِي
ضَنْيِنًا وَلَكِنْ القَرِيضُ عَصَانِي
يُصَرِّفُ فِي الإنْشَادِ كُلَّ عِنانِ
تَنَكَّسَ مِنْ أَغْلَامِهِ عِلْمانِ
وكم زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بَيَانِي
يُنَادِي بِهَا النُّاعُونَ كُلَّ حُسانِ
فَأَنْتَ على رَغَمِ المَنِيَّةِ دَانِي
تَجَلَّى لَهُ ما أَضْمَرَ الفَتَيَانِ
على الدُّرِّ غَوَّاصٌ بِبَحْرِ (عُمانِ)
شَبًّا هِنْدُونِيَّ وَحَدُّ يَمَانِي
تَمَايَلُ إِعْجَابًا بِهَا البَلْدانِ
فَتَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِتُ الحَرَمَانِ
فَمَالِي بِما أَغْيَا القَرِيضُ يَدَانِ

(١٨) رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكري باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧م

لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلْأَسَاةِ ذِمَامُ
لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ

لا مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْتِنَا بِمَاتِمِ

عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَاهِمَا
 غَيَّبَتْ (شُكْرِي) وَهُوَ نَابُهُ عَصْرَهُ
 خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدِيهِمَا
 وَالنَّاسُ بِالْغَرْبِيِّ فِي تَطْبِيْبِهِ
 حَتَّى انْبَرَى (شُكْرِي) فَأَثْبَتَ سَبْقَهُ
 وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمَ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ
 وَتَرَسَّمَ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا
 قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ
 وَغَدَتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةَ
 وَرَأَى عَلِيلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتِهِ
 يَا (مِصْرَ) حَسْبُكَ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْمُنَى
 وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعُلَا
 وَمَدَدَتْ صَوْتُكَ بَعْدَ طَوْلِ خُفُوتِهِ
 وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ
 كَمْ فِيكَ جِرَاحٌ كَانَ يَمِينُهُ
 قَدْ صِيغَ مِبْضَعُهُ وَإِنْ أَجْرَى دَمًا
 وَمُؤَوَّقٍ جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا التَّوَى
 يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَخُونُ إِذَا هَفَّتْ
 وَإِذَا غُضَالُ الدَّاءِ أَبْهَمَ أَمْرَهُ
 يَسْتَنْطِقُ الْأَلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ
 كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا
 وَمُطَبِّبٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُهُ
 وَكَأَنَّ إِثْمِدَهُ ضِيَاءٌ ذَرَّهُ
 وَمُطَبِّبٍ لِلطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَاضِرِيهِ وَمَا لَهُ
 فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا
 وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةَ فَضْلَهُ

فِيكَ الرَّدَى فَبَكَّتُهُمَا (الْأَهْرَامُ)
 وَأَصْبَتْ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ
 وَالطَّبِّ نَبَتْ لَمْ يَجِدْهُ غَمَامُ
 وَلِعُوا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
 أَنَّ ابْنَ (مِصْرَ) مُجَرَّبٌ مِقْدَامُ
 أَنَّ الْعَرِينَ يَحُلُّهُ ضِرْغَامُ
 فَاَنْشَقَّ مِنْ عَلَمَيْهِمَا أَعْلَامُ
 فَوْقَ السَّمَاءِ فَبَرَّتِ الْأَقْسَامُ
 فِيهَا (لِبُقْرَاطَ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
 بَدَّوْا الْأَسَاءَةَ فَلَمْ يَرْعُهُ سَقَامُ
 صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
 وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَلِمَتْ - أَقَامُوا
 فَدَعَا بِعَافِيَةٍ لِكَ الْإِسْلَامِ
 بَيْنَ الْمَمَالِكِ حَيْثُ تُحْنِي الْهَامُ
 عِنْدَ الْجِرَاحَةِ بَلَسَمٌ وَسَلَامُ
 مِنْ رَحْمَةٍ فَجَرِيحُهُ بِسَامُ
 دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتْ الْأَفْهَامُ
 أُنْزِلُ وَخَانَ الْمِسْمَعَيْنِ صِمَامُ
 عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيْبِهِ الْإِبْهَامُ
 خَرَسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْأَلَامُ
 وَثَنَى عِنَانَ الْمَوْتِ وَهُوَ زُؤَامُ
 نُورًا إِذَا غَشَى الْعَيُونَ قَتَامُ
 (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَانْجَلَى الْإِظْلَامُ
 سِنَّ وَلَمْ يَذْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
 غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْأَنْبِيَاءِ كَلَامُ
 فِي نَظَرَتِيهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
 إِنَّ أَعْسَرَتْ بَوْلَادَهَا الْأَرْحَامُ

كم قد أنارَ لها بحالِكة الحشا
لولا يدها سَطَا على أبدانها
فبهؤلاء الغُرِّ يا (مضر) اهْنئي
وعلى طبيبَيْكَ اللَّذِينَ رَمَاهُما
سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكُهَا الأوهام
كَرْبُ المَخاضِ وشَفَّها الإيلامُ
فبِمِثْلِهِمْ تَتَفَاخَرُ الأيَّامُ
رامي المَنونِ تحيَّةً وسَلام

(١٩) رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري (نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧م)

أنشدها عند دفنه

أَيْدري المُسْلِمونَ بَمَنْ أَصِيبُوا
هَوَى رُكْنُ الحديثِ فَأَيُّ قُطْبٍ
(مُوطَأً مَالِكٍ) عَزَّ (البُخاري)
فما في النَّاظِقينَ فَمَ يُؤَفِّي
قَضَى الشَّيْخُ المُحَدِّثُ وَهُوَ يُمْلِي
ولم تَنْقُصْ له التَّسْعونَ عَزْمًا
وما غَالَتْ قَرِيحَتُهُ اللَّيَالِي
أَشْيَخَ المُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا
لقد سَبَقَتْ لك الحُسْنَى فطوبى
إذا ألقى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ
ونادى العَدْلُ والإِحسانُ إِنَّا
قِفُوا يَأَيُّها العُلَماءُ وابْكُوا
فهذا يَوْمُنا وَلنَحْنُ أَوْلَى
عليكَ تحيَّةُ الإسلامِ وَقَفًّا
وقد وازُوا (سَلِيمًا) في التُّرابِ
لَطُلَّابِ الحَقِيقَةِ والصَّوابِ
ودَعُ لِهْ تَعزِيَّةَ (الكِتابِ)
عَزاءَ الدِّينِ في هذا المُصابِ
على طُلابِهِ فَصَلَ الخُطابِ
ولا صَدَّتْهُ عن دَرْكِ الطُّلابِ
ولا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشَّبَابِ
عَظِيمَ الأجرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ
لَمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ
تَسَدَّى عَنكَ بِرُكَّ للجوابِ
نُزَكِّي ما يَقولُ ولا نُحابي
ورَوُّوا لَحَدَه قَبْلَ الحِسابِ
بَبَدَلِ الدَّمْعِ من ذاتِ الخُضابِ
وأهْلِيهِ إلى يومِ المَآبِ

(٢٠) رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (نشرت في أوّل نوفمبر سنة ١٩١٧م)

دُكَّ ما بين ضَحْوَةٍ وَعَشِيٍّ
وَهَوَى عن سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلَكٌ
قَدْ تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ)
أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْكِنَانَةَ بَارِيـ
لَمْ تَكْذُ تُذَرِّكُ النَفُوسَ مُرَادًا
لَمْ تَكْذُ تَبْلُغِ الْبِلَادُ مِنْهَا
لَمْ يَكْذُ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ
حَبَبَ الْمَوْتِ مَطْلَعُ الْجُودِ يَا (مُض)
وَمَضَى وَاهِبُ الْأُلوْفِ فَوَلَّتْ
وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ
كَمْ تَمَتَّى لو عَاشَ حَتَّى يَرَانَا
غَالَهُ الضَّعْفُ حِينَ شَمَرَ لِلإِضـ
حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوِ
وَإِذَا جَلَّتِ الْخُطُوبُ وَطَمَّتْ
إِنَّ شَرَّ الْمُصَابِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْبِسَاطِكَ لِلضَّيْـ
يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي
خُلُقٌ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرِيحُ الزَّ
وَاهْتَزَّازُ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتَزَّازِ السَّـ
وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي
وَإِخْتِبَارٌ يُثْنِي عِنَانَ الْعَوَادِي
رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالاً
يَا كَرِيماً حَلَلَتْ سَاخَ كَرِيمٍ
قَدْ كَفَاكَ الشُّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَاهْنَأْ
وَيَحْ (مُضِرٍ) فَأَيُّ خَيْطٍ رَجَاءٍ

شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ)
لَمْ نَمْتَعْ بِعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ
أَفْقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
هِيَ وَيَقْضِي لَهَا بِلُطْفٍ خَفِيٍّ؟
فِي زَمَانِ الْمَتَوَجِّ الْعَلَوِيِّ
تَحْتَ أَقْيَاءِ عَذْلِهِ الْكِسْرَوِيِّ
مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِمِيِّ
رُفُوجُودِي لَهُ بَدْمُوعُ سَخِيٍّ
يَوْمَ وَلَّى بِشَاشَةِ الْأَرْيَحِيِّ
لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَتِيِّ
أُمَّةٌ ذَاتُ مَنَعَةٍ وَرُقْيٍ
لَا فِي مُلْكِهِ بَعْزُومٌ فَتِيٍّ
لِأَعْيَا قَرِيحَةِ الْعَبْقَرِيِّ
أَعْجَزْتُ فِي الْقَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِيِّ
سَعِ وَرَاعِ الْمُفَوَّهَيْنِ بَعِيٍّ
فِي وَذِيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
فَوْقَ زَاهِي بَسَاطِكَ الْأَحْمَدِيِّ
زَهْرُ جَانَّتِهِ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ
يُفِ فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَمِيِّ
خَجَلُ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
وَوَقَارُ يَزِينُ صَدْرَ النُّدِيِّ
فِيكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيٍّ
وَضَعِيفًا حَلَلَتْ سَاخَ الْقَوِيِّ
يَا أَلِيفَ الضَّنَى بَنُومَ هَنِيٍّ
قَطَعْتَهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّعِيِّ

(٢١) رثاء باحثة البادية (نشرت في سنة ١٩١٨م)

(مَلَك) النَّهْيَ لَا تَبْعِدِي
 إِنِّي أَرَى لِكَ سِيرَةً
 رَبِّي أَبُوكِ النَّاشِئِ
 وَسَلَكْتَ أَنْتِ سَبِيلَهُ
 رَبِّيْتِهِنَّ عَلَى الْفَضِي
 وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةٍ
 فَلَبِيتُكُمْ فَضْلُ عَلَى الـ
 لِهْ دَرُكُ إِنْ نَثَرُ
 قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُ
 غَرَبِيَّةً فِي عِلْمِهَا
 شَرْقِيَّةً فِي طَبْعِهَا
 بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُ
 وَتْرِيكَ حِكْمَةً نَابِهٍ
 فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخٍ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَخِي
 فَخَرْتُ بِوَالِدِهَا وَوَا
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا
 فَاَنْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا
 وَأَقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْجَرِي
 وَارْجِعْ إِلَى مَا أُوْدَعَتْ
 تَعْلَمُ بَأَنَّا قَدْ فَقَدُ
 ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ فِي اغْتِيَا
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لَمْضُ
 كَانَتْ مِثَالًا صَالِحًا
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصَّيَا

فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سِيرُ
 كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ
 مَنْ فَعَّاشَ مَحْمُودَ الْأَثَرِ
 فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ
 لَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ
 نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّورِ
 أَحْيَاءِ أَنْثَى أَوْ ذَكَرِ
 تِ وَدُرُّ (حَفْنِي) إِنْ نَثَرِ
 فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرِ
 رِ وَسَوَّدَتْ أَهْلَ الْوَبَرِ
 مَرْمُوقَةً بَيْنَ الْأَسْرِ
 مَخْدُورَةً بَيْنَ الْحُجَرِ
 سِ تَخُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ
 عَرَكَ الْحَوَادِثِ وَاخْتَبَرَ
 تَطْهَوِ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 طُ وَتَرْتَضِي وَخَزَّ الْإِبْرِ
 لِدُهَا بِجَلِيَّتِهَا افْتَحَرَ
 لَا بِاللَّالِيِّ وَالْدُّرَرِ
 بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 دَةِ) وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَرِ
 عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُبَرِ
 نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 لِ شَبَابِهَا لَا يُغْتَفَرِ
 رِ) وَلَمْ تُغَيِّبْهَا الْحَفَرِ
 يُرْجَى وَكُنْزًا يُدَّخَرِ
 تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 نَةِ وَالْعَفَافِ عَلَى سَفَرِ

لا وازعٌ — وقد انطوتْ
 لا كان يومك يوم لا
 علّمتْ هاتِفَةَ القِصو
 وتركتِ أترابَ الصِّبا
 يبكينَ عَهْدَكَ في الصِّبا
 وتركتِ شَيْخَكَ لا يعي
 ثِملاً تُرَنِّحُه الهُمو
 كالْفَرْعِ هَزَّتْهُ العِوا
 أو كالْبِنَاءِ يُرِيدُ أَنْ
 قد زَعَزَعَتْهُ يَدُ القِضا
 أنا لم أدقْ فَقَدَ البَنيـ
 لكَ نَني لَمَّا رَأَيْـ
 ورأيتُه قد كادُ يُحـ
 وشَهِدْتُه أَنِّي خَطا
 أدركْتُ مَعْنَى الحُزْنِ حُزْ
 وشَهِدْتُ زَوْجَكَ مُطَرِّقاً
 كالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ في الـ
 فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عَقـ
 صَبْرًا أبا (مَلِكٍ) فَإِنـ
 وبَقَدِرِ صَبْرِ المُبْتَلَى
 كُنْ أَنتَ أَنتَ إِذَا تُسا
 يا بَرَّةً بالوالِدَيـ
 فسَلِي إِلَهَكَ سَلْوَةً
 وليَهْزِكَ الخِدرُ الجَدِيدـ

(مَلِكُ) يَقِيهِنَّ الضَّرر
 حَ الحُزْنُ مُخْتَلِفُ الصُّور
 رِ نَوَاحٍ هَاتِفَةُ الشَّجَرِ
 حُزْنًا يَقْطَعَنَّ الشَّعْر
 حِ وفي المِساءِ وفي السَّحَرِ
 هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ
 مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ
 صِفُ فالتوى ثُمَّ انْكَسَرَ
 يَنْقُصُ مِنْ وَقَعِ الحَوَرِ
 ً وَزَلَزَلَتْهُ يَدُ القَدَرِ
 نَ وَلَا البَنَاتِ عَلَى الكِبَرِ
 تُ فَوَادِهِ وَقَدْ انْفَطَرَ
 رِقُّ زَائِرِيهِ إِذَا زَفَرَ
 خَطُوءًا تَخْبَلُ أَوْ عَثَرَ
 نِ الوَالِدَيْنِ، فَمَا أَمَرَ
 مُسْتَوْجِشًا بَيْنَ السَّمَرِ
 بَيِّدَاءِ أَخْطَاهُ القَمَرِ
 دَ هَنَائِهِ وَقَدْ انْتَثَرَ
 نَ البَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ
 طُولُ المُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 ُ كَأَنَّكَ أَنتَ إِذَا تُسَرَّ
 نِ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقَرَّ
 لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرَّ
 دُ فَذَاكَ دَارُ المُسْتَقَرِّ

(٢٢) رثاء محمد فريد بك (في سنة ١٩١٩م)

مَاتَ ذُو الْعِزَّةِ وَالرَّأْيِ الْأَسَدَ
وَمَشَى الْوَجْدُ إِلَى يَوْمِ (الْأَحَدِ)
لَوْعَةً سَالَتْ عَلَى دَمْعِ جَمَدٍ
كُنْ مِدَادًا لِي إِذَا الدَّمْعُ نَفَدَ
تَبَسِّمِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكِدَ
تَبْتَهَجْ بِالشَّدْوِ فَالشَّدْوُ حَدَدَ
رُكُنْ (مِصْرَ) وَفَتَاهَا وَالسَّنْدُ
لَيْسَ يَبْلَى مَنْ لَهُ ذِكْرٌ خَلَدَ
نَزَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى بُرْجَ الْأَسَدِ
تَخْتَفِي فِي الْغَرْبِ أَقْمَارُ الْأَبَدِ
سُلُوءَ (النَّيْلِ) إِذَا مَا الْخَطْبُ جَدَّ
وَشَهَابًا ضَاءً وَهْنًا وَحَمَدَ
فِي جَوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ
رَغَمَ مَا تَلْقَى وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ
أَوَّلِ الْبَانِينَ فِي هَذَا الْبَلَدِ
قَدْ بَدَرَتْ الْحَبَّ وَالشَّعْبُ حَصَدَ
وَقُوَاهُ وَهَوَاهُ وَالْوَلَدَ
شِقْوَةَ أَحْلَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغَدِ
كَلَّمَا قَارَبَهُ، عَنْهُ ابْتَعَدَ
رُبَّ جَدٍّ حَادٍ عَنْ مَجْرَاهُ جَدَّ
فِرْصَةً شَدَّ إِلَيْهَا وَصَمَدَ
وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)
إِنَّمَا تُنْكِرُهَا عَيْنُ الْحَسَدِ
مَوْطِنٍ يُعَوِّزُهَا فِيهِ الْمَدَدُ
لَهْوَةِ الْمَيْدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدَ
وَهِيَ الْإَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدَّ
فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْدَ

مَنْ لِيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مَنْ لِعَدَدٍ
حَلَّ (بِالْجُمُعَةِ) حُزْنٌ وَأَسَى
وَبَدَا شِعْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ
أَيُّهَا النَّيْلُ لَقَدْ جَلَّ الْأَسَى
وَاذْبُلِي يَا زَهْرَةَ الرُّوْضِ وَلَا
وَالزَّمِ النَّوْحَ أَيَا طَيْرُ وَلَا
فَلَقَدْ وَلَّى (فَرِيدٌ) وَانْطَوَى
خَالِدَ الْآثَارِ لَا تَخْشِ الْبَلَى
زُرْتُ (بِزُلَيْنَ) فَنَادَى سَمْتُهَا:
وَاخْتَفَتْ شَمْسُكَ فِيهَا وَكَذَا
يَا غَرِيبَ الدَّارِ وَالْقَبْرِ وَيَا
وَحْسَامًا فَلَّ حَدِيثَهُ الرَّدَى
قُلْ لَصَبِّ (النَّيْلِ) إِنْ لَاقَيْتَهُ
إِنْ (مِصْرًا) لَا تَنِي عَنْ قَصْدِهَا
جِئْتُ عَنْهَا أَحْمِلُ الْبُشْرَى إِلَى
فَاسْتَرِحْ وَاهْنًا وَنَمْ فِي غِبْطَةٍ
آثَرَ (النَّيْلِ) عَلَى أَمْوَالِهِ
يَطْلُبُ الْخَيْرَ (لِمِصْرَ) وَهُوَ فِي
ضَارِبٍ فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَارَبًا
لَمْ يَعْبه أَنْ تَجَنَّى دَهْرَهُ
يَسْتَجِمُّ الْعِزَمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ
فَهُوَ لَا يَنْثِي عِنَانًا عَنْ مُنَى
فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أَنْكَرَتْ
فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي
فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي
فَقَدَّتْ مِنْهُ خَبِيرًا حَوْلًا
لَمْ يَكْدَ يُمْتِعُهَا الدَّهْرُ بِهِ

لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى شَعَبَ (مَضْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
وَيْحَ (مَصْرٍ) بَلْ فَوِيحًا لِلثَّرَى إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْجَسَدَ
لَهَفَ نَفْسِي هَلْ (بَبْرَلِينَ) امْرُؤُ فَوْقَ ذَاكَ الْقَبْرِ صَلَّى وَسَجَدُ؟
هَلْ بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَتْ تَرْبَهُ هَلْ عَلَى أَحْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدُ؟
هَذَا هُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى أَمَّةٍ أَيْقَظَهَا، ثُمَّ رَقَدَ

(٢٣) رثاء عبد الله أباطه بك

(أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩م)

يَا عَابِدَ اللَّهِ نَمَ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا مَا كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَقِفِي وَأَنَسِي رُوحَهُ يَا رَحِمَةَ اللَّهِ

(٢٤) رثاء عبد الحميد رمزي (نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠م)

قالها على لسان إبراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبًا بالمدارس الثانوية، ولم يَقَوْ أبوه على الكلام في هذا الحفل، فتاب عنه حافظ وقال هذه القصيدة:

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَنَحْبِي جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟
جِئْتُ أَرْوِي بَدْمُوعِي مَضْجَعًا فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي
لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا نَبْتَيْسُ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبِ
أَنَا لَا أَتْرُكُ شِبْلِي وَحْدَهُ فِي جَدِيدٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيبِ
أَوْ حِينَ ابْتَزَّ نَهْرِي قَوْتِي وَذَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي
وَكَتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ مُنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشُّبْلِ النَجِيبِ
يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا وَالشَّبَابِ الْغَضِّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

إِيَّاهُ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى
 ذَاهِلٍ مِنْ فَرَطٍ مَا حَلَّ بِهِ
 كُلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا
 يَسْأَلُ الْأَغْصَانَ فِي إِزْهَارِهَا
 يَسْأَلُ الْأَقْمَارَ فِي إِشْرَاقِهَا
 غَمَرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ
 فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ
 طَالِعِي يَا شَمْسُ قَبْرًا ضَمَّهُ
 وَاسْكُنِي يَا رَحْمَةً لِلَّهِ بِهِ
 وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ
 بَيْنَ أَتْرَابِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
 هَزَّهُ الشَّوْقُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
 عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرُّطِيبِ
 عَنْ مُحَيَّا غَابَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
 وَأَذَابَتْ لُبَّهُ سُودُ الْخُطُوبِ
 تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟
 بِالتَّحَايَا فِي شُرُوقِ وَغُرُوبِ
 وَاجْعَلِي فَيَضُكُ مِنْهُلَّ السُّكُوبِ

(٢٥) رثاء عبد الحليم المصري الشاعر المعروف (نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢م)

لَكَ اللَّهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا
 وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا فَتَى الشُّعْرِ زَهْرَةً
 فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى
 وَيَا وَيْحَ لِلْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجِيَّتِهَا
 تَزَوَّدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا
 وَأَوْرَثَتْنَا حُزْنًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً
 فَلَمْ تَتَّوْ يَا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِحُفْرَةٍ
 فِدْيَاؤُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيكَ طِيبُهُ
 فَسَامِرُ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَإِنَّهُ
 هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَلْتَهَا
 عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَرَنَّمْ مُنْشِدُ
 وَأَثَرَتْ يَا «مَصْرِيٌّ» سَكْنَى الْمَقَابِرِ
 تَفْتَحُ لِلْأَذْهَانِ قَبْلَ النَّوَاطِرِ
 فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ الْبَلَى مِنْ مَفَاخِرِ
 وَوَيْحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
 وَذَلِكَ لَعَمْرِي نِعَمَ زَادَ الْمُسَافِرِ
 عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْمَحَاضِرِ
 وَلَكِنْ بَرُوضٍ مِنْ قَرِيضِكَ نَاضِرِ
 عَنْ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجَوْدِ الْمَوَاطِرِ
 سَيُظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسَامِرِ
 وَأَعْظَمُ بَمَنْ جَاوَزْتَهُ مِنْ مُجَاوِرِ
 وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

(٢٦) ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢م
 وقد ضمَّنها رثاء المرحوم حفني ناصف بك

أَذَنْتُ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ
 إِنَّ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرُنَا
 قَدْ مَضَا (حَفْنِي) وَهَذَا يَوْمُنَا
 وَارْقُبِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إِنَّمَا
 اذْكُرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا
 وَاذْكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا
 قَدَّمِي الْخَيْرَ احْتِسَابًا فَكَفَى
 رَاعِنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا
 حَنَّ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى
 مَضْطَعٌ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ
 لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي
 قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبْكَى عَلَى
 وَقَفَ الْخَمْسَةَ قَبْلِي فَمَضَوْا
 وَرَدُّوا الْحَوْضَ تَبَاعًا فَقَضَوْا
 أَنَا مُذْ بَانُوا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ
 هَذَا نِيرَانُ حُزْنِي هَذَا
 فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى
 يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا
 عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكَذَا
 وَفُجِعْنَا بِإِمَامٍ مُصْلِحٍ
 كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى
 يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرِّ كَمَا
 يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ
 تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى
 قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعُ وَالنَّهْيُ
 نَرْقُبُ الْأَفَقَ فَلَا يَبْدُو بِهِ
 وَنُنَادِي كُلَّ مَأْمُولٍ وَمَا

وَدَنَا الْمَنْهَلُ يَا نَفْسُ فَطِيبِي
 وَرَدَ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ اللَّغُوبِ
 يَتَدَانِي فَاسْتَثْبِي وَأُنِيبِي
 نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ الْغُيُوبِ
 تَغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
 مُؤْنَسٌ فِيهِ سَوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
 بَعْضُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
 لَا أَرَأُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِي
 حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَبِيبِ
 شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شَدَّ الْخُطُوبِ
 يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشِ رَتِيبِ
 عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
 هَكَذَا قَبْلِي وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
 بَاتِفَاقٍ فِي مَنَايَاهُمْ عَجِيبِ
 حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ
 وَأَنْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
 صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ
 وَذَكَّرْنَا عَنْدهُ قَوْلَ (حَبِيب):
 نَعْرِفُ الْأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
 عَامِرُ الْقَلْبِ وَأَوَّابُ مُنِيبِ
 وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ
 يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ
 حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ
 وَالْخِلَالُ الْغُرُّ فِي مَرَعَى خَصِيبِ
 فِي ذُبُولٍ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ
 لَامِعٌ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَثْبِيبِ
 غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ

دَوِيَ الْجُرْحُ وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ
أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ
رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كُلَّمَا
رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كُلَّمَا
رَحْمَةُ الْفَهْمِ عَلَيْهِ كُلَّمَا
لَيْسَ فِي مَيْدَانٍ (مَضْرٍ) فَارِسُ
كُلَّمَا شَارَفَهُ مِنَّا فَتَى
مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمُ)
أُنْسِي الْأَحْيَاءَ ذِكْرِي (عَبْدُهُ)
إِنَّهُمْ لَوْ أَنْصَفُوها لَبَنَوْا
مَعَهُدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرْسُهُ
وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ
لَمْ تَسْلُ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ
سَكَنْتُ أَنْفَاسَ (حَفْنِي) بَعْدَمَا
عَاشَ خِصْبَ الْعُمْرِ مَوْفُورَ الْحِجَا

بَعْدَ ثَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيبٍ
رَائِدُ الْعَرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبٍ
خَرَجَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوْقِ الْأَرِيبِ
طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
ضَاقَ بِالْجِدْثَانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ
يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
وَهُوَ فِي الْمَيْعَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
وَهِيَ لِلْمُسْتَفِ مِنْ مِسْكٍ وَطِيبِ
مَعَهُدًا تَعْتَاذُهُ كَفُّ الْوُهُوبِ
مِنْ غَيْرِ فَاضٍ مِ ذَاكَ الْقَلِيبِ
وَدَفَنًا فَضْلَهُ دَفَنَ الْغَرِيبِ
وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالذَّمِّعِ الصَّبِيبِ
طَيَّبَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُونِ الْمَغِيبِ

(٢٧) تَابِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زَهْدِي بَك

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدي (يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢م) ن

عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِ مِصْرَ
(حَسَنُ) وَ(زَهْدِي) لَمْ يَمُتْ
سَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ مَا
دَاسَ الْأَثِيمُ حِمَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ مُجْ
إِنْ تَذَكَّرُوا هِمَمَ الرَّجَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَهِيدِ

رَ عَدَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
عُ بِالشَّبَابِ كِلَاهُمَا
عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
تَحْتَ الدُّجَى وَدِهَاهُمَا
تَمَعَيْنِ حِينَ رَمَاهُمَا
لِ فَقَدَّمُوا ذِكْرَاهُمَا
حَدَى مَبْدَأِ فَهُمَا هُمَا

(٢٨) رثاء إسماعيل صبري باشا

أنشدتها في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣م، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة.. أكثر المجتمعون التصفيق ترحيباً به، فقال مرتجلاً:

أَكثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ كَانَ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلْيَقَا
فَاكْرُمُوا (صَبْرِي) بِإِنْصَاتِكُمْ وَلْيُعْذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَّقَا

ثم ابتدأ في إنشاد قصيدته:

نَعَاكَ النُّعَاةَ وَحُمَّ الْقَدَرُ طَوَتْ ذَبْحَهُ الصَّدْرُ صَدْرَ النَّدِيِّ
فَأَمْسَيْتُ تُذَكِّرُ فِي الْغَابِرِينَ إِذَا ذُكِرْتَ سِيرَ النَّابِهِينَ
لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بِظُلِّ الشَّبَابِ فَلَمْ تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فِي الصَّبَا
أُهْنِي الثَّرَى أَمْ أَعْزِي الْوَرَى أَوَّلَ يَوْمٍ لَعَهْدِ الرَّبِيعِ
وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرِيِّ لِيَهْدَأَ (عُمَانُ) فَعَوَّاصُهُ
فَقَدْ كَانَ يَعْتَادُهُ دَائِبًا يَقُولُ فَيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُورِ
يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْبَى الْعِثَارَ قِصَارَ وَحَسْبُ النَّهْيِ أَنَّهَا
رُحِمَتْ، فَقَدْ كُنْتَ حُلُوَ اللِّسَانِ قَلِيلَ التَّعَجُّبِ جَمَّ الْأَنَاءِ
شَمَائِلُكَ الْغُرُّ هُنَّ الرِّيَاضِ لَهَا مِثْلُ رَوْحِ الدُّعَاءِ اسْتَجِيبِ
لَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنْكَ الْحَذَرُ فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا سِجْلَ الْعِبَرِ
وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمَنْ غَبَرَ فَسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السَّيَرِ
فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْأَبْرَ وَلَمْ تَسْتَبِحْ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرَ تَجِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوِي الزَّهْرُ؟
وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرَرِ أُصِيبَ وَأَمْسَى رَهِيْنُ الْحَفَرِ
بَكُورًا رَوْحًا لِنَهْبِ الدُّرَرِ وَيُغْلِي جُمانَ بَنَاتِ الْفِكْرِ
وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدَرِ
رَوَى عَنْ شَذَاها نَسِيمُ السَّحَرِ فَعَاْفَى وَأَوَى وَأَغْنَى وَسَرَ

إِذَا مَا وَرَدَتْ لَهَا مَنَهْلًا
 وَفَكْرُكَ فِي خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ
 وَشَعْرُكَ كَالْمَاءِ فِي صَفْوِهِ
 عُيُونُ الْقَصَائِدِ مِثْلَ الْعُيُونِ
 وَكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوَى أَوْ أَسَى
 هَتَفَتْ بِهَا مَرَّةً فِي الْهَجِيرِ
 وَكَمْ كُنْتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى
 فَيَا وَيْحَ قَلْبِكَ مَاذَا أَلَحَّ
 أَيْخَفُكَ تَحْتَ الدُّجَى وَحْدَهُ
 إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيدِ)
 يَزِينُ تَوَاضُعَهُ نَفْسَهُ
 زَكِيَّ الْمَشَاعِرِ عَفْهُ الْهَوَى
 لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ
 وَأَعْرِضُ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ
 عَلَى سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ
 فَيَضْفُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ
 يُرْقِرُقُ فِيهِ غَبِيرَ الْجِنَانِ
 كَذَلِكَ كَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
 فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُرْوِي الظَّمَاءَ
 زَهْدَتْ عَلَى شَهْرَةِ طَبَقَتْ
 خَلَعَتْ الشُّبَابَ فَلَمْ تَبْكِهِ
 وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَمَا
 فَأَقْسَمْتَ أَنَّكَ أَلْفِيَّتَهُ
 تَمَنَّيْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ
 وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ
 فَرُحْتَ إِلَى أَخْتِهَا شَاكِيًا
 فَفَتَّشْتَ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا

وَرَدَتْ نَمِيرًا لَذِيذَ الْخَصَرِ
 لِفَكْرِ الْأَدِيبِ إِذَا مَا افْتَقَرَ
 عَلَى صَفَحَتَيْهِ تَرَأَى الصُّورَ
 وَشَعْرُكَ فِيهِنَّ مِثْلَ الْحَوَرِ
 لَهَا نَفَثَاتُ تُذِيبُ الْحَجَرَ
 فَكَادَ يَدْبُ إِلَيْكَ الشَّجَرُ
 بِأَنْفَاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَرِ
 حَ عَلَيْهِ مِنَ الذَّاءِ حَتَّى انْفَطَرَ
 لِذِكْرِي أَلِيفٍ سَلَا أَوْ هَجَرَ
 وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
 كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَاخِ الْخَفَرِ
 شَهِيَّ الْأَحَادِيثِ حُلُو السَّمَرِ
 وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَازْدَهَرَ
 لَطِيفٌ يُحَسِّنُ نُبُو الْوَتَرِ
 يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُبْتَكِرِ
 وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
 فَتَسْتَأْفُ مِنْهُ النُّهَى وَالْفِكْرَ
 إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
 ظِمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرُ
 وَجَاهٍ أَظْلًا وَقَضِيلَ بَهَرٍ
 وَسَاءَكَ أَنَّكَ لَمْ تُخْتَصِرْ
 أَصِيبَ قِطَارِكَ يَوْمَ السَّفَرِ
 لَذِيذَ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُخْتَضِرُ
 وَلَكِنْ أَبَاهَا عَلَيْكَ الْقَدَرُ
 سَقَّتْكَ الْمُرَارَ بِكَأْسِ الضُّجَرِ
 أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرُ
 بَعَيْنِي بِصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرِ

فلم تَرَ فيها على طولها
وما زِلْتَ تَشْكُو إلى أنْ أَتَتْ
فلا صَدَّ تَخْشَاهُ بعد الوصال
أريحْ فُؤادَكَ مِمَّا ضَنَّاهُ
تَمَنَّيْتُهَا خُطْوَةً لِلَمَمَاتِ
وها قد خَطَاها وَنَلْتَ المُنَى
صَدَقْتَ فِفي المَوْتِ نَصْرُ الأَبِيِّ
مَلِئْتَ الثَّوَاءَ بَدَارِ الزَّوَالِ
أَتَحْتَ التُّرابِ يُضَامُ الكَرِيمِ
ويُهَضَمُ حَقُّ الأديبِ الأَرِيبِ
أَتَحْتَ التُّرابِ تُسَاقُ الشُّعُوبِ
ويُعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ لِلسَّلَامِ
فإنْ كانَ ما عِنْدنا عِنْدَكُمُ
خِضَمُ الحَيَاةِ بَعِيدُ النِّجَاةِ
فَعُدْ سَالِمًا غَانِمًا لِلتُّرابِ

هُنَيْهَةَ صَفَوِ خَلَتْ مِنْ كَدَرِ
كما تَشْتَهِي سَاعَةً لَمْ تَذَرِ
ولا ضَعُفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الأَشْرِ
وصَدْرُكَ مِمَّا عَلَيْهِ انْكَدَرِ
تُفَرِّجُ عَنْكَ كُروِبَ الغَيْرِ
فهل في المَمَاتِ بُلُوغُ الوَطَرِ
على الدَّهْرِ إنْ هُوَ يَوْمًا غَدَرِ
فماذا رَأَيْتَ بَدَارِ المَقَرِّ
ويشقى الحَلِيمُ وَيَخْفَى القَمَرُ؟
ويُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الأَعْرَى؟
بَسْوَطِ العُبُودَةِ سَوَى البَقَرِ؟
فَنُخْرِجْ مِنْهُ إلى مُؤْتَمَرِ؟
فليسَ لَنَا مِنْ شَقَاءِ مَفَرِّ
فطوبى لراكِبِهِ إنْ عَبَرَ
كَرَأْيِكَ في المَوْتِ واهنًا وَقَرِّ

(٢٩) رثاء سعد زغلول (نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣م)

ما أَنْتَ أَوَّلُ كَوْكَبِ
فهناكَ أَقْمَارُ المَشَا
داسَ الحِمَامُ عَرِيْنَ خَا
لم يَثْنِهِ عَنْكَ الرَّئِيْـ
يا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيدِ)
عَجَبًا! أَتَحْمِي أُمَّةً
ويُغَالُ ضَيْفُكَ وابْنُ أَخْـ
نُبِّئْتُ أَنَّكَ قَدْ بَكَيْـ
وإذا بَكَى (سَعْدُ) بَكَتْ

في الغَرْبِ أَذْرَكَه المَغِيْبِ
رِقْ قَدْ أُتِيحَ لَهَا الغُرُوبِ
لِكَ، وَهُوَ مَرْهُوبٌ مَهْيَبِ
سُ لا رَمَى عَنْكَ الخُطُوبِ
دُ) وَهُوَ مِنْ (سَعْدِ) قَرِيبِ؟
وَتَخَافُ جَانِبَكَ الخُطُوبِ
تِكَ وَهُوَ عَنِ (مَضِرِّ) غَرِيبِ؟
حَتَّ وَهَالِكَ اليَوْمِ العَصِيْبِ
لِبُكَائِهِ مَنَا القُلُوبِ

يا (آل زُغلولِ) ذَوِي فَقَدْتَ به (مَضْرُ) فَتَّى
يا (آل زُغلولِ) وُعُو إِنِّي لأُخْجَلُ أَنْ أُعْزُ
شاكِي سلاحِ الصَّبْرِ مُمَّ خَطْبُ الكِنَانَةِ فِي فَقِيهِ
لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ مِنْ رَوْضِكُمْ غُضْنُ رَطِيبِ
أَخْلَاقِهِ مِسْكُ وَطِيبِ نُكْمٍ عَلَى الْجُلَى صَلِيبِ
يَكُمُ وَكُلُّكُمْ أَرِيبِ تَحَنُّ لِدُنْيَاهُ لَبِيبِ
حِكْمُ لَخَطْبِكُمْ يُشِيبِ إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبِ

(٣٠) رثاء محمد سليمان أباطله بك (في سنة ١٩٢٣م)

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقَدْ أَلِيفَ الصَّبَا أَفْقَدَنِي المَوْتَ به وَافِيَا
تَقْرَأُ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الَّذِي ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرِ عَنْ عَقَّةٍ:
قَدْ كَانَ مِثْلًا لَأَمْوَالِهِ أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ
أَصِيبَ فِيهِ المَجْدُ يَوْمَ انْطَوَى كُنَّا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةً
(البابلي) صَفْوَةٌ فَتَيَانِنَا وَ(صَادِقُ) خَيْرُ بَنِي (سَيِّدِ)
وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَنْسًا لَنَا لَهُوَ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ
فَكَمْ لَنَا مِنْ مَجْلِسِ طَيِّبِ نَلْعَبُ بِاللَّفْظِ كَمَا نَشْتَهِي
وَنُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً ثُمَّ انْطَوَى هَذَا وَهَذَا، وَمَا
كَمْ دَوْحَةٍ أَوْدَى بِهَا عَاصِفٌ لَمْ يَدِرْ مَا أَبْدَى وَمَا أُضْمِرُ
لَا يَعْرِفُ الخَلَّ وَلَا يَغْدِرُ فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتَرُ
لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِئْزَرُ وَكَانَ نَهَاضًا بِمَنْ يَغْتَرُ
وَمِنْ صُنُوفِ الجُودِ مَا يُفْقِرُ وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُعْصِرُ
بِمُسْتَطَابِ اللُّهُو نَسْتَأْثِرُ وَ(ابن المُولِجِي) الكَاتِبُ الأشْهَرُ
وَ(بَيْرَمُ) إِذْ عَوْدُهُ أَخْضَرَ وَأُنْسُ (عَبْدُ اللَّهِ) لَا يُنْكَرُ
رَجَسٌ وَلَمْ يَشْهَدْهُ مُسْتَهْتَرُ يَشْتَاقُهُ (هَارُونُ) أَوْ (جَعْفَرُ)
وَنَضْمِرُ المَعْنَى فَمَا يَظْهَرُ عَنْ غَيْرِنَا فِي الحُسْنِ لَا تَصُدُّ
يُطَوَّى مِنَ الأَيَّامِ لَا يُنْشَرُ وَالنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ

(٣١) ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْرَاكَ
إِذَا سَلْتُ (يَا أَبَا شَادِي) مُطَوَّقَةً
فِي مُهْجَةِ (النَّيْلِ) وَالْوَادِي وَسَاكِنِهِ
قَدْ عَشَتْ فِينَا نَمِيرًا طَابَ مَوْرِدُهُ
فَمَا كَأُولَاكَ فِي بَرٍّ وَفِي كَرَمٍ
قَضِيَّةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُورِ، قَدْ مَلَأَتْ
قَضِيَّةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُورِ، قَدْ مَلَأَتْ
أَبْلَيْتَ فِيهَا بَلَاءَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
أَجْمَلْتَ مَا فَصَلُوهُ فِي قِصَائِهِمْ
لَمْ يَبْقَ لِي قَيْدٌ شَبْرٌ صَاحِبَايَ وَلَمْ
يَا مُذَمِّنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ

كَأَنَّا قَدْ نَسِينَا يَوْمَ مَنْعَاكَ
ذَكَرَ الْهَدِيلِ فثِقَ أَنَا سَلُونَاكَ
رَجَعُ لَصَوْتِكَ مَوْصُولُ بِذِكْرَاكَ
أَسْمَى سَجَايَا الْفَنَى أَذْنَى سَجَايَاكَ
أُولَى كَرِيمٍ، وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَاكَ
أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَاكَ
وَكَانَ سَهْمُكَ أَنَّى رِشْتَ فَتَّاكَ
حَتَّى لَقَدْ نَضَّرُوا بِالْحَمْدِ مَثْوَاكَ
يَفْسَحُ لِي الْقَوْلَ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ
هَأَنْتَ فِي الْخُلْدِ قَدْ جَاوَزْتَ مَوْلَاكَ
سَوَى (زَكِيٍّ) لَقَدْ جَمَلْتَ دُنْيَاكَ

(٣٢) رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧م

إِيهِ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا
بَلَّغَ الْمَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلَاجِ الضُّ
وَانْعَ لِلنَّيِّرَاتِ (سَعْدًا) فـ (سَعْدُ)
قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبًا
أُنْسِجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَابًا
قُلْ لَهَا: غَابَ كَوَكْبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرِ
وَالْبَسِينِي عَلَيْهِ ثَوْبٌ جِدَارٍ
أَيْنَ (سَعْدُ)؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفْلٍ
لَمْ يُعَوِّدْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ

كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النَّفُوسِ انْصِبَابًا؟
بَحَّ أَنْ الرَّئِيسَ وَلَّى وَغَابَا
كَانَ أَمْضَى فِي الْأَرْضِ مِنْهَا شَهَابَا
لِلدَّرَارِيِّ وَلِلضُّحَى جِلْبَابَا
وَاحِبُ شَمْسِ النَّهَارِ ذَاكَ النِّقَابَا
ضِ فَغِيبِي عَنِ السَّمَاءِ احْتِجَابَا
وَاجْلِسِي لِلْعَزَاءِ فَالْحُزْنَ طَابَا
غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخُطَابَا
أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا

قد عَرَاهُ، لقد أطل الغيابا
 فإذا لم يُجِبْ فشُقُّوا الثيابا
 إنها الساعة التي كنت أبى
 فُسَ نَسَفًا وَتَفَقَّرُ الأُصْلَابا
 أسهامًا مَسْمُومَةً أَمْ جَرَابا
 ض وأحدثت في الوجود انقيابا؟
 تحتها زفرةٌ تذيبُ الصَّلابا
 إن زلزالنا أجلُّ مُصابا
 في نفوس أبين إلا احتسابا
 وفقدنا المهند القرضابا
 ثم ناداه رَبُّهُ فأجابا
 وتخطى التَّحَوُّت والأوشابا
 أرعوسًا تُصيبُ أَمْ أذُنابا
 قد حوى أمةً وبَحْرًا عبابا
 أعجزَ الهامَ حمله والرُّقابا
 شفقًا سائلًا وصُبْحًا مُذابا
 حين ألقى الجموع تبكي انتحابا
 فرأى مأتما وحشداً عجابا
 يوم كانوا لأهلها أربابا
 ومحا البيض يوم مت الخضابا
 دي فغطت خُضْرَاه واليابابا
 وتوَحَّت في مدحك الإسهابا
 حت ولا أطنبَ المُحبِّ وحابى
 س لما نال نيلنا وأصابا
 مال أين اعتزمت عنا الذهابا؟
 كنت فيها المهيب لا الهبابا؟
 زاد صقلاً فَرِنْدُهُ حين شابا

علَّ أَمْرًا قد عاقه، علَّ سُقْمًا
 أي جُنودَ الرئيس نادوا جهارًا
 إنها النكبة التي كنت أخشى
 إنها اللفظة التي تنسف الأند
 مات (سعد)، لا كنت يا (مات سعد)
 كيف أقصدت كلَّ حيٍّ على الأثر
 حُسرةً عند أنةٍ عند آه
 قل لمن بات في (فلسطين) يبكي
 قد دهيتم في دوركُم ودھينا
 ففقدتم على الحوادث جفنا
 سلَّه رَبُّه زمانًا فأبلى
 قدر شاء أن يُزلزل (مصرًا)
 والمقادير إن رمت لا تُبالي
 خرجت أمةٌ تُشيّع نَعشًا
 حملوه على المدافع لما
 حال لون الأصيل والدَّمع يجري
 وسها النيل عن سراه دھولًا
 ظنَّ يا (سعد) أن يرى مہرجانًا
 لم تسق مثله فراعين (مضري)
 خضب الشيب شيبهم بسواد
 واستهلَّت سحُبُ البكاء على الوا
 ساقَت (التَّيمس) العزاء إلينا
 لم ينح جازع عليك كما نا
 واعترف (التَّاميز) يا (سعد) مقيا
 يا كبير الفؤاد والنفس والآ
 كيف ننسى مواقفك لنا فينا
 كنت في ميعه الشباب حُسامًا

لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقَوْمِ إِلَّا
عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كِسْرَى أَنْوَشَرُ
وَمَضَاءُ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّـ
قَدْ تَحَدَّيْتُ قُوَّةَ تَمْلَأُ الْمَعَفَ
تَمْلِكُ الْبَرَّ وَالْبَحَارَ وَتَمْشِي
لَمْ يُنْهِنَهُ مِنْ عَزْمِكَ السَّجُنُ وَالنَّفَقُ
سَائِلُوا (سَيْشَلًا) أَلْوَجَسَ خَوْفًا
عَزْمَةً لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا
لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا
قَدْ كَشَفْنَا بِهِدْيِهِ كُلَّ خَافٍ
حُجَّجُ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَاعًا
حِينَ قَالَ: (انْتَهَيْتُ) قُلْنَا بَدَأْنَا
فَاحْجَبُوا الشَّمْسَ وَاحْبِسُوا الرُّوحَ عَنَّا
وَاسْتَشْفُوا بِقَيْنِنَا رَغَمَ مَا نَلَّ
قَدْ مَلَكْتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا
وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامِي
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّيْلِ وَغَدَا
هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ أَبِي
لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ ففِيهِ
فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا
جَزَعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ
عَلَمِ (الشَّامِ)، وَ(الْعِرَاقِ) وَ(نَجْدًا)
جَمَعَ الْحَقَّ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ
وَمَشَى يَحْمِلُ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَا
كَلَّمَا أَسْدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابًا
وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا
أَيُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذَهْنِ (سَعْدِ)

كُنْتَ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابًا
وَإِنْ) يَوْمًا لَصَاقَ عَنْهُ إِهَابًا
بِهِ يَفْرِي مَتْنًا وَيَحْطِمُ نَابًا
مُورٌ مِنْ هَوْلٍ بَطْشَهَا إِزْهَابًا
فَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتَجْبِي السَّحَابَا
يُيِّ وَسَاجَلَتْهَا (بِمَصْرَ) الضَّرَابَا
وَسَلُّوا (طَارِقًا) أَرَامَ أَنْسَحَابَا؟
مَا يَصُدُّ السُّيُولَ تَغْشَى الْهَضَابَا
كَيْفَ نُعْلِي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِبَابَا
وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
نَحْمِلُ الْعِبَاءَ وَحَدْنَا وَالصَّعَابَا
وَامْنَعُونَا طِعَامَنَا وَالشَّرَابَا
قَفَى فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ ارْتِيَابَا؟
وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءٍ بَابَا
تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْخَرَابَا
وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
أَلْفُ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
إِنَّ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غِضَابَا
مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابَا
كَيْفَ يُحْمَى الْجَمَى إِذَا الْخَطْبُ نَابَا
وَاسْتَثَارَ الْأَسُودَ غَابًا فِغَابَا
قِي وَيَتْلُو فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
مِنْ ظِلَامٍ أَزَالَ ذَاكَ الْحِجَابَا
عَالِمٌ بِاحْتِيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا
أَيُّ خُتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ اضْطِرَابَا؟

هُ بِهِ اللَّهُ عَثْرَةً أَوْ تَبَابَا
 رِقُّ لِلصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطَابَا
 مِنْ فِخَاخِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَابَا
 قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابَا
 وَتُسْقَى مُنَافِقُ الْقَوْمِ صَابَا
 لَا يَرَاهُ الْمُخَالِفُونَ صَوَابَا
 وَالْمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضُّبَابَا
 وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا
 وَنَظَّمْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
 بٍ وَأَذْرَكْتَ بِالْأَنَاءِ الطُّلَابَا
 لَا كُھُولًا أَعِزَّةً وَشَبَابَا
 مَى يُغْدُونَ لِلْوَصُولِ الرُّكَابَا
 يُسْعِدُونَ الْبَنِينَ وَالْأَعْقَابَا
 وَرئِيسًا وَمِدْرَهَا خَلَابَا
 كَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَابَا
 لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بَعْلِيَاكَ عَابَا
 وَسَيِّمْتَ السَّقَامَ وَالْأَوْصَابَا
 بِالْبَسَاتِينَ نَسْتَعِيدُ الشَّبَابَا
 نَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدْ أَنَابَ وَتَابَا
 وَإِذَا حَائِمُ الرَّدَى كَانَ قَابَا
 هَ وَذَاكَ الْحِمَى وَتِلْكَ الرُّحَابَا
 يَغْدِلُ الْفَوْزَ وَالِدُعَاءَ الْمُجَابَا
 وَرَشَفْنَا سُلَاقَهَا وَالرُّضَابَا
 أَهْلَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَحْبَابَا
 حِينَ سَارُوا فَوَسَدَوكِ التُّرَابَا
 فَتَنَظَّرْ بِجَنَّتَيْهِ النُّوَابَا

شَاعَ فِي نَفْسِهِ الْيَقِينُ فَوَقَّا
 عَجَزَتْ حِيلُهُ الشُّبَاكِ وَكَانَ الشُّ
 كُلَّمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ فَخَا
 أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لَزْجُلِ
 تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قَتْلًا
 وَتَرَى الصَّدْقَ وَالصَّرَاحَةَ دِينًا
 تَغْشَقُ الْجَوَّ صَافِي اللَّوْنِ صَحْوًا
 أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَذْبًا
 قَدْ جَمَعْتَ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًّا
 وَمَلَكَتِ الزُّمَامَ وَاحْتَطَّتْ لِلْغَيْبِ
 ثُمَّ خَلَفْتَ بِالْكَنَانَةِ أَبْطَا
 قَدْ مَشَى جَمْعُهُمْ إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَشْ
 يَبْتَنُونَ الْعُلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا
 قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا
 فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي
 لَمْ يَنْلُ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ
 نَمْ هَنِيئًا فَقَدْ سَهَدْتَ طَوِيلًا
 كَمْ شَكُوتُ السُّهَادَ لِي يَوْمَ كُنَّا
 نَنْهَبُ اللَّهْوَ غَافِلِينَ وَكُنَّا
 فَإِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَرْمَى
 حَرَمْتَنَا الْمَنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ
 وَسَجَايَا لَهْنٌ فِي النَّفْسِ رَوْحُ
 كَمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأَنْسِ مِنْهَا
 وَمَرَحْنَا فِي سَاحِهَا فَنَسِينَا أَلْ
 ثُمَّ وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا
 خَفَّتْ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا

(٣٣) رثاء أمين الرافعي بك

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ ذُقْنَا لِمَضْرَعِهِ
وَحَطَبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزَنِ الْوَانَا
لَمْ تُنْسِنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ نَسَجَتْ
لِلرَّاحِلِينَ مِنَ النَّسِيَانِ أَكْفَانَا
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا
فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا
جَرَتْ عَلَى سَنَنِ التَّوْحِيدِ نَشَاتُهُ
فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ إِخْلَاصًا وَإِيمَانَا
لَمْ يَلُوهُ الْمَالُ عَنْ رَأْيٍ يَدِينُ بِهِ
(وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَلَانَا)
وَلَمْ يَلِنْ عُدُوهُ لِلخَطْبِ يُرْهِقُهُ
قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أَمْ لَنَا
ظُلْمٌ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَامِلُهُ
فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ خَانَا
كَانَتْ مَطِيَّةً سَبَاقِ جَوَانِبِهِ
يُرْوِيكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِرْفَانَا
عِشْرُونَ عَامًا عَلَى الطَّرْسِ الطَّهْرِ جَرَى
مَا خَطَّ فَاحِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْتَانَا
يَجُولُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا
مِنْ طَيِّبِ مَغْرِسِهَا وَرَدًّا وَرَيْحَانَا
فَيَنْشَقُّ الدُّهْنَ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا
وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانَا

المراثي

(أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينَ حَاجَتَنَا
إِلَى فَتًى لَا يَرَى لِلْمَالِ سُلْطَانًا
إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ
ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَذَلَانَا
أَيْلَبَسُ الْخَزَّ مَنْ لَأَنْتَ مَهَزَّتْهُ
وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُزَيَانَا؟
إِنَّ الْقِنَاعَةَ كُنْزُ كُنْتَ حَارِسَهُ
تَرَى بِهِ الْقُوتَ يَاقُوتًا وَمَرْجَانًا
فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ الْحَمْدِ تَكْسِبُهُ
وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْعَانًا
أُودَى بِكَ (السُّكَّرِ) الْمُضْنِي وَلَا عَجَبُ
أَنْ يُورِثَ الْحُلُوَّ مَرَّ الْعَيْشِ أَحْيَانَا
مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالْهَيْئَةُ
تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبُ امْرِئٍ هَانَا
(أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ
فَأَنْتَ أَرْجَحُنَا فِي الْحَشْرِ مِيزَانَا
أُبَشِّرْ فَإِنَّكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدُنَا
حَظًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
بَلِّغْ ثَلَاثَتَكُمْ عَنَّا تَحِيَّتَنَا
وَادْكُرْ لَهُمْ مَا يُعَانِي قَوْمُنَا الْآنَا
وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَهَلًا
أَنْ يَخْرُسَ النَّيْلُ مِمَّنْ رَامَ طُغْيَانَا

(٣٤) رثاء الدكتور يعقوب صرّوف

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨م

أُبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِيَ عَلَى الْأَرِيْبِ الْكَاتِبِ الْأَلْمَعِيِّ

جَرَى عَصِيّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ
نَقْصٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ زَهْوِهِ
لَيْسَ لِمُضَرٍّ فِي رِجَالِهَا
مُصَابٌ (صَرُوفٌ) مُصَابُ النُّهَى
كُرِّمَ بِالْأَمْسِ وَأَكْفَانُهُ
يَا صَائِغَ الدَّرِّ لَتَكْرِيمِهِ
قَدْ زَيَّنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ
تَوَاضَعُ وَالْكِبَرُ دَابُّ الْفَتَى
تَوَاضَعُ الْعِلْمُ لَهُ رَوْعَةٌ
وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ
يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ
مُبَكَّرٌ تَحْسَبُهُ طَالِبًا
قَدْ غَالَتْ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ
مَاتَ وَفِي أَنْمَلِهِ صَارِمٌ
صَاحِبَهُ خَمْسِينَ عَامًا فَلَمْ
مُوقِّعًا أَنْى جَرَى مُلْهَمًا
لَمْ يَبْرِهْ بَارِ سَوَى رَبِّهِ
فِي النُّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أُرْبَى عَلَى
أَيِّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ
يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ
فَتَحْسَبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةِ
(صَرُوفٌ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي
أَسْكَتَكَ الْمَوْتُ وَلَكِنَّهُ
زِكْرًا لَا تَنْفُكُ مَوْصُولَةً

فَزَادَ فِي الْجُودِ عَلَى الطَّيِّعِ
فَقَدُ الْيَرَاعِ الْمُعْجَزِ الْمُبْدِعِ
حَظٌّ وَلَا لِلشَّامِ فِي أُرْوَعِ
فَلْيَبْكِهِ كُلُّ فَوَادٍ يَعِي
تَنْسُجُهَا الْأَقْدَارُ لِلْمَضْرَعِ
صُغُهُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَذْمَعِ
فِعَاشَ مِلْءِ الْعَيْنِ وَالْمَسْمَعِ
خَلَا مِنَ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْفَعِ
يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ الْمُدْعِي
أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ وَالْمِذْنَعِ
وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ
يُسَابِقُ الْفَجْرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
وَالرَّأْسَ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
يَخُنُّ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَخْدَعِ
مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ
وَلَمْ يَحُزْهِ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى
مَدَى (ابْنِ بَحْرٍ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِي)
وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعِ
كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْإِنْعِ
عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي
يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
لَمْ يُسْكِتِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

(٣٥) رثاء عبد الخالق ثروت باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة

١٩٢٨م

وَمَحَا بِشَاشَةِ فَمِّكَ الْخَلَابِ
 وَرَمَى شَهَابَ دَهَائِهِ بِشَهَابِ
 سَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بَغَيْرِ إِيَابِ
 وَبَكَتْ، وَحُزْنُ الْعَقْلِ شَرُّ مُصَابِ
 وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابِ
 جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 رَأْيًا فَطَاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابِ
 قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
 آيَاتِهِ رَاعَ الْوَرَى بِعُجَابِ
 بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكُثْرِ وَالْأَحْبَابِ
 مِنْ شَانِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابِي
 عَنْ نَجْدِهِ الْمَرْسُومِ وَقَعَ سَبَابِ
 زَهْوُ الْمُدِلِّ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ
 أَنَّ التَّعَجُّلَ آفَةٌ الْأَقْطَابِ
 وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجِلْبَابِ
 شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لَنَيْلِ ثَوَابِ
 قَلَقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ الْمُزْتَابِ
 يَزِنُ النُّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
 حَلَّ الطَّبِيبِ عَنَاصِرَ الْأَعْشَابِ
 فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطُرْلَابِ)
 آيَاتٍ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَوْصَابِ
 وَشَمَائِلُ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّابِي
 كَيْسًا وَيُرْضِي سَاكِنَ الْمِحْرَابِ
 فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْجَمِيلِ مُرَابِي
 بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ
 لَاهُمْ إِلَّا غَضَبَةَ النَّوَابِ
 عَلِمًا بَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ تَبَابِ

لِعِبِّ الْبَلَى بِمُلَاعِبِ الْأَلْبَابِ
 وَطَوَى الرَّدَى (عَمَرُو) الْكِتَانَةَ غَافِلًا
 مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافِرٍ أَنَّهُ
 حَزَنْتَ عَلَيْهِ غُفُولُنَا وَقُلُوبُنَا
 الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلَيْفَهُ
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا
 وَالْيَوْمَ قَدْ غَالَ الْحِمَامُ أَسَدَنَا
 رَأْسٌ يُدَبِّرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ
 حَتَّى إِذَا أَرْضَى النُّهَى وَتَنَاسَقَتْ
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْحِجَا مُتَمَهِّلًا
 تَتَنَاضَّرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابَاتِهِ
 لَا الْمَدْحُ يَغْرِيه وَلَا يُلَوِّي بِهِ
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ
 حُلُوُ الْأَنَانَةِ إِذَا يَسُوسُ وَعِنْدَهُ
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَكُوكِبٍ مُتَالِقٍ
 يَهْدِي السَّبِيلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يُرِدْ
 مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَغْرُهُ
 يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَيْرَفُ
 وَيَحُلُّ غَامِضَهَا بِثَاقِبِ زَهْنِهِ
 وَيَقْيِسُ شَقَّتَهَا بِمَقْيَاسِ النُّهَى
 مُتَبَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفِ وَجْهِهِ
 شَيْمٌ تَرُدُّ النَاقِمِينَ لَوْدَهُ
 يُرْضِي الْمُرْتَلَّ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعُهُ
 يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ لَا مُتَرَبِّحًا
 يُرْوِي الصَّدِيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
 لَمْ يَبْدُ فِينَا جَازِعًا أَوْ غَاضِبًا
 وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمِ (سَعْدٍ) زَادَنِي

قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعْيِهِ
فَظْهَرَهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنَهُ
لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (تَرْوَتْ)
إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ
هُوَ مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ
هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قُلُوبٌ، هُوَ وَاضِحٌ
هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسْمُ.. مَنْ أَغْيَا الْحِجَابَ
هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ انْتَبَرَى
لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصِيدٍ دَهَائِهِ
وَيَظِلُّ يَرْقُبُهُ وَيَغْزُو كِبَرَهُ
وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أُسْطُولَهُ
وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذِكَاءٍ صُفِّقَتْ
وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَاوِضٌ
وَاسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الثَّرَى
خَلَقًا خَبَا ضَوْءُ الْهَلَالِ لَطِيَّهِ
فَاخْضَرَ فَوْقَ رُبُوعِ مِصْرٍ عُودَهُ
إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأُمَانِي فَادْكُرُوا
قَدْ جَارَ تَيْهَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ
رَجُلٌ يُفَاوِضُ وَحْدَهُ عَنْ أُمَةٍ
رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَمَا بَسَطَتْ عَلَى
وَأَتَى (لِمِصْرَ) وَأَهْلَهَا بِسَيَادَةٍ
غَفْرًا فَلَسْتُ بِبَالِغٍ فِيكَ الْمَدَى
كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجَّلٍ
فِي خَطْبِ مِصْرَ (الْبُطْرُسِ) أَخْمَدْتُهَا
أَلْفَتْ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ فَأَصْبَحَا
خَالَفْتُ فِيكَ الْجَازِعِينَ فَلَمْ أَنْحُ
النُّوحَ فِي الْجُلَى اجْتِهَادًا مُقْصَرٍ

مَنْ بَعْدَ (سَعْدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابٍ
أُمْسَى حَدِيثَ جَنَائِلٍ وَتُرَابٍ
سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
مِنْهُمْ عَلَى عِرْفَانِهِمْ بِجَوَابِ
صُلْبٍ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
حَلًّا وَمَاتَ وَلَمْ يَفْزُ بِطِلَابِ
لِكَبِيرِهِمْ بِذِكَائِهِ الْوَتَّابِ
إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
بَلْيُونَةٍ وَلَبَاقَةٍ وَخِلَابِ
خَشَبًا تَنَاطَرَ فَوْقَ ظَهْرِ عُبابِ
دُونَ الْحِمَى تُعْيِي أَسْوَدَ الْغَابِ
يَسْعَى بِغَيْرِ كِتَابٍ وَجَرَابِ
عَلَمًا عَضُضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
جَمَّ التَّوَجُّعِ دَامِيَ الْأَهْدَابِ
فِي مَنَبِتِ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ صِلَابِ
فِي وَغَرِّهَا وَكُؤُودِهَا بِالْكَابِي
إِنْ لَمْ يَفْزُ فَوْزًا فَلَيْسَ بَعَابِ
أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ
مَرْفُوعَةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
إِنِّي عَذَذْتُ إِلَى مَدَاكِ رِكَابِي
بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ
مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ
رَنْقًا، وَكُنْتُ مُوَفِّقَ الْأَسْبَابِ
حُزْنًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ أَتْرَابِي
أَلْفَى دُعَاءَ الصَّبْرِ غَيْرَ مُجَابِ

فأنا الذي يبكي بشعر خالد
قد كنت تحسن بي وترقب جولتي
وتهش إن لاقيتني وتخصني
فاذهب كما ذهب الربيع بنوره
يبقى على الأجيال للأعقاب
في حلبة الشعراء والكتّاب
بالبشر في ناديك والترحاب
تأسى الرياض عليه غبّ ذهب

(٣٦) رثاء محمود سليمان باشا (نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩م)

مُسدي الجميل بلا من يُكدره
تَجْتارنا عبقة من روضة أنف
فقل (لأل سليمان) إذا جزعوا
ما إن رأيت دفينا قبل شيخكم
قضيتها مئة في كل واحدة
فكم صفحت عن الجاني ولم تره
وكم أقلت كريما عند عثرته
إنني رأيتك قبل الموت في فلك
نور اليقين ونور الشيب بينهما
على جبينك آيات الرضا ارتسمت
قسمت ما جمعت كفاك من نشب
مال حلال مزرعى ما خلطت به
زهت فيها وهام العابدون لها
بكسرة وكساء عشت مغتبطا
أقر عيني في دنياك أن رأنا
قضيت في الأوج من عزيكما وكذا
أنجبت أربعة سادوا بأربعة:
أورثتهم شمما هشا الإباء له
يذكرن برا حريما قد أقام لهم
كم نعمة لك يا (محمود) عند أبي

ومكرم الضيف أمسى ضيف (رضوان)
إذا ألمت بنا زكري (سليمان)
ردوا النفوس إلى صبر وسُلوان
تحت التراب وفوق النجم في أن
تعد زائدك من بر وإحسان
وكم غرست وكان المعوز الجاني
وكم مشيت بصلح بين إخوان
من الجلال على جنبه نوران
سكينة حركت نفسي ووجداني
وبين جنبك قلب غير وسنان
على بنيك فكنت الوالد الحاني
مليم سحت ولا حقا لإنسان
بجمع فان يعاني جمعه فاني
نسبح الله في سر وإعلان
(محمدا) يتراءى فوق (كيوان)
يقضي (سليمان) في عز وسُلطان
فضل ونبل وإحسان وعرفان
وأورقت في ذراه عزة الشأن
صرحا من المجد أعلى ركنه الباني
بشكرها لك عند الموت أوصاني

(٣٧) تأبين محمد المويلحي بك (نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠م)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

غَابَ الْأَدِيبُ أَدِيبٌ (مَضْرٍ) وَاخْتَفَى
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى
مَاتَ (الْمَوْلِجِيُّ) الْحُسَانُ وَلَمْ يَمُتْ
حَتَّى غَزَا «عِيسَى» الْعُقُولَ وَثَقَّفَا
فَلْتَبْكِهِ الْأَقْلَامُ أَوْ تَنْقُصَافَا
كَمْ سَطَّرَتْ حِكْمًا وَهَزَّتْ مُرْهَفَا

وقال يرثيه أيضًا: أنشد هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في مسرح حديقة الأربكية في ١٣ يونيه ١٩٣٠م

دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ
لَبَّتِ الْيَوْمَ يَا (مُحَمَّدُ) لَمَّا
هَدَّأْتُ لَوَعْتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا
مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعَشِكَ يَمْشِي
لَمْ يُجَاوِزْ مَنَازِلَ الْبَدْرِ عَدًّا
لَمْ يَسِرْ فِيهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا
مَوْكِبُ مَا جَاجَ جَانِبَاهُ بِحَفْلٍ
شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى
فَكَانَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَمْشِي
تَتَمَنَّى قِيَاصَ الْأَرْضِ لَوْ فَاءَ
رُبَّ نَعِيشٍ قَدْ شَيَّعَتْهُ أُلُوفُ
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ جَاوَزَ أَوْ حَزِينُ
كُنْتُ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا
كُنْتُ رَاحَ النُّفُوسِ فِي مَجْلَسِ الْأَنْدِ
كُنْتُ لَا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بَلُومِ
وَلِئِنْ بَتَّ عَاتِبًا أَوْ غَضُوبًا
جُزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تُبَالِي
وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ

كُنْتُ خَبَّاتُهَا لِيَوْمِ الْمُصَابِ
رَاعَنِي نَعْيِي أَكْتُبُ الْكُتَّابِ
عَنْ فَوَادِي وَلَطَفَتْ بَعْضَ مَا بِي
فِي احْتِسَابٍ وَحَسْرَةٍ وَانْتِحَابِ
مِنْ بَقَايَا الصَّدِيقِ وَالْأَحْبَابِ
عِنْدَ حَيٍّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُحَابِي
مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ
ضَاقَ عَنْ حَشْدِهِ فَسِيحَ الرَّحَابِ
فِيهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
رَتَّ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرِّكَابِ
مِنْ سَوَادٍ تَغْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ
صَادِقِ السَّعْيِ أَوْ أَلِيفِ مُصَابِ
فَلَمَّاذَا رَضِيتَ سَكْنَى التُّرَابِ!
سِ وَرَاحَ الْعُقُولَ عِنْدَ الْخِطَابِ
لَا وَلَا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
لَقَرِيبُ الرُّضَا كَرِيمِ الْعِتَابِ
بِشَهَادٍ تَعَاقَبَتْ أُمُ بَصَابِ
رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَافِحُ (آبِ)

بِرُّ لا الخوض في صدور الصعاب
رُ وَسُدَّتْ مَسَارِحُ الْأَسْبَابِ
وَتَمَاسَكْتَ وَالْخُطُوطُ كَوَابِي
فَوْقَ نَارٍ تُذِيبُ صُمَّ الصَّلَابِ
وَيَ وَإِنَّ عَضَّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ
مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْأَوْصَابِ
مَا عَرَاهَا مِنْ غُصَّةٍ وَاكْتِنَابِ
بِحَدِيثِ النُّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ
بَذَتْ بِأَسَاءِهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
مِنْ إِبَاءٍ فِي بَذْلِهِ شَرُّ عَابِ
آيَ «عَيْسَى» وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ
وَصُفُوفِ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ
عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوْلِ احْتِجَابِ
وَذِكَاكَ يُرِيكَ ضَوْءَ الشَّهَابِ
عِنْدَ عِلْمٍ يَفِيضُ فَيُنْضِ السَّحَابِ
عَنْ غُمُوضٍ وَنَفْرَةٍ وَاضْطِرَابِ
رَ فَمَا شَيْبَ مَرَّةً بِالسَّبَابِ
فَذُقَ الْيَوْمَ رَاحَةً فِي الْإِيَابِ
كَعَبِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
دِعَ - سُبْحَانَهُ - عَلَى الْأَتْرَابِ
سَانُ عَنْهُ وَفَارِسُ فِي الْجَوَابِ
فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْيَ الشَّرَابِ
فِي فَوَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
مُسْتَكِينًا وَأَمْعَنًا فِي الْغِيَابِ

يَا شُجَاعًا وَمَا الشَّجَاعَةُ إِلَّا الضُّ
كُنْتَ نَعَمَ الصَّبُورِ إِنَّ حَزَبَ الْأُمِّ
كَمْ تَجَمَّلْتَ وَالْأَمَانِيُّ صَرَعِي
عِشْتَ مَا عِشْتَ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِي
مُؤَثِّرَ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ عَلَى الشُّكِّ
كُنْتَ تَخْلُو بِالنَّفْسِ وَالنَّفْسُ تُشَوِي
فَتُسَرِّي بِالذِّكْرِ عَنْهَا وَتَنْفِي
وَتَرَى وَحْشَةً أَنْفِرَاكَ أَنْسَا
بِنْتَ عَنْهَا وَمَا جَنَيْتَ وَقَدْ كَا
وَنَبَذْتَ الثَّرَاءَ تَبَذْلُ فِيهِ
لَوْ شَهِدْتُمْ (مَحْمَدًا) وَهُوَ يُمْلِي
وَقَفْتَ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي
لَعَلِمْتُمْ بَأَنَّ عَهْدَ (ابْنِ بَحْرٍ)
أَدَبُ مُسْتَوٍ وَقَلْبُ جَمِيعٍ
عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ
جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقْيُ الْمُصَفَّى
وَسَمَا نَقْدُهُ النَّزِيهُ عَنْ الْهُجْ
ذُقْتَ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءُ
بَلَّغَ (الْبَابِلِيِّ) عَنِّي سَلَامًا
كَانَ تَرْبِي وَكَانَ مِنْ نَعَمِ الْمُبْدِ
فَارِسُ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْفُرُ
يُرْسِلُ النُّكْتَةَ الطَّرِيفَةَ تَمَشِي
قَدْ أَثَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينَا
خَلَّفَانِي بَيْنَ الرَّفَاقِ وَحِيدًا

(٣٨) رثاء عبد الحليم العلالي بك (نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢م)

يا بْنَ (عَبْدِ السَّلَامِ) لَا كَانَ يَوْمٌ
 كُنْتَ فِيهِمْ كَالرُّمَحِ بِأَسَا وَلِينًا
 يَا عَرِيقَ الْأَصُولِ وَالْحَسْبِ الْوُضْءُ
 كُنْتَ فَرَعًا بَدْوَحَةَ الْعِزِّ تَأْوِي
 قَصَفَتُهُ الْمَنُونُ وَهُوَ نَضِيرُ
 كُنْتَ تَأْسُو جِرَاحَهُمْ وَتَقْيِيهِمْ
 خَانَ نُطْفِي وَلَمْ تَخْنِي دُمُوعِي
 غَيْرُ بَدْعٍ إِذَا نَظَّمْتُ رِثَائِي
 فَمِنْ الْحُزْنِ مَا يَدُكُ الرُّوَاسِي

غَبَّتَ فِيهِ عَنْ هَالَةَ الْأَحْرَارِ
 كُنْتَ فِيهِمْ كَالْكُوكَبِ السَّيَّارِ
 حَاحَ وَالنَّبِيلُ يَا كَرِيمَ الْجَوَارِ
 تَحْتَ أَفْنَانِهِ عُفَاةُ الدِّيَارِ
 مُورِقُ عُودِهِ جَنِي الثَّمَارِ
 وَثَقِيلُ الْعِثَارِ عِنْدَ الْعِثَارِ
 — لَهْفَ نَفْسِي — فَقَصَرْتُ أَشْعَارِي
 فِي صَدِيقِي مِنَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي
 وَمِنَ الْحُزْنِ مَا يَهْدُ الضَّوَارِي

وقال يرثيه أيضًا: (نشرت في ١٦ يونيه ١٩٣٢م)

مَضَيْتَ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ
 بَرَّغَمَ (النَّيْلِ) أَنْ عَدَتِ الْعَوَادِي
 بَرَّغَمَ (الثَّغْرِ) أَنْ غَيَّبَتْ عَنْهُ
 أَجَلَ مُنَاهُ لَوْ يَحْوِيكَ مَيِّتًا
 أَسَالَ مِنَ الدُّمُوعِ عَلَيْكَ بَحْرًا
 وَقَامَ النَّادِيَاتُ بِكُلِّ دَارٍ
 أَصِيبَ بِذِي مَضَاءٍ أُرِيحِي
 فَتَى الْفَتَيَانِ غَالَتْكَ الْمَنَايَا
 صَجِبَتْكَ حَقَبَةٌ فَصَجِبَتْ حُرًّا
 نَبِيلَ الطَّبَعِ لَا يَغْتَابُ خِلًّا
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِ (مَصْرٍ)
 وَلَمْ يَنْتِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا
 وَلَمْ تَنْزِلْ بِعِزَّتِهِ الدَّنَايَا
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا
 تَرَكْتَ أَلِيفَةً تَرْجُو مُعِينًا
 تَنُوحُ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنَ مِنْهَا

إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهْوُنُ
 عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 وَأَنْ نَزَلْتَ بِسَاحَتِكَ الْمَنُونُ
 لِيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذَاكَ الدَّفِينُ
 تَكَادُ بُلْجُهُ تَجْرِي السَّفِينُ
 وَكَبَّرَ فِي مَا زَنَهُ الْأَذِينُ
 بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ
 وَغُصْنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ
 أَبْيَا لَا يُهَانَ وَلَا يُهَيْنُ
 وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ
 فَمَا حَامَتْ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
 وَلَمْ تَخْنَتْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ
 وَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ ذُلٌّ وَهُونُ
 وَلَمْ يَبْرَحْ سَرِيرَتَهُ الْيَقِينُ
 وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ
 وَقَدْ غَالَ الرَّدَى — ذَاكَ الْقَرِينُ

سَمِعْتُ أَنِيهَا وَاللَّيْلُ سَاجٍ
فَقَدْ عَانَيْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي
مَنْ الْخَفِرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ
أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تَرَوْعُ
لَقَدْ نَسَجَ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً
دَهَاها الْمَوْتُ فِي الْإِلْفِ الْمُفَدَّى
فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا
رَبِيبَةٌ نِعْمَةً لَمْ تَبُلْ حُزْنًا
وَفَتًى لِأَلِيفِهَا حَيًّا وَمَيِّتًا
سَتَكْفِيهَا الْعَنَاءُ كُلَّ شَرٍّ
فَمَزَّقَ مُهَجَّتِي ذَاكَ الْأَنِينُ
عَلَى عِلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ
سَمَا بِجَلَالِهِ أَدَبٌ وَدِينُ
فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغَدٌ وَلِينُ
وَزَانَ رِدَاءَهَا الْخِذْرُ الْمَصُونُ
وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخَوُونُ
لِسَاعَتِهَا وَتَقَتَّلَهَا الشُّجُونُ
وَلَمْ تَشْرُقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ
كَذَاكَ كَرِيمُهُ (اللُّوزِي) تَكُونُ
وَيَحْرُسُ خِذْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)

(٣٩) رثاء محمود الحموي

وهو ابن المرحوم عبده الحموي المغني المعروف، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوْقُنُمَانِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ
وَكُلَّمَا أَشْرَقْتُمَا مَرَّةً
عَلَى عَزِيزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ
عَجَلْتِ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ
كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْهَنَا
لَبَدْرٍ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ
عَلَّمْتُمَا عَيْنِي نَظْمَ الْجُمَانِ
يَوُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ
قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجِنَانِ
قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

(٤٠) رثاء حبيب المطران باشا

أَعَزِّي فِيكَ أَهْلَكَ، أَمْ أَعَزِّي
وَمَا أَدْرِي أَرْكُنُ الْجَاهِ أَوْدَى
عُفَاةَ النَّاسِ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟
— وَقَدْ أَوْدَيْتِ — أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(٤١) رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ المَمَاتُ يَدِبُّ فِي أَتْرَابِي وَبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحِشَةَ الْأَحْبَابِ
يَا بَابِلِي فِدَاكَ إِلْفَكَ فِي الصَّبَا وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التُّرَابِ شَبَابِي
قَدْ كُنْتُ خُلْصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي وَمَقَرَّ أَمَالِي وَخَيْرَ صَحَابِي
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكِرَامُ مُشِيْعَا بِالْمَجْدِ مَبْكِيَا مِنَ الْأَحْبَابِ

(٤٢) تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في ابنته

وَدِيعَةٌ رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا وَمَالِكُ الْأَرْوَاحِ أَوْلَى بِهَا
أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعْدِهَا يَرْبُو عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا؟

وقال يرثيها أيضاً:

بَيْنَ السَّرَائِرِ ضِنَّةٌ دَفَنُوكِ أَمْ فِي الْمَحَاجِرِ خُلسَةٌ خَبَنُوكِ؟
مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِي هَذَا الثَّرَى نُزْلاً فَهَلْ أَرْضُوكِ أَمْ غَبَنُوكِ؟
يَا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يِعِزُّ عَلَى الْوَرَى لَمَسِ التُّرَابِ لِحْصِمِكَ الْمَنْهُوكِ
تَرَكَوْا شَبَابَكَ فِيهِ نَهْبًا لِلْبَلَى وَاهَاً لَغَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
وَحَثَّوْهُ فَوْقَ سَنَاكِ يَا شَمْسَ الضُّحَى فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكِ
دَاسَ الْجِمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟
عَهْدِي بِهِ يَلْقَى الرَّدَى بِمُهَنْدٍ يَغْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ
يَا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وَأَنْتِ عَلِيْمَةٌ بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
عَهْدُوكِ لَا تَتَصَدَّعِينَ لِحَادِثِ أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
هَذَا التُّرَابِ — وَأَنْتِ أَعْلَمُ — مُلْتَقَى هَذَا الْوَرَى مِنْ سُوْقَةٍ وَمُلُوكِ
هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنْبِي مَا جِدِ صَعِبِ الشَّكِيمَةِ لِلْخُطُوبِ ضُحُوكِ
يُغْضِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقِي عِزُّ الْمَلِكِ وَذِلَّةُ الْمَمْلُوكِ

(٤٣) «من مريثة وهمية»

بلغ حافظاً أنَّ جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكد يسمع هذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له — بعد — عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المريثة، وهما:

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بَقْبَضَتِهِ أُمْسَى مِنَ الْأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِرَاعَانِ
وَغَابَ عَنْ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَغِبْ أَبَدًا عَنْ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّ وَسُلْطَانِ

(٤٤) شهداء العلم (جريدة السفور (١٥ أبريل سنة ١٩٢٠))

في سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا في جامعاتها، وقد ذهبوا جميعاً ضحية حادث أليم وقع للقطار الذي كان يقلهم عبر إيطاليا في أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا. وكان وقع المصاب الفادح بالغ الألم والأثر في مصر وفي سائر البلاد العربية والأجنبية. وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التي ألقيت في حفل جريدة السفور التي أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠.

عَلَّمُونَا الصَّبْرَ يُطْفِئُ مَا اسْتَعَزَّ إِنَّمَا الْأَجْرُ لَمَفْجُوعٍ صَبَرَ
صَدْمَةٌ فِي الْغَرْبِ أُمْسَى وَقَعُهَا فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشْتَوِمَ الْأَثَرِ
زُلْزَلَتْ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا لَمْ يُزْلَزْ لَهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ
مَا اصْطَدَامَ النُّجُومَ بِالنُّجُومِ عَلَى سَاكِنِي الْأَرْضِ بِأَذَى وَأَمْرٍ
قَطَفَ الْمَوْتَ بَوَاكِيَرِ النَّهْيِ فَجَنَى أَجْمَلَ طَاقَاتِ الزَّهْرِ
وَعَدَا الْمَوْتَ عَلَى أَقْمَارِنَا فَتَهَاوُوا قَمَرًا بَعْدَ قَمَرٍ
فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالْعِلْمِ وَفِي ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
أَيُّ بُدُورِ الشَّرْقِ مَاذَا نَابَكُمْ فِي مَسَارِ الْغَرْبِ مِنْ صَرْفِ الْغَيْرِ
نَبَأٌ قَطَعَ أَوْصَالَ الْمَنَى وَأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصَرَ
كَمْ بِمِصْرٍ زَفَرَةٌ مِنْ حَرْهَا كُنِسَ الْأَعْفَرُ، وَالطَّيْرُ وَكَزْ
كَمْ أَبِ اسْوَانٍ دَامَ قَلْبُهُ مَسْتَطِيرِ اللَّبِّ مَفْقُورِ الظَّهْرِ
سَاهَمَ الْوَجْهَ لِمَا حَلَّ بِهِ سَاوَرَ النَّظْرَةَ مِنْ وَقَعِ الْخَبْرِ
كَمْ بِهَا وَالِدَةٌ وَالْهَيَّةُ عَضَّهَا الشُّكْلُ بِنَابٍ فَعَقَرَ
ذَاتِ نَوْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى عَلَّمَ الْأَشْجَانَ سُكَّانَ الشَّجَرِ
نَسَأُ الْأَطْيَارَ عَنْ مَوْنِسِهَا كُلَّمَا صَفَّقَ طَيْرٌ وَاصْطَحَرَ
تَسَأُ الْأَنْجَمَ عَنْ وَاحِدِهَا كُلَّمَا غَوَّرَ نَجْمٌ أَوْ ظَهَرَ

نَهَبُ العَمَرَ لَمَنْ يُنْبِئُهَا
وَيُخِمْ مِصْرَ، كُلَّ يَوْمٍ حَادِثُ
هَانَ مَا تَلْقَاهُ إِلَّا خَطْبُهَا
قَدْ ظَلَمْتُمْ مَجْدَهُمْ فِي نَقْلِهِمْ
فَسَوَاءٌ فِي تَرَابِ الشَّرْقِ أَمْ
أَبْيَتْكُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا
أَضْنَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ
وَمَزَارًا كُلَّمَا يَمَّمَهُ
وَدَلِيلًا لَابِنِ مِصْرٍ كُلَّمَا
كَمْ مِسْلَاتٍ لَنَا فِي أَرْضِهِمْ
قُمْنَ رَمَزًا لِعَصُورٍ قَدْ خَلَتْ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتِنَا الْيَوْمَ بِهَا
أُمَّةَ الطُّلِيَّانِ خَفَّفَتِ الْأَسَى
جَمَعَتْ كِفَاكَ عِقْدًا زَاهِيَا
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ
وَسَعَى كُلُّ امْرِئٍ مُفْضِلٍ
وَبَكَّتْ أَفْلَاذُكُمْ أَفْلَاذَنَا
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ -
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ
فَحَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنَعَنَا
أَيُّ شَبَابِ النِّيلِ لَا تَقْعُدُ بِكُمْ
إِنَّ مَنْ يَعْشُقُ أَسْبَابَ الْعُلَا
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَشَّمَكُمْ
نَحْنُ فِي عَهْدٍ جِهَادٍ قَائِمٍ

أَنَّهُ أَفَلَتْ مِنْ كَفِّ الْقَدَرِ
وَبِلَاءٍ مَا لَهَا مِنْهُ مَفَرٌ
فِي تَرَاثٍ مِنْ بَنِيهَا مُدْخَرُ
إِنَّمَا نَقَلْتَهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
فِي تَرَابِ الْغَرْبِ كَانَ الْمُسْتَقَرُ
فِي رَبِيعِ الْعِلْمِ شَبْرًا فَنَسَرُ
شَاهِدًا مِنَّا لِكُتَابِ السَّيَرِ
نَاشِئٌ حَيًّا ثَرَاهِ وَادَّكُرُ
قَامَ فِي الْغَرْبِ بِمِصْرٍ فَافْتَحَرُ
صَوَّرَتْ مُعْجِزَةً بَيْنَ الصُّورِ
أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرُ
خَيْرَ رَمَزٍ لِرَجَاءٍ مُنْتَظَرُ
بِصْنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْغُرُرُ
مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَبَرُ
مِنْ بَنِيكُمْ كُلُّ مِسْمَاحٍ أَغْرُ
بَادِي الْأَحْزَانِ مَخْفُوضِ النَّظَرِ
بِدَمُوعٍ رَوَّضَتْ تِلْكَ الْحُفَرُ
فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْخِلُّ الْأَبْرُ
يَوْمَ «مِسِينَا» فَأَرْخَصْنَا الدُّرُرُ
وَبَنُو الرُّومَانِ أَوْلَى مَنْ شَكَرُ
عَنْ خَطِيرِ الْمَجْدِ أَخْطَارُ السَّفَرِ
يَطْرُحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرُ
فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطَوَاقُ الْبَشَرِ
بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ تَقِرُ

(٤٥) رثاء فقيده العلم والوطن محمد عاطف بركات باشا (المقطم في ١٣

سبتمبر ١٩٢٤)

(أُلْقِيَتْ فِي حِفْلٍ تَأْبِينُهُ)

آل زغلول فاصبروا لليالي
 ر خَلْتُ مِنْهُمْ بَرُوجَ المعالي
 وأفانين ففكره الجوال
 ومضاء في كل أمر غضال
 فُتِّحَتْ فِيهِ زَهْرَةُ الآمالِ
 صادق العزم مُطْمَئِنِّ الخلالِ
 غيرَ جدِّ مُواصِلٍ ونضالِ
 عن ملاهي الورى، عفيفُ المقالِ
 نفي، فأزبى على السيوف الصقالِ
 باتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ النِّبالِ
 وهي تجتازُ هَوْلَ دَوْرِ انتِقَالِ
 لُ على هذه الخُطوبِ التوالي
 س، حريضٌ على البعيدِ المنالِ
 عن مُناه غَوَائِلُ الآجالِ
 خاملُ الذكرِ في نعيمٍ وخالِ
 ويمرُّ الغرابُ بالأجيالِ
 لهفَ نَفْسِي عَلَيْكَ والجسمُ بالِ
 ءِ داءٌ يَهْدُ أَسَدَ الدِّحَالِ
 فيك مَشْيَ الْمُحَاذِرِ الْمُغْتَالِ
 نَتَجَلَّى فِي هَيْكَلٍ مِنْ خَيَالِ
 فَمَضَتْ فِي سَبِيلِهَا لَا تُبَالِي
 هَدَمَ الموتُ عُمُرَ باني الرجالِ
 بحرٍ قد دبَّ في رؤوسِ الجبالِ
 غَالٌ بَعْدَ الْهُدُوءِ بالأشغالِ
 نامَه كَانَ تَحْتَ تِلْكَ الرمالِ
 وهو فوق الفراشِ بادي الهُزالِ
 هُ اجْتَوَاءٌ وَحَلٌّ عَوْدَ الخلالِ

ثَمَّنُ المجدِ والمحامدِ غالي
 قد هَوَى مِنْكُمْ ثَلَاثَةً أَقْمَا
 مات «فتحي» ومَنْ لَنَا بِحِجَاهُ
 كَانَ أَعْجُوبَةُ الزمانِ ذُكَاءُ
 و«سعيد» وكان غُصْنًا نَدِيًّا
 وَقَضَى «عاطف» وكان عَظِيمًا
 يَهْزِلُ النَّاسُ وَالزَّمانُ، وَيَأْبَى
 سَاهِدُ الرَّأْيِ، نَائِمُ الْحَقْدِ، لَاهِ
 قد جَلَا سَيْفَ عَزْمِهِ صَيْقَلُ الدِّ
 وَنَمَتْ رَأْيُهُ التَّجَارِبُ حَتَّى
 يَا شَهِيدَ الإِصْلَاحِ غَادَرْتَ مِصْرًا
 لو تَرَيْتُمْ لاسْتِطَالَ بِكَ النِّيبُ
 غَيْرَ أَنَّ الرَّدَى، وَإِنْ كَثُرَ النَّا
 كُلَّمَا قَامَ مُصْلِحٌ أَعْجَلَتْهُ
 يُخْطَفُ النَّابِغُ النَّبِيَّةُ وَيَبْقَى
 أَيْعِيشُ الرُّبَالُ فِي الْغَابِ جِيلاً
 كُنْتَ فَوْقَ الْفَرَاشِ وَالسَّقْمُ بِادٍ
 لَمْ يُزَحِّحْكَ عَنْ نَهْوْضِكَ بِالْأَعْبَا
 شَغَلَتْكَ الْجُهُودُ وَالْدَاءُ يَمْشِي
 لَمْ يَدَعْ مِنْكَ غَيْرَ قُوَّةِ نَفْسِ
 عَجَزَ السَّقْمُ عَنْ بُلُوغِ مَدَاهَا
 لَمْ تَزَلْ فِي بِنَاءِ النَّشْءِ حَتَّى
 عَجَبَ النَّاسُ أَنْ رَأَوْا سَرَطَانَ الدِّ
 مَنْ رَأَى «عاطفاً» وَقَدْ وَصَلَ الْأَشْ
 ظَنُّ، أَوْ كَادَ، أَنَّ أَوَّلَ نَوْمٍ
 أَوْ رَأَى قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ فِيهِ
 ظَنَّ بِأَسِّ الْحَدِيدِ فَارَقَ مَثُورًا

قد تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْكَرُ
رُمْتُ فِي أَشْهُرِ صَلَاحِ أُمُورِ
رُمْتُ إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ «دَنَلُو
وَقَلِيلُ عِنْدِي لَهَا نَصْفُ جِيلِ
لَمْ تَكُنْ مَصْرُ بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ
أَفْسَحُوا لِلجِيَادِ فِيهَا مَجَالاً
أَصْبَحَتْ فِي الْقِيُودِ تَمْشِي الْهُوَيْنَى
فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقِيُودَ وَخَلُّو
عَرَفَ الْعَرَبُ كَيْفَ يَسْتَنْمِرُ الْجِدَ
وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمْرِيءُ اللَّهُ
فَاتَرَكُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّوا
فَاصْنَعُوا صُنْعَ عَاطِفٍ وَادْكُرُوهُ
يَا مُحِبَّ الْجِدَالِ نَمْ مُسْتَرِيحاً
صَامِتٌ يُسَكِّتُ الْمَفْوَّةَ فَاعْجَبْ
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَّةَ يُرْجَى
إِنْ بَكَتْ غَيْرَكَ النِّسَاءُ وَأَذْرَفَ
فَعَلَى الْمَصْلَحِينَ مِثْلَكَ تَبْكِي

تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْمُحَالِ
دَمَّرَتْهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخَوَالِي
بَ» عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطَّوَالِ
لَمْجِدٌ مُوَفَّقٌ فَعَّالِ
قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ
قَدْ أَضَرَّ الْجِيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
كَسَفِينَ يَغْبِرْنَ مَجْرَى الْقَنَالِ
هَا تُبَارِي فِي السَّبْقِ رِيحَ الشَّمَالِ
فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ غَالِ
وَوَيْفُضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
إِنَّ فِي اسْمِ الرَّئِيسِ أَيْمَنَ فَالِ
آيَةُ الْمَجْدِ - ذِكْرَةُ الْأَبْطَالِ
لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَنْقَذٌ لِلْجِدَالِ
وَبِطِيءٌ يَبْزُ خَطُو الْعِجَالِ
فَهِيَ لِلَّهِ، وَالْذُّنَا لِلزَّوَالِ
سَنَ عَلَيْهِ الدِّمُوعُ مِثْلَ اللَّالِي
ثُمَّ تَبْكِي جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ

(٤٦) رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطي

رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ
يَا أَمِيرَ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ النَّضْبِ
كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعًا وَعَهْدِي
أَقْفَرْتُ بَعْدَكَ الْأَسَالِيبُ وَاسْتَرِ
جَمَحَتْ بَعْدَكَ الْمَعَانِي وَكَانَتْ
وَأَقَامَ الْبَيَانُ فِي كُلِّ نَادٍ
لَطَمَتْ «مَجْدَلِينَ» بَعْدَكَ خَذْفٌ

غَابَ عَنَّا فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ
رَ لَقَدْ كُنْتَ فَخْرَ أُمَّ اللُّغَاتِ
بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاءِ
خَى عِنَانُ الرِّسَائِلِ الْمَمْتِعَاتِ
سَلِسَاتِ الْقِيَادِ مُبْتَدَّرَاتِ
مَأْتَمًا لِلْبِدَائِعِ الرَّائِعَاتِ
هَا وَقَامَتْ قِيَامَةً «الْعَبْرَاتِ»

وَانْطَوَتْ رِقَّةُ الشُّعُورِ وَكَانَتْ
كَنتَ فِي مِصرَ شاعِراً يَبْهَرُ اللـ
فَهَجَرْتَ الشُّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَشـ
مُتَّ وَالنَّاسَ عَنِ مُصَابِكَ فِي شُغـ
شُغِلُوا عَنِ أَدِيبِهِمْ بِمُنْجَبٍ
وَأَفَاقُوا بَعْدَ النِّجَاةِ فَأَلْفَوْا
قَدْ بَكَكَ الرَّئِيسُ وَهُوَ جَرِيحٌ
لَمْ تُبَقِّ يَا فَتَى المَحامِدِ مالاً
كَمْ أَسأَلْتُ لَكَ الِيراعَةَ سَيْلاً
لَمْ تُؤْتِلْ مِمَّا كَسَبْتَ وَلَمْ تَحـ
مِتَّ عَنِ يافِعٍ وَخَمِيسِ بَناتٍ
وَتَرَاثُ الأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنٌ
لَا تَخَفُ عَثْرَةَ الزَّمانِ عَلَيْهِم
عَيْنٌ سَعِدَ تَرَعَاهُمْ بَعْدَ عَيْـ

سَلَوَةَ البائِسينَ والبائِساتِ
سَبَّ بِأَيَّاتِ شُغْرِهِ البَيْنَاتِ
رَفَجَتْ الكُتَّابَ بِالمُعْجِزاتِ
لِجَرِحِ الرَّئِيسِ حامي الحُماةِ
هَمَّ فَلَمْ يَسْمَعُوا نِداءَ النُّعاةِ
مَنْزَلَ الفضلِ مُقْفَرَ العَرِصاتِ
وَدَمَوْعُ الرَّئِيسِ كالأَرْحَماتِ
فَلَقَدْ كُنْتَ مُغْرَماً بِالهِباتِ
مَنْ نُضارٍ يَفِيضُ فَيَضُ الفُراتِ
سَبَّ عَلَى ما أَرى حِسابَ المِمارِ
لَمْ تُخَلِّفْ لَهَا سِوَى الذُّكُرياتِ
لِبنِيهِ، وَثِروَةَ لِرِواةِ
لَا، وَلا صَوْلَةَ اللَّيالي العَواتي
نِ اللَّهِ فَاهْداً فَقَدْ وَجَدْتَ المَواتي

(٤٧) رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق، وليَ مناصب القضاء والإدارة ثمّ وزيراً للمعارف «التربية والتعليم الآن».

وقد ناصر الأدب واللغة العربيّة في عصر اشتدّت حملة الاستعمار والمبشّرين عليها شدّة مسعورة، وكانت له — رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف الإنجليزي — مواقف مشهودة، خرجت بفضلها اللغة العربيّة سليمة خالصة لأهلها، وحفظت عليهم لسانهم العربيّ المبين.

وكان من الطبعيّ أن تقوم الصلة قويّة متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل، وأن يقرّبّه الوزير إليه، ويعيّنه رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصريّة. فكان عملاً جريئاً من الوزير أن يعيّن في وظيفة حكوميّة، أديباً يطارد الاستعمار ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار.

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبعثة من ضمير ووجدان الشاعر الوطنيّ الوفيّ الكليم.

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمَاعِ
لَكَ مِنْنَةً قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنْفًا
فَلْيَشْمَتِ الْحَسَّادُ فِي رَجُلٍ
وَلْيَتَحَمَلِ الْأَيَّامُ حَمَلَتَهَا
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَلًا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوَحِشًا قَلِيلًا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ
إِنْ جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمَحْمَدَةٍ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَنْامِلِهِ
سَلَنِي فَإِنِّي مِنْ صَنَائِعِهِ
قَدْ أَخَصَّبْتُ أُمُّ اللِّغَاتِ بِهِ
تَالِيهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ أَتَى
قَدْ ضَقَّتْ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ، وَمَنْ
وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِنُنِي
يَسْعَى فَيُخَفِّي لَيْنُ مَلْمَسِهِ
كَمْ حَاوَلْتُ هَدْمِي مَعَاوِلَهُمْ
أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي
وَمِنْهُمْ أَنْ يَحِطِّمُوا بِيَدِي
وَلَرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَقَرُ
مَنْ ذَا يُوَاسِينِي وَيَكُلُونِي
لَا جَاهَ يَحْمِينِي، وَلَا مَدَدُ
بِكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ عَادِيَةٍ
وَأَقِيلُ عَثْرَةَ كُلِّ مَبْتَلِسٍ
حَتَّى نَعَى النَّاعِي أَبَا حَسَنِ
غِيظَ الْعِدَاةَ فَحَاوَلُوا سَفَهَا

نَاعٍ أَصَمَّ بِنَعْيِكَ السَّمْعَا
مَا إِنْ أُرِيدُ لَطَوَّقَهَا نَزْعًا
وَقَضَيْتُ أَنْتَ وَكُنْتُ لِي دِرْعًا
أُمَسْتُ مِنْهُ وَأَصْبَحْتُ صَرْعِي
غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعَى
بِيَدِ الْعُلَا وَبِأَنْفِهَا جَدْعًا
وَأَرَى الْمَرْوَةَ أَقْفَرْتُ رَبْعًا
يُولِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ الصَّنْعَا
وَتَرَا شَاهَ بِمَثَلِهَا شَفْعَا
تَنْدَى، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ نَبْعًا
وَسَلِ «الْمَعَارِفُ» كَمْ جَنَتْ نَفْعَا
خِصْبًا أَدَّرَ لِأَهْلِهَا الضَّرْعَا
بِدْعَا، لَطَفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
يَفْقِدُ أَحِبَّتَهُ يَضُقُ ذُرْعَا
فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعَا
وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
وَأَبَى إِلَهُ فِزَادَنِي رَفْعَا
غَيْرُ الْبَيَانِ، وَأَصْبَحُوا جَمْعَا
قَلَمًا أَثَارَ عَلَيْهِمُ النَّقْعَا
لَا يَصْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِشْعَا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرْعَى
عَنِّي يَرُدُّ الْكِدَ وَالْقَدْعَا
وَأَجِيبُ فِي الْجُلَى إِذَا أَدْعَى
وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُنَجِّجُ الْمَسْعَى
فَوَدَدْتُ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُنْعَى
مِنْهُ لِحَبْلِ وَدَادِنَا قَطْعَا

ظلمًا — فكان لوضله أدعى	راموا له بتًا — وقد حملوا
في كلِّ صالحة لها فرعًا	يا دوحةً للبرِّ قد نَشَرَتْ
فوق الكنانة نورها شعًا	ومنارةً للفضل قد رُفِعَتْ
ما ردَّ مسكينًا ولا دَعَا	ومثابةً للرزقِ أحمدها
والحزنُ يصدعُ مهجتي صدعا	إني رثيتك والأسى جَلَلُ
جلَّ المصابُ وجاوز الوُسعا	لا غرو إن قصرتُ فيك فقد
ترضى، إذا لم تُقدِّر الرجعى	سأفيك حقَّك في الرثاء كما